

كيف نفهم
الرّسالة العمليّة

محمد مصدّي المؤمن



كَيْفَ نَفْهَمُ
الرِّسَالَةَ الْعَمَلِيَّةَ؟

الجزء الأول

محمد مهدي المؤمن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هوية الكتاب :

- اسم الكتاب : كيف نفهم الرسالة العملية ؟
تأليف : محمد مهدي المؤمن
نشر مؤسسة المعارف الإسلامية .
الطبعة : الأولى ١٤٢٣ هـ . ق .
المطبعة : عترة .
العدد : ٢٠٠٠ نسخة .

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة المعارف الإسلامية

إيران - قم المقدسة

ص . ب ٧٦٨ / ٣٧١٨٥ تلفون ٧٧٣٢٠٠٩ - فاكس ٧٧٤٣٧٠١

E - mail : m_islamic@ayna.com

كلمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ثم الصلاة والسلام على العبد المؤيد، والرسول المسدّد، المصطفى الأمد، والمحمود الأحمد، سيّدنا ومولانا أبي القاسم محمّد ﷺ وعلى آله الهداة المهديين، وأوصيائه المنتجبين، سيّما خاتم الأوصياء المطهرين سيّدنا ومولانا الإمام الثاني عشر الحجّة المهدي المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، واللّعن على أعدائهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد منّ الله - تعالى - على عباده المؤمنين أن بعث فيهم وإليهم رسولاً من أنفسهم يعلمهم معالم دينهم ويزكّيهم ويهديهم سواء السبيل فقال عزّ من قائل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١)، ومنّ عليهم

(١) سورة الجمعة: ٢.

كذلك بأوصياء وخلفاء وأئمةٍ اثني عشر راشدٍ هادين مهديّين يحملون أعباء الرّسالة من بعده، ويقومون بإتمام الدّين وإكمال شريعة سيّد المرسلين ﷺ حتى تقوم السّاعة، لكنّهم لا قوا من جهلة هذه الامة والمتلبّسين بعباءة الدين ظلماً فادحاً وتجاهلاً واضحاً، وجرت عليهم أعظم المصائب وأنواع البلايا، ولم يؤدّ أحد في الله - تعالى - بمثل ما أودوا، إلا صاحب الرّسالة ونبيّ الرحمة ﷺ حيث صرح بذلك قائلاً: «ما أودى نبيّ بمثل ما أوديت»^(١) فمضت عليهم الأحوال على هذه الطريقة وهذا المنوال، حتى قضى الواحد منهم نحبته تلو الآخر: «فقتل من قُتل وسُبي من سُبي وأقصى من أقصى وجرى القضاء لهم بما يُرجى له حسن المثوبة»^(٢)، وأسفر عن ذلك كلّ حرمان المؤمنين من الارتباط بإمامهم الحاضر، والاهتداء بهديه، وتلقّي ما يعينهم من أحكام دينهم وديناهم من التبع الصّافي، والمصدر الأصيل، والثقل الأصغر الذي يعدل الثقل الأكبر وامتداد للنّبوة وبيت الوحي، إذ كتب الله - تعالى - وقضى لحجّته الثاني عشر،

(١) بحار الأنوار ج ٣٩ / ٥٦، كشف الغمّة ج ٣ / ٣٤٦.

(٢) المزار (محمد بن المشهدى): ٥٧٨، اقبال الاعمال ج ١ / ٥٠٨، بحار

الأنوار ج ٩٩ / ١٠٦.

وخاتم أوصياء نبيّه الخاتم عليه السلام بغيبتين: صغرى دامت سبعين عاماً يتوسط خلالها بينه وبين شيعته ومواليه نوابٌ أربعة حازوا لديه بالنيابة الخاصّة، وكانت هذه الأعوام السبعين فترة تمهيدية يعدّ شيعته ومواليه لغيبة طويلة لا يعرف مداها إلا الله - تبارك وتعالى - سُمّيت بالغيبة الكبرى.

فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو تكليف المؤمنين في زمن الغيبة الكبرى الذي انقطع اتصالهم المباشر بإمام زمانهم، وممن يأخذون أحكام دينهم؟

هذا السؤال وعشرات الأسئلة الأخرى سنجيب عنها في هذا الكتيب الوجيز - إن شاء الله تعالى - ليتّضح للقارئ الكريم أهمّ ما يتعلّق بالرسالة العمليّة وأحكام الدين المبين أصولاً وفروعاً، عسى أن يرفع غوامض ما يتعلّق بمصطلحات الفقه والفقهاء - دامت بركاتهم - أملين أن يلقي قبولاً لدى المؤمنين ويسفر عن تذييل العقبات والصعاب في طريقهم إلى معرفة أحكام الشريعة الغراء، آمين.

وقد كتبناه على هيئة دروس ليستفاد منها في تعليم الجيل الجديد والقادم من الشباب وقد بذلنا في سبيل ذلك

قصارى جهدنا ليكون واضحاً في غاية الوضوح، ولهذا بادرنا الى استعمال الألفاظ العامّة، وتجنّبنا أسلوب المصطلحات العلميّة الخاصّة مهما أمكن، إلا فيما تقتضيه الضرورة سعياً منا الى توضيح تلك المصطلحات بما يناسب المقام، وعليه فنرجوا من ذوي الاختصاص أن يأخذوا بعين الاعتبار ما نرمي إليه في هذا الكتراس من تجنّب الأسلوب العلمي، لهذا فقد تسامحنا كثيراً في العبارات وراعينا المجاز في التعبير، فلا يلومونا إذا خاننا التعبير أحياناً أو قصر منا البيان، والله وليّ التوفيق.

الدرس الأول

المؤمنون في زمن الغيبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س): ذكرتُم في مقدمة الكتاب أنّ المؤمنين كانوا يتلقون وظائفهم وتكاليفهم وأحكام دينهم من منبع الوحي الإلهي وهو النبي الأكرم ﷺ في حياته، ثم من أوصيائه الذين هم عدل القرآن والثقل الأصغر حتى بدأت الغيبة الكبرى فكيف كان يصنع المؤمنون حيال أحكامهم الشرعية؟ وإلى من كانوا يرجعون في تلقي تكاليفهم؟ ولماذا وبأي دليل اختاروا هذا المسلك؟

ج): لا شك أنّ غيبة الإمام - عليه الصلاة والسلام - كانت تقديراً إلهياً وأمرأ ربّانياً أدّى الى انقطاع الأمة عن منبع الوحي ومصدر التشريع فكان لا بدّ من تعويض ذلك وتعيين مسلك وتحديد طريقة يعمل بها المؤمنون ويرجع إليها العباد، وهي الطريقة المتّبعة لدى العقلاء وتسمّى بـ «السيرة العقلانية»، أو «حكم العقل»، أو «حكم الفطرة»، أو «حكم الشرع».

وقد خرجت في فترة الغيبة الصغرى من ناحيته المقدّسة أخبار وتواقيع مؤكّدة تأمر شيعته ومواليه بتلقّي أحكام دينهم وديناهم من الفقهاء الصّالحين المنويين عنه - أرواحنا فداه - بالنيابة العامّة، وتحثّهم على اتّباعهم، وتدعو الى الالتفاف حولهم، كما في قوله - عجلّ الله فرجه الشريف -: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوامّ أن يقلّدوه»^(١)، وما في قوله - صلوات الله وسلامه عليه -: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله»^(٢)، فمن هنا وانطلاقاً من هذين الأمرين الإرشاديين نشأت فكرة الإجتهد والتقليد، طبقاً لما تمليه الضّرورة في زمن الغيبة، حيث انقطاع الاتصال المباشر بالمعصوم عليه السلام.

والنتيجة: أنّ باب الإجتهد والتقليد لدى المؤمنين ظلّ مفتوحاً وسيكون كذلك إلى أن يقضي الله - تعالى - لعباده المؤمنين

(١) راجع وسائل الشيعة ج ٢٧ / ١٣١، الاحتجاج ج ٢ / ٢٦٣، بحار الأنوار ج ٢ / ٨٨.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢٧ / ١٤٠ ح ٩، الفصول العشرة (المفيد): ١٠، الغيبة (الطوسي): ٢٩١، الاحتجاج ج ٢ / ٢٨٣، الخرائج والجرائح ج ٣ / ١١١٤ ضمن ح ٣٠.

بالفرج، ويظهر المهديّ من آل محمد عليهم السلام، وحتى تنفث سحب الظلام، ويذهب هذا الليل الطويل ليسفر الصّبح الجليّ، ويتجلّى النهار وتشرق الشّمس السّاطعة - إن شاء الله تعالى -، «أليس الصّبح بقريب».

س: (إذا كان هذا الكتاب قد عدّ لتوضيح الرّسالة العمليّة وكيفيّة التعامل معها، وبيان شيء من أصول الدّين وفروعه، فما معنى الدّين؟

ج: (الدّين عند علماء اللّغة - في اللّغة العربيّة - يعني الطّاعة والجزاء والحساب والتعبّد والورع والسّلطان والقهر والمعصية، والقضاء، وبالمعنى اللّغوي قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١) أي يوم الجزاء أو يوم الحساب، وفي المثل: «كما تدين تُدان» أي كما تُجازي تجازي، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٢) أي الحساب أو الجزاء الصحيح، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٣) أي الطّاعة والتعبّد، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾^(٤) أي في قضاء الملك، وقوله تعالى: ﴿أَنَا

(١) سورة الفاتحة: ٤.

(٢) سورة التوبة: ٣٦، سورة يوسف: ٤٠، سورة الروم: ٣٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٩.

(٤) سورة يوسف: ٧٦.

لَمَدِينُونَ ﴿١﴾ أي لملوكون، وأما الذين عند علماء الأديان فمعناه الاعتقاد بخالق الكون والكائنات، والعمل بالأحكام والقوانين التي تناسب ذلك الاعتقاد، ولهذا قال ﷺ: «الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان» (٢)، وعليه فكلّ من يعتقد بالصانع الحكيم فهو متديّن وذو دين، وكلّ من أنكر الخالق والصانع فهو لا دين له، نعم الأديان تنقسم إلى الأديان الحقّة والباطلة أو المنحرفة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أي ان الطريقة الحقّة والصحيحة في الاعتقاد والعمل هي الإسلام، ولهذا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٣) إذ كل طريقة في الاعتقاد والعمل غير طريقة الاسلام باطلة.

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الصافات: ٥٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٦: ٧٣ ح ٢٩ و ٩٠: ٤٨.

(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

الدرس الثاني

وجوب الاجتهاد والتقليد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س): عرفنا في الدرس السابق ما هو تكليف المؤمنين في زمن الغيبة والى من يرجعون، فما معنى «السيرة العقلانية»، و«حكم العقل»، و«حكم الفطرة»، و«حكم الشرع»؟

ج): والجواب الذي يناسب المقام باختصارٍ شديد، وبيانٍ واضحٍ شديد أن السيرة العقلانية - كما هو واضح - استمرار عادة الناس وتبانيهم العمل على فعل شيء، أو ترك شيء، والمقصود بالناس: جميع العقلاء والعرف العام من كلِّ ملّة ونحلة، فيعمّ المسلمين وغيرهم، والتعبير الشائع عند الأصوليين المتأخرين - والمراد منهم علماء الأصول في الأزمنة المتأخرة - تسميتها بـ «بناء العقلاء»^(١). فالسيرة العقلانية تقضي بلزوم رجوع الجاهل إلى العالم وأهل الخبرة.

(١) أصول الفقه للمظفر الباب السابع السيرة.

وأما المراد بحكم العقل والمقصود منه هنا هو حكم العقل العملي «ومعنى حكم العقل - على هذا - ليس إلا إدراك أن الشيء ممّا ينبغي أن يفعل أو يُترك»^(١) فالعقل يحكم بضرورة رجوع الجاهل الى العالم وذوي الاختصاص وأهل الخبرة.

وأما حكم الفطرة فالمراد منه أن الفطرة الإنسانيّة السليمة تحكم بوجوب ولزوم رجوع الجاهل الى العالم وأهل الخبرة فيما يجهل.

وأما حكم الشرع فهو الحكم الوارد على لسان الشارع المقدّس في الكتاب أو السنّة أو المستفاد من العقل أو الإجماع أو سيرة المعصومين عليهم السلام، وهو على قسمين :

أ- إمّا إرشاد وتنبية إلى حكم العقل، أو حكم الفطرة، أو السيرة العقلانيّة، إن كان لواحدٍ من هذه الثلاثة حكم في خصوص المسألة، ويسمى «حكماً إرشادياً».

ب- وإمّا تأسيس حكم وإيجاد أمر أو نهي، إذا لم يكن مسبقاً بحكم العقل أو الفطرة أو السيرة العقلانيّة، ولم يكن مبتنياً على أحدها، ويسمى حينئذٍ «أمراً مولوياً» أي من المولى مباشرة

(١) أصول الفقه للمظفر ص ١٧٠ منشورات الفيروز آبادي.

من غير ابتناءٍ على حكم العقل أو الفطرة أو السيرة العقلائية .
والنتيجة: أنّ مسألة وجوب التقليد في الشّرع المقدّس مبنية
على أحد الأمور الثلاثة السابقة:

أ- إمّا على حكم العقل بضرورة رجوع الجاهل الى العالم
وأهل الخبرة.

ب- أو على حكم الفطرة بلزوم الرجوع الى العالم وأهل
الخبرة.

ج- أو على السيرة العقلائية القاضية بالرجوع إلى العالم
وأهل الخبرة.

فما ورد على لسان المعصوم عليه السلام في الأخبار الصّحاح وفي
بعض المراسيل مثل قوله عليه السلام: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه،
حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن
يقلدوه»^(١) حكم شرعي إرشادي، أي أنّه إمّا إرشاد الى حكم
العقل، أو حكم الفطرة، أو سيرة العقلاء.

واعلم أنّ السيرة العقلائية لا تكون حجة - أي لا يجوز العمل
بها، أو لا يجب الأخذ بها - إلا إذا كانت مُمضاةً وموقّعةً ومؤيَّدةً

(١) الاحتجاج ج ٢ / ٢٦٣، بحار الأنوار ج ٢ / ٨٨، وسائل الشيعة ج
١٣١ / ٢٧

من قِبَلِ الشارِعِ المقدَّسِ بالكتابِ والسُّنةِ، أو على الأقل لم يرد نهي عنها على لسان المعصوم عليه السلام.

والحاصل: أنَّ المؤمنين كانوا وما زالوا يرجعون في تلقِّي أحكامهم إلى الفقيه الجامع للشرائط، وذلك بدليل السيرة العقلانية القاضية برجوع الجاهل الى العالم، أو حكم العقل أو حكم الفطرة القاضيين بضرورة رجوع الجاهل إلى العالم، وزاد في التأكيد على ذلك ما ورد على لسان المعصوم عليه السلام، وبهذا نكون قد أجبنا على سؤال هامّ تقدّم في الدرس الأول، ألا وهو: لماذا وبأيّ دليل اختاروا هذا المسلك؟ أي لماذا اختاروا طريقة التقليد ورجوع الجاهل إلى العالم؟

س): تقدّم في الدرس الأول معنى الدّين ومفهومه، فما هي حاجة الإنسان إلى الدّين؟

ج): إعلم أن الإنسان موجود مركّب من جسد مادّي وروح مجردة، ثم إنّ عقله يمثّل جانبه الرُّوحاني المعنوي، وهواه وغرائزه تمثّل جانبه المادّي الحيواني، فهو بفطرته يسبح عن سعادة مادّية ومعنويّة، ويسعى إلى الكمال الذي خلق وأوجد من أجله، ولما كان ذا بعدين: بُعد اجتماعي، وبُعدٍ فردي، فإنّه بحاجة إلى برامج وقوانين وسلوك تضمن له السعادة المادّية والمعنويّة

في كلا الجانبين، الجانب الفردي والجانب الاجتماعي، وتكفل له الحياة الطيبة في كلا البُعدين، وهذه القوانين والأنظمة الكفيلة بتحقيق السعادة المعنوية والمادية والحياة الطيبة في السعدين الفردي والاجتماعي للإنسان التي تعدّ ضرورة فطرية له، هذه القوانين والأنظمة تعدّ ديناً حقاً، وتسمّى بدين الحق كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١).

والحمد لله ربّ العالمين

(١) سورة الروم: ٣٠.

الدروس الثالث

دور الدين في حياة الانسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(س): ما هي الآثار الفردية والاجتماعية التي يتركها الدين في حياة الانسان؟

(ج): أما الآثار الفردية فهي كثيرة أهمها أن الدين والإيمان بالله واليوم الآخر يمنح الإنسان حالة من الاستقرار النفسي في مواجهة المشكلات والمصائب والبلايا التي تحلّ به، ويملؤ قلبه بالأمل والرّجاء في نظرتة الى المستقبل، فيكون متفائلاً بما سيأتي، مجتهداً في عمله، صادقاً في فعله وقوله، رابط الجأش في معترك الحياة، لا يخشى في الله لومة لائم، راجياً كلّ الخير من ربّه القادر الحكيم العليم الرّحيم، فلا يظلم الآخرين، ولا يعتدي على حقوقهم، ولا يتجاوز الحدود التي رسمها له الشّرع المقدّس، يحترم القوانين الإلهية، ويرأف بكلّ شيء حوله حتى بالحيوان والجماد فضلاً عن رأفته بالإنسان لا سيّما والديه

وجيرانه وأهله وعباله، وكيف كان فهو مصداق قوله ﷺ: «خير الناس أنفعهم للناس»^(١)، وقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢)، لأنه يرى الله - تعالى - معه ورقبياً عليه في كل آن ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾^(٣) و﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤).

(س): تبيّن من الدّرسين السابقين أن العقل والفطرة وسيرة العقلاء تأمرنا بالرجوع الى أهل الخبرة والدراية في كل فنّ من الفنون أو علم من العلوم، وأنّ الإنسان لما كان محتملاً لتوجه تكاليف ووظائف إليه من الله - تبارك وتعالى - أو كان عالماً ولو إجمالاً بتوجه تلك التكاليف إليه، وجب عليه أن يطلب العلم ويسعى إلى معرفة ذلك ليطلع على تكاليفه ويحصل على وظائفه الشرعيّة من الأوامر والنواهي ويعمل طبقاً لمعرفته، فيأتي بما أمره الله - تعالى - به، ويترك ما نهى الله - تعالى - عنه، وهذا لا يتحقّق إلاّ بأن يكون إمّا مجتهداً أو مقلّداً أو محتاطاً - كما صرّحت به جميع

(١) الجامع الصغير (السيوطي) ج ١: ٦٢٣ ح ٤٠٤٤، كنز العمال ج ١٥:

٧٧٧ ح ٤٣٠٦٥، ميزان الاعتدال ج ٣: ٢٤٨ رقم ٦٣٣٧.

(٢) سورة يونس: ٦٢.

(٣) سورة الحديد: ٤.

(٤) سورة الزلزلة: ٧ و٨.

الرسائل العملية وأجمع عليه الفقهاء ،، والسؤال هنا: ما هو الاجتهاد ومن هو المجتهد؟ وما معنى التقليد؟ وما معنى الاحتياط؟

ج): أما الاجتهاد فهو بذل الجهد والسعي الحثيث لاستنباط الحكم الشرعي من مصادر التشريع - الكتاب والسنة والعقل والإجماع -.

وأما المجتهد فهو الذي قضى شرطاً من عمره في تلقي دروس وعلوم خاصة تدرّس في حوزات علمية خاصة تؤهّله وتجعله قادراً على استنباط الحكم الشرعي واستخراجه من مصادر التشريع الأربعة متى شاء وأراد، وهذه العلوم عبارة عن بعض العلوم العربية - كالتحوي والصرف واللغة - وأصول الفقه والفقه والمنطق وعلم الحديث والرجال، وهي علوم وفنون خاصة، لا يمكن أن يتفرّغ لها جميع الناس، وإلى هذا أشارت الآية المباركة: ﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً. فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١)، ولا يوفق إلى العمل بها إلا نفرٌ قليل من

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

الناس في كلِّ عصرٍ ومصرٍ .

وأما التقليد : فإنه بعد ما ذكرنا من عدم استطاعة الجميع لتلقّي علوم الشريعة وبلوغ مرتبة الاجتهاد يتّضح لدينا أنّ عامّة الناس وهم الغالبية العظمى في كلِّ زمانٍ عليهم أن يأخذوا أحكامهم وتكاليقهم من أحد الفقهاء والمجتهدين الأحياء الجامعين لشرائط المرجعية الدنيّة وهو الذي يسمّى بـ «التقليد»^(١) .

وأما الاحتياط : فهو الجمع بين أقوال الفقهاء بحيث يكون قد برئت ذمّته قطعاً وعلى كلِّ حال ، وهو قد يكون في الفعل كما إذا احتمل كون الفعل واجباً وكان قاطعاً بعدم حرّمته ، أو في الترك كما إذا احتمل حرمة فعل وكان قاطعاً بعدم وجوبه ، وقد يكون في الجمع بين أمرين مع التكرار ، كما إذا لم يعلم أنّ وظيفته في الصلّاة هي القصر أو التمام ، فإنه يجمع بينهما بالتكرار ، أي يصلّي قصراً

(١) نعم يشترط بعض الفقهاء - دامت بركاتهم - في صحّة التقليد وتحقّقه الالتزام بالعمل بما جاء في الرّسالة العمليّة لمجتهدٍ معيّن ، ومعناه الاكتفاء بمجرد النية - وهو أن ينوي العمل بما فيها - ، واشترط آخرون أن يكون مستنداً الى فتوى الغير في العمل ، وقال بعضهم : التقليد هو متابعة المجتهد في العمل بأن يكون مستنداً في عمله إلى رأي المجتهد وهو لا يختلف عن القول السابق ، كما اكتفى آخرون بمجرد التعلّم - أي تعلم المسائل - بقصد العمل بها .

ثم يصليّ تماماً أو العكس .

لكنّ الاحتياط رغم كونه سبيلاً للنّجاة إلّا أنّه غير ممكن للجميع، إذ يجب أن يكون عارفاً بكيفيّة الاحتياط إمّا بالاجتهاد أو بالتقليد، لصعوبة تشخيص موارده إذ قد يكون الاحتياط في ترك الاحتياط .

وعمل العاميّ بلا تقليد ولا احتياط باطل إلّا إذا طابق الواقع - أي انكشف له أنّه مطابق للحكم الواقعي - أو تبين له أنّه مطابق لفتوى الفقيه الجامع لشرائط التقليد .

والحمد لله ربّ العالمين

الدرس الرابع

الحكم الواقعي والحكم الظاهري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س): بعد ما تبين أنّ طلب علوم الشريعة وبلوغ مرتبة الاجتهاد فَرُضَ كفاية إذا قام به من يعتدّ به، وإلا فهو فَرُضٌ عَيْنٍ على جميع المؤمنين، بل هو من أهمّ الفرائض لأن به يستقيم الدّين وتحفظ بيضة الإسلام، وبعد ما تبين أن هناك طائفة قد نذروا أنفسهم في كلّ زمان للقيام بهذه الفريضة العظيمة كي يستخرجوا الحكم الشرعي وينشرونه بين الناس كافة حتى يرفعوا عن كواهلهم عبئاً ثقيلاً ومسؤولية جسيمة، ويسهلوا عليهم طريق الهداية الى معرفة أحكام الله - تبارك وتعالى - ومعرفة تكاليفهم السماوية، وهذه الحركة - أعني حركة الاجتهاد والتقليد - مستمرة الى يومنا هذا وإلى قيام الحجّة - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وباب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه، فالسؤال الذي يطرأ على أذهاننا هو: أليس حكم الله - تعالى - واحد لا يتعدّد، وأليس لله - تعالى - في

كُلُّ مسألة وواقعة حكم واحد؟ فلماذا نجد في كثير من الأحيان عدّة أحكام في المسألة الواحدة، لكلِّ فقيهٍ ومجتهدٍ رأيٍ يختلف عن غيره؟!؟

ج) : نعم لله - تعالى - في المسألة الواحدة حكم واحد، ولكلِّ مسألة حكم خاصّ بتلك المسألة يسمّى بـ «الحكم الواقعي»، ولكن بما أنّ الحكم الواقعي يحتاج إلى نصّ جليّ قطعي، وأكثر ما وردتنا من الأخبار والرّوايات قابلة للتأويل ومنها ما هو ضعيف السّند، فالمجتهد يسعى الى استنباط الحكم الشرعي من ظواهر الآيات والرّوايات وأحياناً يستند فيه الى إجماع العلماء أو حكم العقل، ولهذا فقد يصيب، أي يوفّق ليكون الحكم الذي استنبطه مطابقاً للحكم الواقعي، وقد لا يصيب فيكون الحكم الذي توصل إليه الفقيه حجّة عليه وعلى مقلّديه سواء كان مصيباً عند الله - تعالى - أو كان مخطئاً، اذ الشّرع المقدّس عفا عن خطئه هنا، ولا أحد يستطيع أن يجزم هل ما استنبطه هو الحكم الواقعي أم لا؟ سوى المعصوم عليه السلام والمعصوم عليه السلام فرض علينا اتّباع المجتهد في كلّ حكم توصل إليه، وحكم له بالأجر والثواب على كلّ حال، حيث أنّه يؤجر على الجهد الذي بذله في سبيل استنباط الحكم الشرعي، فإذا أصاب الواقع وأدّى جهده إلى معرفة الحكم

الواقعي أعطي أجراً ثانياً لذلك، وكلّ ما يستنبطه المجتهد فهو من الأحكام الظاهرية ويسمّى بـ«الحكم الظاهري» الذي أمرنا بالتبّاعه والعمل به في زمن الغيبة الكبرى، ولا يعني هذا أنّ كلّ ما أفتى به المجتهد يعدّ حكماً ظاهرياً، بل هناك فتاوى مأخوذة من النص القرآني الجليّ كقوله - تعالى - في الإرث: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(١)، ومثل قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٢)، أو مأخوذة من النصوص الروائية الجليّة كأوقات الصّلاة وعدد ركعات الصّلوات وما شابه ذلك وهي غالباً من الصّوريات وهي قطعاً من الأحكام الواقعية التي لا تقبل التأويل والتعدّد.

س: اشرحوا لنا ما هي الرّسالة العمليّة؟

ج: الرّسالة العمليّة عبارة عن كتاب يدوّن فيه المجتهد الأحكام الشرعيّة التي استخرجها واستنبطها من مصادر التشريع الأربعة، وهو قد يكون مفصّلاً يحتوي على جملة كبيرة من الأحكام وفي جميع أبواب الفقه من التقليد الى الدّيّات، أو في بعضها، وقد يكون مختصراً لكن يشمل جميع أبواب الفقه أيضاً،

(١) سورة النساء: ١٧٦.

(٢) سورة النور: ٢.

وقد يختار الفقيه اسماً خاصاً لرسالته العمليّة مثل «المختصر النافع» أو «وسيلة النجاة» أو «العروة الوثقى» أو «تحرير الوسيلة» أو «منهاج الصّالحين» أو «توضيح المسائل» أو «الأحكام الواضحة» أو غير ذلك من الأسماء، وربما تكون الرّسالة العمليّة خاصّة بيان أحكام باب واحد من أبواب الفقه كالحج - مثلاً - وتسمّى حينئذٍ بتسمية خاصّة مثل «رسالة في أحكام الحج» أو «مناسك الحج»، أو في أبواب أخرى مثل «أحكام المسافر» أو «رسالة في الخمس» أو «رسالة في صلاة المسافر» وما شابه ذلك.

ولمّا كانت الرّسالة العمليّة - رغم أنها مكتوبة لعامة الناس - تحتوي على جملة غير يسيرة من العبارات والألفاظ والمصطلحات الخاصّة وعبارات قد لا يستوعبها الجميع، فقد لجأنا الى كتابة هذا الكتيّب آملين أن يزيل كلّ غموضٍ من شأنه أن يحول دون الوقوف على المقصود فيها، ويرفع كلّ ما من شأنه أن يمنع المقلّد من معرفة الحكم الشرعيّ الصّحيح، كما سيكون بإذن الله - تعالى - معيناً للقارئ الكريم على سهولة استخراج الحكم الشرعيّ الذي يبحث عنه في الرّسالة العمليّة.

والحمد لله ربّ العالمين

الدراس الخاصير

التقليد نوعان: ممدوح ومذموم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(س): لقد ذكرتم في الدرس الثالث أهمية التقليد وأن عمل العامي بلا تقليد ولا احتياط باطل، لكن أليست الآيات والروايات قد منعت عن التقليد كما في قوله - تعالى - في ذم المقلدين ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾^(١)، وأما نهتنا الشريعة عن التقليد في الدين!؟

(ج): التقليد الذي منعت عنه الشريعة وذمه الإسلام غير التقليد الذي تحدّثنا عنه هناك، وقد ذكرنا أن سيرة العقلاء وعملهم وإمضاء الشارع المقدّس وتأييده أو عدم منعه عن تلك السيرة هو الذي جعل التقليد مشروعاً بل مطلوباً لا مفرّ منه، ولو قلنا أن العقل يحكم بضرورة رجوع الجاهل الى أهل الخبرة

(١) سورة الزخرف: ٢٣.

والعالم، أو أن الفطرة تحكم بلزوم رجوع الجاهل الى أهل الخبرة، فالشّرع المقدّس لا ولن ينهى عن حكم العقل ولا عن حكم الفطرة، وحينئذٍ فكلّ أمر يصدر في الشريعة المقدّسة بوجوب التقليد أو الحثّ عليه فإنّما هو إرشاد وتنبية الى العمل بحكم العقل أو الفطرة، ولكن قد يحكم العقل أو الفطرة بقبح العمل بتقليدٍ ما، أو قد يذمّ العقلاء نوعاً من التقليد وهنا أيضاً فالشارع المقدّس ينهى عن هذا النوع من التقليد، ولما كان رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة والى العالم من القسم الأول دون القسم الثاني فإنّه ممّا أمر به الشارع الحكيم وهو رئيس العقلاء.

وبعبارة أصحّ وأوضح فإنّ أقصى ما قد يقال أنّ العقل والفطرة يحكمان بقبح التقليد، وأنّ عمل العقلاء وسيرتهم جرت على ذمّ التقليد وتركه، إلّا في مورد خاص وهو لزوم ووجوب وضرورة رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة والعلماء فيما يجهل من أمور دينه ودنياه، وحينئذٍ فهذا النوع والمورد الخاص خارج عن ذلك الحكم العام، ويكون مطلوباً في الشريعة لا بدّ منه، هذا أولاً. ولهذا فإنّ الشريعة الغراء منعت عن التقليد المذموم والمنهيّ عنه بحكم العقل أو الفطرة أو سيرة العقلاء، مثل تقليد الجاهل للجاهل، وتقليد من ليس بمجتهد مطلقاً، وكتقليد الفاسق الذي لا

يؤمن على الدين أو الدنيا، فالعقل والفترة يحكمان بعدم جواز رجوع الجاهل إلى الجاهل الذي مثله، ويمنعان من الرجوع إلى غير أهل الخبرة مطلقاً، والعقلاء لا يعتمدون على قول الفاسق ويذمون متبعية، ومن لا أمان له عندهم في أمور دنياهم، فهو بطريق أولى لا أمان له في أمور دينهم.

وقد أجمع الفقهاء على عدم وجوب التقليد في الضروريات كأن يقلد في أصل وجوب الصلاة والصوم والحج وغيرها من الواجبات لأنها واجبة بضرورة الدين وأمر مفروغ عنها في أصل الشريعة وإنكار وجوبها إنكار لأحد ضروريات الدين، وهكذا بالعكس، لا يجب التقليد في أصل حرمة الكذب مثلاً أو الغيبة أو الزنا أو غيرها من المحرمات الثابتة بضرورة الدين، لأن إنكار حرمة المحرمات أيضاً إنكار لضرورة من ضرورات الدين، فإنكار وجوب الواجبات المسلمة وإنكار حرمة أحد المحرمات المسلمة إن كان عن عمدٍ وعلم يوجب ويستلزم الخروج من الدين.

وكذا لا يجب التقليد في اليقينيّات إذا حصل له اليقين بها، كما لو قال المجتهد: هذا السائل خمر يحرم شربه، ولكن أيقن العامي أنه ماء طاهر. مثلاً. فإنه لا يجب عليه الإجتناّب عن ذلك

السائل بل يجوز له شربه واستعماله خلافاً لرأي المجتهد الذي يقلده، لأنه من قبيل تشخيص الموضوع الذي يعدّ من شؤون المقلد والمكلف لا المجتهد.

وثانياً: قد نهت الشريعة عن التقليد في أصول الدين كالنوحيد والعدل والتبوة والإمامة والمعاد يوم القيامة، نعم أجازت التقليد في المسائل الجزئية والخلافية التي تتعلق بكل أصل من أصول الدين، لأنها أمور تخصّصية لا يتسنّى لكل أحد من المؤمنين أن يخوضها ويطلبها ويعرفها بنفسه، ولأنها أمور استدلالية يعجز عن استخراجها من أدلتها، فهي حينئذٍ لا تختلف عن فروع الدين والأحكام العملية إلا أنها أحكام عقائدية علمية، كما في كيفية علم الله - تعالى - بالأشياء، وكيفية إرادته - تعالى - وهل هي من صفات الذات أو هي صفة فعل؟ وتفاصيل المعاد، وكيفية الحشر والنشر والحساب والجزاء ومعنى العدالة الإلهية، وكيفية خلود أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة، ومعنى العصمة لدى الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وعلم النبي والإمام عليهما السلام، إذن لا يجوز التقليد في أصل وجود الله - تعالى -، ولا في أصل توحيده ووحدانيته - تعالى -، ولا في أصل صفات كماله - أي صفات الجمال والجلال -، ولا في أصل المعاد والحشر والنشر

والحساب، ولا في أصل نبوة الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم، لا سيما نبينا الخاتم محمد صلى الله عليه وآله، ولا في إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ولا في أصل عدالة الله - تعالى - وأنه يجزي المحسن بالإحسان، ويعاقب المسيء بمثل إساءته .

ومعنى عدم وجوب التقليد أو عدم جواز التقليد فيها أنه لا يكفيه أن يعتقد ويقول لأن المجتهد الفلاني - أي مرجع تقليدي - يقول: إن الله - تعالى - موجود، فأنا أعتقد بوجوده - تعالى -، أو لأنه يقول: إن الله - تعالى - عادل، فأنا أعتقد بعدالته - تعالى -، أو لأنه يقول: محمد صلى الله عليه وآله نبينا، فأنا أعتقد بنبوته، أو لأنه يقول: علي عليه السلام أو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام إمام، فأنا أعتقد بإمامته أو إمامتهم، وهكذا، بل يجب عليه في هذه الأمور أن يفكر ويتأمل فيها ويبحث عن أدلتها، نعم طالما هي من ضروريات الدين والمذهب يكفيه أن يعتقد بها عن جزم، ولو لم يوفق إلى البحث والتحقيق والبرهنة والاستدلال، وإن كانت المعرفة عن دليل وبرهان أتم وأكمل وأفضل .

والحمد لله رب العالمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س): يبدو أنكم تريدون أن تشرحوا أصول العقائد، فما علاقة أصول الدين بالرسالة العملية والأحكام الشرعية؟

ج): إعلم أن علماءنا في الأزمنة الماضية كانوا يبدأون رسائلهم العملية ببيان أهم ما يتعلق بأصول الدين، وبيان نبذة عن المسائل العقائدية التي هي مورد ابتلاء المكلفين، وهي المسائل الأساسية التي يُسأل عنها المسلم في قبره وعند الحساب يوم القيامة كما دلّت عليه كثير من الأخبار والأحاديث، وعلى نهجهم سار بعض علمائنا المعاصرين في زماننا هذا حيث بدأوا رسائلهم العملية بنفس تلك الطريقة، وللأهمية التي لاحظناها في ذلك فقد بادرنّا إلى شرح موجز وبيان مبسوط لأصول العقائد تيمناً وتبرُّكاً بها، وليكون عوناً للجيل الصّاعد والقادم في معرفة أصول دينه التي هي أهم من الفروع، ولا ينفع العمل إذا كانت العقيدة فاسدة،

إذ العقيدة هي المبنى والأساس الذي يُبنتى ويُبنى عليه الدين ولا يصحّ عمل ولا يُقبل عند الله - تعالى - إلا إذا كان مبنياً على أساسٍ سليم صحيح ونابعاً من عقيدة سليمة بعيدة عن كلّ الشبهات، خالية من الشوائب، وذلك أن الإنسان قد يعذب بل قطعاً يعاقب ويعذب يوم القيامة على ترك الواجب أو فعل الحرام عالماً عامداً، غير أنه لا يخلد في النار إذا كانت عقائده سليمة، أمّا من كانت عقائده فاسدة فإنه يخلد في النار، إلا إذا كان معذوراً عند الله - تبارك وتعالى -، وعليه فلا يجوز التهاون في العقائد بل يجب الاهتمام بها، وبذل الجهد في سبيل ذلك، والبحث عن أدلتها وبراهينها، إذ كيف يجوز أن يسعى الإنسان ويبدل قصارى جهده من أجل دنياه ودنيا غيره أحياناً، لكنّه يغفل الجانب الأساسي والمهمّ الذي خلق من أجله ويحاسب عليه، وهو حياته الأخروية والدار الآخرة التي لا تنقطع، إمّا نعيم خالد أبدي، أو شقاء وعذاب وخلود في النار - أجازنا الله تعالى من ذلك - ولهذا فقد قال ﷺ: «اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل»^(١)، ولهذا أيضاً قال - تعالى - ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢)

(١) نهج البلاغة ج ١ / ٩٣ (محمد عبده)، الكافي ج ٨ : ٥٨ فمن ح ٢١،

ارشاد المفيد ج ١ : ٢٣٦ امالي المفيد : ٩٣ و ٣٤٥.

(٢) سورة البقرة : ٢٥، و....

في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فجعل العمل الصالح في كلِّ موضع مقروناً بالإيمان والعقيدة السليمة، وفسّر هذا الإيمان بقوله - تعالى - ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (١)، وقال - تعالى - : ﴿ آتَتْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (٢) بل جعل الإيمان والعقيدة السليمة سبيل النجاة حيث قال - عزّ شأنه - : ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٣) فالقلب موضع العقيدة ووعاء الإيمان، ولا يكون سليماً إلاّ بسلامة الظروف والموضوع الذي بداخله وهو العقيدة والإيمان، فلا يجوز التهاون والتقصير في هذا المجال، بل على المسلم أن يقضي شرطاً من عمره منكباً على المعرفة، وأعلى مراتب المعرفة معرفة أصول الدين، وهي التي سمّيت بـ «الفقه الأكبر» مقابل الأحكام والمسائل الشرعيّة وفروع الدين التي أطلق عليها «الفقه الأصغر»، ولهذا قيل: «أول العلم معرفة الجبار وآخر العلم تفويض

(١) سورة البقرة: ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة: ١ - ٣ .

(٣) سورة الشعراء: ٨٩ .

الأمر إليه»^(١).

ثم إنَّ أهمَّ القضايا المتعلقة بالعقائد فطريّة «كوجود الخالق والصّانع الحكيم» لقوله ﷺ: «كُلُّ مولود يولد على الفطرة»^(٢) أي مؤمناً بالخالق الحكيم، أو عقلية «كوحداية الله - تعالى -»، لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣) إذ يحكم العقل بأن تعدّد الصّانع يوجب الخلاف والاختلاف المقتضيان للفساد، أو فطرية عقلية كالإيمان بالعدل الإلهي.

وكيف كان فأهميّة أصول العقائد التي هي أول شيء يُسأل عنه الإنسان بعد الموت، تدعونا وتحفّزنا إلى أن نبدأ كتابنا هذا بأهمّ ما يتعلّق بها من المسائل التي يُسأل عنها المسلم أسوةً بفقهاءنا الأبرار ومحدّثينا الأخيار الذين بدأوا كتب الفقه والحديث بما يخصّ أصول الدّين، عسى أن نوقف في تحقيق ما نرمي إليه.

والحمد لله ربّ العالمين

(١) الذريعة ج ٢٣: ١٥٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٢/ ١٠٤، عوالي اللئالي ج ١/ ٣٥ ح ١٨، الكافي ج ٢/ ١٣، توحيد الصدوق: ٣٣١.

(٣) سورة الشعراء: ٨٩.

الدرس السابع

طرق الوصول إلى معرفة أصول الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(س): هل أصول العقائد في جميع الأديان واحدة أم أنها تختلف من دين إلى دين؟

(ج): لا شك أن الحاجة إلى الدين حاجة فطرية نشأت منذ أن خلق الله - تعالى - أبانا آدم عليه السلام إذ كان نبياً، فلم يخلُ زمان من نبيٍّ أو وصيِّ نبيٍّ، وعليه فهناك ثلاثة أصول اجتمعت عليها وأطبقت عندها جميع الأديان السماوية هي التوحيد والتبوء والمعاد، لكن يمكن إضافة عقائد أخرى إليها إما لأنها مأخوذة ومستقاة منها، أو لأنها من توابعها، لتكون جميعاً من أصول العقائد، فالاعتقاد بوجود الله - تعالى - أصل من أصول جميع الأديان السماوية، وأما الاعتقاد بتوحيده - تبارك وتعالى - فهو أصل آخر لكنه مأخوذ من الاعتقاد بوجود الله - تبارك وتعالى - أو من توابعه ولوازمه، وهكذا العدل فإنه من توابع التوحيد ومتفرع عليه إلا أنه

أصل من أصول المذهب الجعفري الاثني عشري، كما أن الإمامة أيضاً من توابع النبوة.

والنتيجة: أن أصول الدين قد ترد بالمعنى العام الذي يقابل فروع الدين وهي حينئذٍ تشمل جميع العقائد المعتمدة، وقد ترد بمعنى خاص يقتصر على الأصول الثلاثة التي أجمعت عليها جميع الأديان السماوية وهي «التوحيد والنبوة والمعاد».

س): علمنا ضرورة معرفة ما يتعلق بالدين من أصول وفروع، فما هي الوسائل والطرق التي بها نتوصل إلى معرفة هذه الأمور؟
ج): إعلم أن طرق المعرفة التي بها يتوصل الإنسان إلى معرفة الأشياء تنقسم إلى أربعة أقسام:

١- المعرفة التجريبية الحسية، وهي المعرفة التي تتحقق بواسطة الآلات الحسية كالجوارح والأعضاء، ولا تخلو هذه المعرفة من الاستعانة بالعقل في التجربة والمشاهدة والاستنتاج، وتسمى المعرفة العلمية.

٢- المعرفة العقلية: أو بواسطة العقل والبراهين العقلية، وتسمى المعرفة الفلسفية.

٣- المعرفة التعبديّة: وهي التي تحصل بواسطة مصدر معتمد، كالمعرفة الحاصلة بالشيء عن طريق المخبر الصادق الأمين، كما

هو الحال فيما يتعلّق بأحكام الدّين، وتسمّى المعرفة الدّينية .
 ٤- المعرفة الشّهوديّة: التي تحصل بواسطة الرياضات
 النفسانيّة والعبادات الرّوحانية، وتسمّى المعرفة العرفانيّة .
 ثم إنّ الطّريقة التي تنحصر فيها معرفة أصول الدين هي
 الطّريقة العقلية الفلسفيّة، كما أنّ الطّريقة التي تنحصر بها معرفة
 فروع الدّين هي المعرفة التّعبديّة، نعم يمكن الاستعانة بالتّجربة
 الحسيّة أو الكشف والشهود أيضاً لمعرفة أصول العقائد ولإثبات
 الأدلّة العقليّة، كما يمكن الاستعانة بالعقل لمعرفة بعض الأحكام
 الشّرعيّة وفروع الدّين إذ «كلّ ما حكم به العقل حكم به الشّرع»^(١)،
 وقال عليه السلام: «العقل ما يعبد به الرّحمن وتكتسب به الجنان»^(٢).

والحمد لله ربّ العالمين

(١) المراجعات: ٣٢٨، اصول الفقه (محمد رضا المظفر) ج ١ / ١٨٩،
 دروس في علم الاصول (محمد باقر الصدر) ج ١ / ١٠١ .
 (٢) الكافي ج ١ / ١١ ح ٣، وسائل الشيعه ج ١٥ / ٢٠٥ ح ٣، بحار الأنوار
 ج ١ / ١١٦ ح ٨ و ج ٢٣ / ١٧٠ ح ٤٤٧، معاني الاخبار ص ٢٤٠ .

الدرس الثامن

ضرورة التفقه بأمر الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: ذكرت في الدرس السابع أنّ طرق المعرفة أربعة، وأنّ طريق معرفة أصول الدّين هو العقل، وطريق معرفة فروع الدّين هو التّعبد والشرع، سواء كانت هذه الفروع من أحكام أصول الدّين أو من الأحكام الفرعية الشرعية، أعني سواء كانت من الأحكام العقائدية أو من الأحكام العملية، والسؤال المطروح هنا: ما هي الضرورة التي تدعو إلى تحصيل العلم والمعرفة بشؤون الدّين - سواء الأصول أو الفروع -؟ وما الحاجة إلى هذه المعرفة؟

ج: يكفي في الحاجة إلى معرفة ما يتعلّق بنا من أحكام الدّين وشؤونه وضرورة السّعي وراء هذه المعرفة احتمال وجود المبدأ والمعاد، بيان ذلك: أن الإنسان العاقل الذي بلغ سنّ التكليف يحتمل أن يكون لهذا العالم مبدأً أوجده وخلقه وهذا المبدأ حكيم في صنعه وفعله، وجميع الخلائق تدلّ على ذلك،

ويحتمل أيضاً أن يكون هناك معاد وآخرة ويحاسب على أفعاله وأعماله فيها، فمجرد هذا الاحتمال يستلزم ضرورة البحث والتحقيق عن المعرفة، والسعي إلى معرفة ما يجب عليه من الاعتقادات والمعتقدات القلبية، ومعرفة ما يجب عليه من الأفعال المطلوبة منه عند الخالق الحكيم، إذ لما كان للإنسان والعالم بأسره خالق حكيم عليم ولم يكن الموت انقراضاً وانعداماً، بل كان بداية حياة أبدية وخلود أبدي، وكان مخلوقاً لغاية سامية، وقد أعد له الخالق الحكيم برنامجاً خاصاً وسلوكاً معيناً وتكاليف محدودة، وكان التخلف عنها موجباً للشقاء والخسران الأبدي، فإن الفطرة الإنسانيّة توجب عليه أن يعتني بهذا الاحتمال ويسعى إلى معرفة ما يحتمل أن يدفع عنه الشقاء الدائم ويضمن له السعادة الأبدية مهما كان الاحتمال ضعيفاً، وذلك نظراً إلى عظمة المُحتمَل وأهمّيته، والمُحتمَل هو الشقاء الأبدي أو النعيم الأبدي، فشدّة ما قد يلاقيه من العذاب الأخرى، أو حلاوة ما قد يجده من النعيم الأبدي يكفي لأن يدفع الإنسان إلى تحصيل المعرفة ثم العمل بما توصل إليه علمه لدفع العذاب المُحتمَل أو لجلب المنفعة المُحتمَلة أو لكليهما، إذ العمل متوقّف على المعرفة، والمعرفة شرط في صحّة العمل، كما

أنّ صحّة العمل وإخلاص العامل شرطان لقبول العمل، أليس الإنسان إذا احتمل وجود تيار كهربائي في ماء الحوض - مثلاً - وأن إدخال يده في الماء قد يؤدي بحياته، ويؤدي الى هلاكه ومماته، أليس هذا الاحتمال مهما كان ضعيفاً يكفي لكي يتجنّب الانسان ويمتنع من إدخال يده في ماء الحوض؟! لأنّ المحتمل وهو الهلاك والموت أمر عظيم عنده؟

إلا إذا كان مختلاً عقلاً أو مجازفاً بحياته، هذا في العذاب المنقطع وهو الموت، فكيف به وهو يحتمل عذاباً أبدياً لا ينقطع، ألا يجب أن يبحث ويحقّق عمّا يؤمّنه ويضمن له الأمان من ذلك العذاب والشقاء؟

وهكذا العكس: لو احتمل أحدنا أن عملاً معيناً مهما كان هذا العمل شاقاً وخطيراً قد يؤدي إلى حصوله على ثروة عظيمة وكنز كبير، كالغوص تحت الماء رغم مشقّته ومخاطره الاحتماليّة، ورغم أن احتمال حصوله على اللؤلؤ والثروة ضعيف، فإنّه بمجرد هذا الاحتمال يتحمّل المشاق ويغوص بحثاً عن اللؤلؤ أو الكنز المحتمل، وذلك أن أهميّة المحتمل عنده - وهو العثور على اللؤلؤ أو الكنز تحت الماء - تجعله لا يعتني بما قد يصيبه من أذى ومشاقّ في سبيل العثور على مبتغاه، ويتحمل ذلك في سبيل

الغنى والثروة، فما حاله إذا كان يحتمل ثروة عظيمة وغنى دائماً، ونعيماً ورخاءً وسعادة أبدية، ألا يجدر به أن يبذل أقصى ما في وسعه للعثور على طريق يهتدي إليها، ثم يبذل قصارى جهده لنيلها بالعمل الصالح النافع الذي يوصله إليها والذي يمكنه من الفوز بها؟!

(س): قرأنا فيما مضى عن طرق المعرفة وأهميتها والحاجة إليها، فهل هناك شروط للحصول على هذه المعرفة؟

(ج): لا شك أن المعرفة علم و«العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء»^(١)، وإذا كان هذا العلم يتعلّق بمعرفة الله - تعالى - وأصول العقائد وأحكام الشريعة، فهو غاية الكمال وأعلى مراتب المعرفة، وتسمّى هذه المعرفة «حكمة»، و«الحكمة ضالة المؤمن»^(٢) يبحث عنها أينما كان وهي الكنز الذي لا يعثر عليه كلّ أحد، ولا تُمنح لكلّ النَّاس، بل تعطى للمجاهدين بالجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، والذين رَوّضوا أنفسهم على طاعة الله - تعالى - وخالفوا أهواءهم لقوله تعالى: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

(١) مصباح الشريعة ص ١٦، الدر المنثور (السيوطي) ج ٥ / ٢٥٠.

(٢) نهج البلاغة: ٤٨١ حكمة ٨٠، الكافي ج ٨ / ١٦٧ ح ١٨٦، بحار الأنوار ج ٢ / ٩٩ ح ٥٧ وص ١٠٥ ح ٦٦.

سُبُّنَا ﴿^(١)﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُوتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿^(٢)﴾، وهكذا ﴿وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿^(٣)﴾.

ولا شك أن الإنسان مفطور مجبول على حب العلم والمعرفة ويميل إليهما بفطرته، لأن إنسانية الإنسان بعقله والعلم ثمرة العقل، ولهذا فالإنسان يكره الجهل والجاهل، ويكره أن يوصف بهما حتى وإن كان جاهلاً، وقد شبه الإسلام العلم بالتور، والجهل بالظلام، وشبه الجاهل بالميت والعالم بالحي في قوله ﷺ: «العالم بين الجهال كالحي بين الأموات»، إلا أن بعض العلوم أشرف من بعض، وشرف العلم بشرف موضوعه، فمثلاً علم معرفة الإنسان أشرف من علم معرفة الحيوان لأن الإنسان أشرف من الحيوان وعلم الأحياء أشرف من علم الجماد، فأشرف العلوم على الإطلاق هو العلم الباحث عن الله - تعالى - وما كان موضوعه الواجب - جلّ وعلا - لأنّ الله - تعالى - أشرف ما في الوجود، لا يقاس بشرفه أحد من خلقه، ولا يدانيه في الشرف شريف، وثمره

(١) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) سورة فصلت: ٣٥.

هذا العلم هو الإيمان والعمل الصالح الكفيل بسعادة الدارين ﴿مَنْ
عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة﴾^(١)،
وهو علم مبني على العلم والبرهان: ﴿أدعُ إلى سبيل ربِّك
بالحكمة والموعظة الحسنة﴾^(٢)، و﴿ولا تقفُ ما ليس لك به
علم﴾^(٣)، ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^(٤)

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة النحل : ٩٧ .

(٢) سورة النحل : ١٢٥ .

(٣) سورة الإسراء : ٣٦ .

(٤) سورة يونس : ٣٦ .

الدرس التاسع التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س): تقدّم في الدرس الخامس أن أصول الدّين خمسة هي: «التوحيد، العدل، النّبوة، الإمامة، والمعاد يوم القيامة» فما معنى التوحيد؟

ج): قبل أن نخوض في مسألة التّوحيد ينبغي أن نعرّج على ما هو أهمّ من التّوحيد، لأنّ التوحيد مبنيّ عليه، وهو متقدّم رتبةً على التوحيد، ويرد في مرتبة متقدّمة على التوحيد، ألا وهو «وجود الله - تبارك وتعالى -»، وإنما لم يُجعل وجوده - تبارك وتعالى - أصلاً مستقلاً في الأصول والعقائد لأننا أولاً: إذا أثبتنا التّوحيد فقد أثبتنا الوجود، لأنّ التّوحيد كما قلنا متفرّع على أصل الوجود، وتوحيده - تعالى - متوقّف على وجوده - عزّ وجلّ -، وثانياً: لأنّ التوحيد أمر عقلي، والوجود أمر فطري، والفطري أشدّ وضوحاً من العقليّ، نعم هما متلازمان، أي يلزم من وجوده

- تعالى - توحيد، ولهذا فقد اعتبروا وجوده - تعالى - أمراً مسلماً مفروغاً عنه، لا يحتاج الى دليل وبرهان، بل يكفي في التصديق والاعتقاد بوجوده - تعالى - العودة الى الوجدان والفترة السليمة، ولا ينكر وجوده - تعالى - إلا مكابر معاند، بل منكر وجوده - تعالى - منكر لكل مخلوق ولأصل الخلقة والخليقة، ومنكر لنفسه بطبيعة الحال، إذ كيف يمكن للفترة والوجدان والعقل السليم أن تحكم باستحالة أن توجد البعرة من غير بعير، وامتناع أن يوجد الدخان بلا نار، وهكذا في سائر الأشياء الجزئية البسيطة، ولكنها إذا وصلت إلى هذا الكون العظيم والخلق العجيب تزعم بأنها وجدت بالصدفة ومن غير خالق، فتنكر وجود خالق للكون والكائنات، أليس هذا سفسطة وباطل وهراء؟! وأليس هذا مغالطة صريحة وافتراء وانحراف عن الجادة والصراط المستقيم، وخروج عن الفترة والوجدان والعقل السليم؟! قال - تعالى -:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

وثالثاً: لأن وجوده - تعالى - لكثرة ما يدل عليه وشدة

(١) سورة الطور: ٣٥.

وضوحه وبيانه غنيٌّ عن البيان والاستدلال ولهذا قيل : «توضيح الواضحات من أشكال المشكلات»^(١)، أليست كل هذه الآيات والعلامات والبيّنات تدل عليه؟!، انظر الى آيات الآفاق والأنفس أما تكفي دليلاً وشاهداً على وجوده - تبارك وتعالى -؟!، ﴿وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^(٢).

وهكذا: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحق﴾^(٣)، وقوله - تعالى -: ﴿ولكلّ وجهةٍ هُوَ موليها﴾ .
ثم كيف يمكن الاستدلال على وجوده - تبارك وتعالى - وذاته المقدّسة وهو الثور الذي ملأ الخافقين، ولشدة نوره لا يمكن النظر الى حاقّ ذاته والوصول الى حقيقة صفاته سيّما للمخلوق الملوّث بالمادّة والمتعلّق بالمادّيّات، هذا فضلاً عن إمكان إنكار وجوده المقدّس - جلّت عظّمته - إذ كيف يمكن إنكاره ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(٤)، ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة

(١) لم أجده .

(٢) سورة الذاريات : ٢٠ - ٢١ .

(٣) سورة فصلت : ٥٣ .

(٤) سورة الحديد : ٤ .

إلا هو رابعهم»^(١)، و«هو الأوّل والآخِر والظاهر والباطن»^(٢)،
«وهو اللّطيف الخبير»^(٣)، و«فأينما تولّوا فثمّ وجهُ الله»^(٤)،
أيضاً «وهو الَّذي في السّماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ»^(٥).

ولهذا فقد ورد في دعاء الصباح: «يا مَنْ دَلَّ على ذاتِهِ بذاتِهِ»^(٦)
وهل هناك شيءٌ بعد هذا يمكن أن يُستدلَّ به على وجوده -
سبحانه وتعالى -؟، إذ مَنْ دَلَّ على ذاته بذاته، وعلى وجوده
بوجوده، وعلى عظمته بعظمته، وعلى علمه بعلمه، وعلى صفاته
بصفاته، هل يحتاج الى الاستدلال والبرهان على أصل وجوده -
سبحانه وتعالى -؟! ولهذا قال الإمام الحسين - عليه أفضل الصلاة
وأتمّ التسليم - في دعاء يوم عرفة: «سبحانك متى غبت حتّى
تحتاج الى دليل»^(٧)، وقال أيضاً عليه السلام: «عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تراك عليها
رقيباً»^(٨).

(١) سورة المجادلة: ٧.

(٢) سورة الحديد: ٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٠٣، سورة الملك: ١٤.

(٤) سورة البقرة: ١١٥.

(٥) سورة الزخرف: ٨٤.

(٦) الامالي (الشيخ المفيد): ٢٥٤.

(٧) بحار الأنوار ج ٦٤ / ١٤٢، وج ٩٥ / ٢٢٦.

(٨) بحار الأنوار ج ٦٤ / ١٤٢، وج ٩٥ / ٢٢٦.

س) : إذا كان وجوده - تعالى - أوضح من أن يحتاج إلى دليل وبرهان ، فما بال القرآن الكريم قد احتوى على جملة من الآيات الدالة على هذه البراهين والاستدلال على وجوده - تبارك وتعالى - ، كما في آيات الآفاق والأنفس التي استشهد بها القرآن الكريم؟! وهكذا ماورد في السُّنَّة الشريفة من الأخبار والأحاديث المتعلقة بهذا الأمر؟!

بالإضافة إلى ما في كتب الفلاسفة الاسلاميين وغيرهم من الموحدين وعلماء الكلام من التعرض مفضلاً للاستدلال على إثبات أصل وجوده - تبارك وتعالى -؟! أليس هذا دليلاً على عدم كونها مسألة فطرية بديهية ، بل أنها مسألة نظرية تحتاج إلى الأدلة والبراهين؟!

ج) : ما ذكرتموه من الآيات والأخبار وآراء الفلاسفة في هذا الخصوص صحيح لا غبار عليه ، وإنما الإشكال في ادعاء أن ذلك يدل على كون مسألة أصل وجود الواجب - تعالى - التي تعرضنا لها في هذا الدرس من المسائل النظرية المحتاجة إلى الدليل والبرهان ، لأن جميع ما ورد في هذا الشأن من الآيات والأحاديث وأقوال الفلاسفة ما هي إلا إرشادات وتنبهات إلى حكم الفطرة والعقل ، ولا يُعدّ شيء منها استدلالاً مستقلاً أو دليلاً

في حدّ ذاته، فمثلاً قوله - تعالى -: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(١)، أو قوله ﷺ: «بك عرفتك، وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدر ما أنت»^(٢)، أو قوله ﷺ «عرفت ربّي برّبّي»^(٣) وغيرها من الآيات والأخبار إنّما هي صريحة واضحة في أنّها إرشادات وتنبهات إلى حكم العقل أو الفطرة، وأمّا أقوال وبراهين الفلاسفة الإلهيين، مثل «برهان الصّديقين» وهو كيفية معرفة الله - تعالى - بالله، الذي يعدّ إشارة إلى قول المعصوم ﷺ: «عرفتُ ربّي برّبّي» أو «بك عرفتك»، وهو يتضمّن هذه المعاني، وكيف يعرف الإنسان ربّه برّبّه؟ وهكذا البراهين التي أقامها الفلاسفة الطبيعيّون مثل «برهان الحركة» أو «برهان المعرفة» أي معرفة النفس أو «برهان الحدوث» أو «برهان الإمكان»، وما شابهها من البراهين إنّما هي تنبيهات وإرشادات إلى حكم الفطرة والعقل ليس إلّا.

والحاصل أنّ مَنْ تجلّت ذاته المقدّسة، ونوره الأنور، ووجوده الأقدس، وعظمته وكبرياؤه في كل مخلوقاته، لا يخفى

(١) سورة الطور: ٣٥.

(٢) الصحيفة السجادية (الابطحي): ٢١٤ و ٢٤٨، اقبال الاعمال

ج ١ / ١٥٧ و ٢٩١، بحار الأنوار ج ٣ / ٢٧٠.

(٣) فيض القدير ج ٦ / ٢٣٥، شرح الاسماء الحسنی ج ١ / ٣٦.

على أحد، وحاشاه أن يغيب عنهم أو يحتاج الى دليل، ولهذا قال الشاعر:

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدٌ^(١)
وقال عليه السلام «سبحانك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل»^(٢)، وقال
الفلاسفة والعرفاء: «الطريق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»^(٣)، فهو -
تعالى - أدل دليل على ذاته المقدسة.

والحمد لله رب العالمين

(١) المجازات النبوية: ص ٢٢١، ديوان أبي العتاهية ص ٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٤ / ١٤٢، وج ٩٥ / ٢٢٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٤ / ١٣٧.

الدروس العاشر

الدليل على وجود الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقد جاء في مقدّمة الرّسالة العمليّة للمرجع الديني الكبير سماحة آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني - دام ظلّه - باللّغة الفارسية، عن وجود الله - تعالى - وطرق الإيمان به - تعالى - ونعم ما جادت به بنانه، وبوركت صفة يمينه، وإيكم خلاصة ما ورد هناك مترجماً من الفارسية: (١)

طرق الإيمان بالله - تعالى - متعدّدة: فإنّ أهل الله دليلهم على الله ووسيلة معرفتهم إلى الله - تعالى - هو الله - تعالى - ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢)، «يا من دلّ على ذاته بذاته» (٣)، «بك عرفتك وأنت دللتني عليك» (٤).

(١) من صفحة ٢٧ حتى الصفحة ٤١ من الكتاب.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) الامالي الشيخ المفيد: ٢٥٤.

(٤) الصحيفة السجادية (الابطحي): ٢١٤ و٢٤٨، اقبال الاعمال ج ١ /

١٥٧ و٢٩١، بحار الأنوار ج ٣ / ٢٧٠.

وأما غيرهم - فباختصار - نشير إلى بعض الطرق التي تناسبهم والمؤدية إلى معرفة الله - تعالى - والإيمان به عندهم :

ألف : حين يتأمل الإنسان ذاته وما يحيط به من المدرّكات، ثم يتأمل ويلاحظ كلّ جزء من أجزائها، فإنّه يجد أنّ عدم ذلك الجزء وتلك الذرّة ليس بالأمر المحال، وأنّ وجوده وعدمه سيّان، فليس لذاته ضرورة الوجود ولا ضرورة العدم، وكلّ ما كان وجوده وعدمه سيّان فهو يحتاج إلى سبب يوجدّه، ولما كان وجود كلّ جزء من أجزاء العالم محتاجاً إلى منعم الوجود ومانح الوجود، فإنّ معطي الوجود ومانحه إمّا نفس الوجود، أو غيره من سائر الموجودات، ولكنه يستحيل أن يكون هو الذي منح نفسه الوجود، وأوجد نفسه، لأنّ فاقد الشيء لا يعطيه، وأنّى له أن يمنح نفسه الوجود وهو بعد لا وجود له - أي قبل أن يوجد -، وإمّا أن يكون الموجد له موجوداً آخر مثله ونظيره، وهذا محال أيضاً لأنّ من يعجز عن إيجاد نفسه فهو أعجز عن إيجاد غيره، وهذا الحكم الجاري على أجزاء العالم فهو جارٍ على العالم بأسره.

ولهذا السبب فإنّ وجود الكائنات وكمالات الوجود - كالحياة والعلم والقدرة - تملّ على وجود حقيقة يكون وجودها وحياتها وعلمها وقدرتها ذاتية، نابعة من حاقّ ذاتها، غير متعلّقة

بغيرها، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(١)، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال: «أنت لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكون نفسك، ولا كَوْنُكَ من هو مثلك»^(٢).

وسأل أبو شاكر الديباني الإمام الصادق عليه السلام: ما الدليل على أنّ لك صناعاً؟ فقال عليه السلام: «وجدت نفسي لا تخلو من إحدى الجهتين: إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة، أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة فقد استغنيت بوجودها عن صنعها، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أنّ المعدوم لا يحدث شيئاً، فقد ثبت المعنى الثالث أنّ لي صناعاً وهو الله ربّ العالمين»^(٣).

فضرورة العقل تقتضي أنّ ما لم يكن ثم كان، لا بدّ أن يكون له موجد وصانع لا طريق للعدم إلى ذاته، وهو محض الوجود.
ب: إذا عثرنا على ورقة في صحراء كُتِبَ عليها حروف الهجاء من الألف إلى الياء بالترتيب الصحيح، فإن ضمير كل إنسان يشهد بأن رسم هذه الحروف وترتيبها لم يأت إلا عن إدراك

(١) سورة الطور: ٣٥.

(٢) عيون أخبار الرضا (ع) ج ٢/ ١٢٣ ح ٣٢، أمالي الصدوق: ص ٤٣٣

ح ٦، التوحيد (للصدوق): ٢٩٣ ح ٣ بحار الأنوار ج ٣/ ٣٦ ح ١١.

(٣) التوحيد (للصدوق): ص ٢٩٠ ح ١٠، بحار الأنوار ج ٣/ ٥٠ ح ٢٣.

ومعرفة، ولو وَجَدَ فيها كلمة مؤلفة من تلك الحروف، أو كلاماً مؤلفاً من الكلمات، فإنه بقدر ما فيها من الدقة في التأليف والتركيب، يؤمن ويصدق بمدى علم المؤلف ووعيه وثقافته، ثم يستدلّ بذلك على مدى علم القائل والمؤلف وحكمته، أفهل تركيب نباتٍ من العناصر الأولية أقلّ أهمية للاستدلال على عظمة صانعه وعلمه وحكمته، من تلك العبارات والجمل التي لا ينكر دلالتها على علم المؤلف لها؟!

مجرّد التأمل في صنع شجرة وإيجاد عروقها التي تتفرّع منها آلاف الأوراق في نظام محيّرٍ مذهس، والقدرة التي أودعت في كلّ خليةٍ من خلايا الورق كي تمتصّ الماء والغذاء بواسطة الجذور من أعماق الأرض، يكفي للإيمان بالعلم اللامتناهي والحكمة اللامتناهية للصانع الحكيم: ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تُنبتوا شجرها، أإله مع الله بل هم قومٌ يعدلون﴾^(١)، ﴿أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون﴾^(٢)، ﴿وأنبتنا فيها من كلّ شيءٍ موزون﴾^(٣). فالتأمل في كلّ نباتٍ وفي كلّ شجرة من

(١) سورة النمل: ٦٠.

(٢) سورة الواقعة: ٧٢.

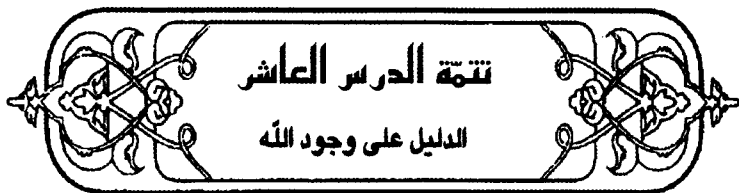
(٣) سورة الحجر: ١٩.

جذورها إلى ثمارها يكفي لمعرفة أنها آيةٌ من آياتِ علم الله - تبارك وتعالى - وقدرته وحكمته، وقد انحنت جميعاً وخضعت واستسلمت بتمامها وكمالها للنظام التكويني الذي أحاط بها وسيطر عليها: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾^(١).

وخلاصة القول أن النظام الدقيق في تكوين نباتٍ من البذرة الميِّتة المدفونة تحت التُّراب، ثم صعودها وارتفاعها نحو السماء وتفرُّعها إلى الأغصان واخضرار الأوراق على الأغصان، وخروج ثمرة خاصة منها، بحيث لا يخرج من بذرة الباقلاء، سوى نبتة الباقلاء، ولا يخرج من بذرة البنفسج سوى نبتة البنفسج وزهرتها، ولا يخرج من حصى النخيل إلا النخيل ولا يخرج من النخيل سوى البَلح والرَّطب والتَّمْر، بل لا تختلط ثمرة نخلة بنخلة أخرى، ولا أوراق شجرة أو ثمارها بشجرة أخرى، ولا زهرة نباتٍ بزهرة نباتٍ أخرى، وهلمَّ جرّاً، كلُّ ذلك وآلاف الأنظمة والقوانين الدَّقيقة التي أودعت في الطَّبيعة لهي أدلُّ دليلٍ وأسطع برهانٍ وأبينُّ آياتٍ على وجود الصَّانع الحكيم والقادر العليم.

والحمد لله (ربِّ العالمين)

(١) سورة الرحمن: ٦.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهكذا انظر إلى البيضة وحصارها المكون بجلدة غليظة تحتها جلدة رقيقة، وتحت الجلدة الرقيقة ذهب سائل وفضة جارية لا تختلط إحداهما بالأخرى، وكيف يتكوّن فيها الجنين بين ذهبها وفضتها ويتغذى عليهما ليخرج منها فرخاً إما ديكاً أو دجاجةً، فإنك لو تأملت في هذه البيضة الصّغيرة وما بداخلها وما يخرج منها والحرارة التي تحتاجها لكي يتكوّن الجنين بداخلها ويتحوّل الجنين إلى الفرخة بعد أن تكاملت أعضاؤه وجوارحه، وعناية الدّجاجة بتلك البيضة من الرّقاد عليها وقلبها من جانب إلى آخر وبثّ الحرارة اللازمة إليها وإحاطتها بكلّ وجودها حتى تفقس وتخرج فرخةً متكاملة، لو تأملت في البيضة هذه والفرخة لوجدت عشرات القوانين الدّقيقة التي تحيط بها ممّا لا محيص معها دون الإقرار بوجود الصّانع الحكيم القادر العليم، ولا مفرّ

منها دون الاعتراف بالخالق العظيم، لأنها آيات باهرات تحكي عظمة الخالق، بل تصرخ بأعلى الصّوت عن وجود يدٍ غيبية حكيمة عليمّة تصنع وترعى ذلك.

هذا قطرة من بحر أسرار عالم المادة والطّبيعة، وقيد شعرة من عالم النبات والحيوان المحيّر للعقول، فكيف لو تأملت في خلق الإنسان يُبعديه المادّي الجسدي، والمعنوي الرّوحي، فالتأمّل في أبسط تركيبة من جسد الإنسان يكفي للإقرار بوجوده - تعالى - ووحدانيّته، فعلى سبيل المثال: جعل الأسنان على ثلاثة أقسام، الثّنايا في الأمام، والأنياب بعدها، ثم الطّواحن الصغرى، ثم الطّواحن الكبرى، لو غيرنا مواضعها لوجدنا خللاً كبيراً في عملها ولعلّ قبلاً فاحشاً في منظر وجوهنا. وماذا لو كان الحاجبان تحت العينين لا فوقهما، أو كانت فتحة الأنف إلى الأعلى دون الأسفل؟

عمارة الأرض وعمارانها من حرثها وزرعها حتى إقامة أضخم المباني وإنشاء ناطحات السّحاب عليها، وأدقّ الصناعات وأظرفها، كلّ ذلك متوقّف على رؤوس الأصابع والظّفر الذي عليها.

والعجب كلّ العجب في أنّ الغذاء الذي عُدد لتكوين مادّة الظّفر بصلابتها هو نفسه الذي تخرج منه مادّة رقيقة شفّافة للعين

والبصر، تصل إلى العين بعد أن تطوي مراحل الهضم والجذب .
 هذه أمثلة لأبسط آثار العلم والحكمة، لا تحتاج إلى مزيد
 تأمل وتدقيق ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾^(١)، فكيف بأدقّ
 الأسرار وأخفاها التي تفتقر إلى التخصص في علم الطبّ البشري
 والتشريح، وعلم وظائف الأعضاء، والفحص بالأجهزة الخاصّة
 كالمنظار، ﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ﴾^(٢)، ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله
 لا تحصوها ﴾^(٣).

هذه الكتابة الحكيمة وهذه القوانين المتقنة بأيّ دواءٍ ومدادٍ
 علمٍ وقلمٍ حكمةٍ، وبأية قدرةٍ كتبت على قطرة ماء؟
 ﴿ فلينظر الإنسان ممّ خلق خُلِقَ من ماءٍ دافقٍ ﴾^(٤)، ﴿ يخلقكم
 في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلقٍ في ظلماتٍ ثلاثٍ ﴾^(٥).
 ثم ما هذا العلم والقدرة والحكمة التي خلقت من الحيوان
 المنويّ الذي لا يرى بالعين المجرّدة في ذلك الماء البشري
 المهين ما يرقى ويتكامل ليغوص بمشعل إدراكه وشعلة فكره في

(١) سورة الذاريات : ٢١ .

(٢) سورة الروم : ٨ .

(٣) سورة إبراهيم : ٣٤ ، سورة النحل : ١٨ .

(٤) سورة الطارق : ٥ و ٦ .

(٥) سورة الزمر : ٦ .

أعماق الآفاق والأنفس ويُسبر أغوارها، فيستخرج دفائن كنوزها ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لا يعلم﴾^(١)، ويتّخذ الأرض والسّماء مسرحاً لاستعراض مواهبه ومحطة لجولان قدرته وفكره ﴿ألّم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظهراً وباطناً ومن الناس من يُجذّل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتبٍ منيرة﴾^(٢).

فما عسى أن يقوله الإنسان في مقابل عظمة هذا العلم والقدرة والرّحمة والحكمة سوى ما نطق به كتابه الكريم ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، وما عساه أن يصنع سوى أن يعفّر خدّه وجبينه بالتراب ويقول: «سبحان ربّي الأعلى وبحمده».

بمقتضى الآية الكريمة: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾^(٣) ينبغي التأمّل في آفاق العالم وأطرافه، المليء والمزدحم بملايين الكواكب والنّجوم والشمس والقمر، التي لا يُرى أكثرها بالعين المجرّدة، ولا تصلنا لتطلّ علينا أنوارها وأشعتها إلّا بعد آلاف من السنين الضّوئية - التي تبلغ سرعتها قرابة ثلاثمائة ألف كيلومتراً في الثانية الواحدة -، ويفوق

(١) سورة العلق: ٣-٥.

(٢) سورة لقمان: ٢٠.

(٣) سورة فصّلت: ٥٣.

حجم بعضها حجم الكرة الأرضية بملايين المرّات، وبينها فواصل مرسومة، تدور في فلكٍ معيّن، يحكمها قانون الجاذبية العام، يرسم تعادلاً بينها، وتوازناً في حركتها ليحول دون وقوع الصّدام بينها، واصطدام بعضها ببعض، ويمنع تزاحم بعضها لبعض: ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١).

ج : كَافَّةُ التَّطَوُّرَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ لِلْمَادَّةِ، وَالتَّغْيِيرَاتِ الَّتِي تَجْرِي فِي الطَّبِيعَةِ تَدُلُّ عَلَى قَدْرَةِ تَفُوقِ الْمَادَّةِ وَأَعْظَمِ مِنَ الطَّبِيعَةِ، إِذْ تَأْتِي الْمَادَّةُ وَالْمَادِّيُّ مَرْهُونٌ بِالْوَضْعِ وَالْمَحَاذَاةِ فَالنَّارُ الَّتِي تَسْخُنُ بِحَرَارَتِهَا جَسَماً - مِثْلاً -، أَوْ الْمَصْبَاحُ الَّذِي يَنْبُرُ بِأَشْعَتِهِ وَضِيَاءَهُ فِضَاءً وَمَسَاحَةً، لَمْ يَكُنْ لِيَتَحَقَّقَ مِنْهُمَا هَذَانِ الْأَثْرَانِ فِي الْجِسْمِ وَالْمَكَانِ - الْفِضَاءِ - لَوْلَا حُصُولُ نِسْبَةِ وَضْعِيَّةٍ خَاصَّةٍ وَمَحَاذَاةٍ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْجِسْمِ وَالْمَكَانِ الْمَنْفَعَلِ وَالْمَتَأَثِّرِ بِهِمَا، هَذَا قَانُونٌ تَكْوِينِيٌّ ثَابِتٌ يَعْمَلُ كُلُّ مَادَّةٍ وَمَادِّيٍّ، وَلَا يَسْتَتْنِي مِنْهُ شَيْءٌ، إِذْ لَا بَدَّ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ النِّسْبَةِ الْمَعْيَنَةِ وَهَذَا الْوَضْعِ الْخَاصِّ لَوْ قُوعِ التَّأْتِيرِ بَيْنَ الْمُؤَثِّرِ وَالْمَتَأَثِّرِ، وَالْفَاعِلِ وَالْمَنْفَعَلِ، وَلَمَّا كَانَ حُصُولُ هَذِهِ النِّسْبَةِ وَهَذَا الْوَضْعِ بَيْنَ الْمَوْجُودِ وَالْمَعْدُومِ مُحَالاً، فَإِنَّ تَأْتِيرَ

(١) سورة يس : ٤٠.

المادّة والطّبيعة في الحوادث المادّيّة والمستجدّات الطّبيعيّة محال أيضاً، فكلّ معدوم يكتب له الوجود في السّماوات والأرضين يكون آيةً بيّنة ودليلاً قاطعاً على وجود قدرة غنيّة في تأثيرها عن الوضع والمحاذاة، وهي خارقة للطّبيعة، وفوق الجسم والجسمانيّات: ﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(١).

د: الإنسان مفطور مجبول على الإيمان بالله - تعالى -، فالإيمان يجري في فطرته مجرى الدّم في عروقه، لأنّه لا يستغني في ذاته وفطرته عن سند يستند إليه، وعن كنفٍ يكتنف به، وحصنٍ حصينٍ يلوذ إليه، وقدرة يعتمد عليها، بل بفطرته يحتاج إلى من يستند إليه ويتوكّل عليه، غير أنّ انشغاله وتعلّقه بالعلائق المادّيّة يفرضان عليه حجاباً يمنع من العثور على ذلك الحصن الحصين والكنف المنيع.

فإذا ادلهمتْ به الخطوب، ونزل به البلاء، وأحاطت به النوائب من كلّ حدبٍ ومكان، وحلّ به اليأس والشقاء والحرمان، وأيقن بأنّ مصابيح الأفكار عن هدايته منطفئة، وأيدي القدرة عن نصرته عاجزة، وأبواب الرّشاد بوجهه

(١) سورة يس: ٨٢.

موصدة، انتبه وجدانه، واستيقظ ضميره النَّائم، ليولّي وجهه بلا إرادةٍ ودون اختيار الى ساحة قدس الغنيّ بالذّات، ويستعين بلا انتظار بالقادر المتعال، الذي كان مفطوراً على الاتكاء والتّوكّل عليه والاستناد إليه فانشغل عنه بغيره، ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾^(١)، و﴿هو الَّذِي يَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَ تَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لئنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).
 قال رجل للإمام أبي عبد الله الصّادق عليه السلام: «يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ دُنِّي عَلَى اللَّهِ مَا هُوَ؟ فَقَدْ أَكْثَرَ عَلَيَّ الْمَجَادِلُونَ وَحَيْرُونِي، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَلْ رَكِبْتَ السَّفِينَةَ قَطُّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةَ تَنْجِيكَ وَلَا سَبَاحَةَ تَغْنِيكَ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَاكَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُصَكَ مِنْ وَرَطَّتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الصّادق عليه السلام: فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ حَيْثُ لَا مُنْجِي، وَعَلَى الْإِغَاثَةِ حَيْثُ لَا مَغِيثٌ»^(٣).

(١) سورة الحشر: ١٩.

(٢) سورة يونس: ٢٢.

(٣) التوحيد (للصدوق): ص ٢٣١، معاني الاخبار (للصدوق): ص ٤، بحار الأنوار ج ٣/ ٤١ ح ١٦ وج ٨٩/ ٢٣٢ ح ١٤، تفسير الامام العسكري: ص ٣٢.

ثم هذه المعرفة والعلاقة الفطرية بالله التي تحصل عند حلول
البلاء واليأس والشقاء قد تحصل أيضاً في حال الاختيار
والرخاء، لكن بجناحين هما العلم والعمل:

أولاً: بأن يمزق المرء حجاب الجهل بنور العقل والعلم
والمعرفة، ليرى بعين اليقين ويعلم علم اليقين بأن وجود
الموجودات وكمالاتها الوجودية ليست من صنعها ولا من صنع
نظائرها وأشباهاها، بل تبدأ وتنتهي جميعها إلى ذات قُدوسية
حكيمة تبدأ منه وتنتهي إليه، وجودها جميعاً منه وبه وله وإليه،
﴿هو الأول والآخِر والظَّاهِر والباطن وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾^(١).

ثانياً: أن يلتمس طريق الخير ويدفع عن نفسه دنس الرذائل
والصفات المذمومة باتِّباع التقوى وطهارة الروح وتركية النفس،
إذ لا حجاب بين الله - تعالى - وعبده سوى حجاب الجهل والغفلة
والمعصية: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢)، ﴿ونفسٍ
وما سواها فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكَّاهَا. وقد
خاب من دساها﴾^(٣).

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الحديد: ٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) سورة الشمس: ٧ - ١٠.

الدرس الحادي عشر

صفات الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(س): تقدّم أنّ وجود الله - تعالى - أمر ثابت بالفطرة والوجدان، وأنّ جميع الأشياء من حولنا تدلّ على وجوده - تبارك وتعالى -، فما هي الصفات التي يتّصف بها الله - سبحانه وتعالى -؟

(ج): لله - تعالى - نوعان من الصفات، الأول: الصفات الثبوتية، وتسمّى «صفات الجمال»، والثاني: الصفات السلبية، وتسمّى «صفات الجلال»، وهي جميعاً - أي النوع الأول والثاني - تسمّى «صفات الكمال».

(س): ما معنى الصفات الثبوتية والصفات السلبية؟

(ج): الصفات الثبوتية هي التي تتّصف بها الذات الإلهية المقدّسة، بل يجب أن يتّصف بها الله - تعالى -، والسلبية هي التي تنتزّه عنها الذات المقدّسة، أي يجب أن لا يتّصف بها الله - تعالى -.

س): ما هي الصفات السلبية ؟

ج): كل صفة تدلّ على النقص والمحدودية والحاجة إلى الغير تعدّ صفة سلبية ويجب نفيها عن ذاته المقدّسة، كالجسمانية وتوابعها من التكاثر والتناسل وكونه ذا أجزاء، وكالجهل بجميع مراتبه، والفقر، والضعف، وما شابه ذلك.

س): ما هي الصفات الثبوتية ؟

ج): الصفات الثبوتية على قسمين:

أ- الصفات الثبوتية الذاتية.

ب- الصفات الثبوتية الفعلية.

س): ما هي الصفات الثبوتية الذاتية ؟

ج): هي الصفات التي يتصف بها الله - تعالى - في ذاته المقدّسة، ومنتزعة من ذاته المقدّسة، كالحياة والعلم والقدرة، وهو - تعالى - متّصف بها من غير نظر إلى شيءٍ من أفعاله ومخلوقاته، وتسمّى «صفات الذات».

س): وما هي الصفات الثبوتية الفعلية ؟

ج): هي الصفات التي يتّصف بها الله - تعالى - من جهة ارتباطها بأفعاله ومخلوقاته، وهي منتزعة من علاقته - تبارك وتعالى - بمخلوقاته، كالخالقية، والرازقية، وتسمّى «صفات الفعل».

واعلم أنّ صفات الذات هي التّوابع الأصليّة لصفات الفعل، وأنّ أصل صفات الفعل يرجع إلى صفات الذات، مثلاً الخالقِيّة صفة يتّصف بها الله - تعالى - بعد ما يخلق شيئاً، ولكنّه - تعالى - قبل أن يخلق الأشياء كان في ذاته المقدّسة متّصفاً بالقدرة المطلقة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، فالخالقِيّة صفة فعلية قائمة بالقدرة وهكذا سائر صفات الفعل فإنها متوقّفة على صفة ذاتية، وصفات الذات متقدّمة عليها.

(س) : عدد لنا صفات الذات المقدّسة؟

(ج) : أهم هذه الصّفات وأصولها ثلاث:

الحياة وقد قال تعالى في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢).

العلم: قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٣)، وقال - تعالى - أيضاً: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٤)، وقال - تعالى - : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥).

(١) سورة البقرة: ٢٠، ١٠٩ ...

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) سورة غافر: ١٩.

(٤) سورة الأنعام: ٧٣.

(٥) سورة البقرة: ٢٩، سورة الأنعام: ١٠١.

القدرة: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

(س): عدد لنا صفات الفعل ؟

(ج): أهمّ هذه الصفات وأصولها أيضاً ثلاث:

الخالقِيَّة: قال - تعالى -: ﴿وَلئن سألْتهم من خلق السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ليقولنَّ اللهُ﴾^(٢)، ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾^(٣)،
 الرُّبوبيَّة: قال - تعالى -: ﴿ربُّكم وربُّ آبائكم الأوّلين﴾^(٤) وقال -
 تعالى -: ﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾^(٥)، وقال - تعالى - أيضاً:
 ﴿ربُّ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ﴾^(٦)، والرُّبوبيَّة معناها أنّ الله - تعالى -
 مدبّر لشؤون خلقه من مبدء الخلق الى المعاد وفي جميع
 الأحوال، إذ المخلوق كما يحتاج في نشأته إلى الله - تعالى - فإنّه
 يحتاج إلى الله - تعالى - أيضاً في بقاءه، ولهذا فالرُّبوبيَّة تنقسم إلى
 الربوبيَّة التكوينيَّة: وهي أنّ الله - تعالى - يقوم بإدارة شؤون جميع
 المخلوقات ويوفّر لها سبل الحياة والبقاء والكمال، وبعبارة أدقّ:

(١) سورة البقرة: ٢٠.

(٢) سورة لقمان: ٢٥.

(٣) سورة الصافات: ٩٦.

(٤) سورة الشعراء: ٢٦، سورة الدخان: ٨.

(٥) سورة الفاتحة: ١، سورة يونس: ١٠.

(٦) سورة الإسراء: ١٠٢، سورة الكهف: ١٤.

القيام بتدبير أمور الكون والكائنات، والرُّبوبيَّة التشريعيَّة: وهي تختص بتدبير أمور تضمن سعادة ذوي العقول والشُّعور، كالإنسان، وذلك بإرسال الرُّسل وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماويَّة، وتسنين القوانين والأحكام الكفيلة بسعادة الإنسان وكماله الأخروي.

فالرُّبوبيَّة المطلقة عبارة عن حاجة المخلوقات إلى الله - تبارك وتعالى - في كافَّة شؤونها التكوينيَّة والتشريعيَّة. الألوهيَّة: والإله، هو الذي يستحقُّ العبادة، والعبادة محرَّمة لغير الله - تعالى -، ﴿الله لا إله إلا هو﴾^(١)، ﴿لا إله إلا الله﴾^(٢)، «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»^(٣).

وهناك صفات فعليَّة أخرى لا بدَّ من الإشارة إليها: الإرادة: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(٤). الحكمة: قال - تعالى - ﴿وهو الحكيم الخبير﴾^(٥) وأيضاً:

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة محمد (ص): ١٩.

(٣) رسائل المرتضى ج ٢ / ٢٦٣.

(٤) سورة يس: ٨٢.

(٥) سورة الأنعام: ١٨، ٧٣.

﴿وهو الحكيم العليم﴾^(١). لأنّه لا يفعل شيئاً إلّا بحكمة ولحكمة .
الكلام: ﴿وما كان لبشرٍ أن يُكلِّمه الله إلّا وحياً أو من وراء
حجابٍ أو يُرسل رسولاً... الخ﴾^(٢).
وقال - تعالى -: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾^(٣).
الصّدق: قال - تعالى -: ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾^(٤).

والحمد لله ربّ العالمين

(١) سورة الزخرف: ٨٤ .

(٢) سورة الشورى: ٥١ .

(٣) سورة النساء: ١٦٤ .

(٤) سورة النساء: ٨٧ .

الدرس الثاني عشر مراتب التوحيد وأقسامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّوْحِيدُ هو الاعتقاد بوحداية الله - تعالى - بنفي التركيب في ذاته المقدسة وصفاته التي هي عين ذاته، ونفي الشريك له في خلقه وأمره، ونفي أن يكون له والد أو ولد: ﴿ قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد ﴾^(١)، ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾^(٢).

والتوحيد على أقسام:

١ - توحيد الذات، أي الواحد الذي لا شبيه له ولا نظير، والأحد الذي لا يقبل القسمة العقلية ولا القسمة الوهمية، وليست وحدانيته وحدانية عددية «واحد لا بالعدد»، ﴿ لقد كفر الذين

(١) سورة الاخلاص: ١ - ٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

قالوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴿١﴾، وليست وحدانيته - تعالى - وحدانيته نوعية بأن يقال: الله - تعالى - فرد من النوع الكذائي، كما يقال: أن زيداً فرد من أفراد النوع الإنساني.

٢- توحيد الصفات: والمراد هنا صفات ذاته المتعالية، دون صفات الفعل، إذ أن صفات الذات عين ذاته المقدسة كالحياة والعلم والقدرة، إذ تعدد الذات والصفات يستلزم التركيب والتجزئة، والتركيب يستلزم حاجة المركب إلى أجزائه وإلى مركب تلك الأجزاء، كما يستلزم زيادة الصفات على الذات، المستلزم لأن يكون فاقداً لصفات الكمال محتاجاً إلى من يفيض عليه بتلك الصفات، وهذه الحاجة تناقض كونه - تعالى - غنياً بالذات.

٣- التوحيد في الألوهية: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

٤- التوحيد الربوبي: أو التوحيد في الربوبية - ﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٣)

(١) سورة المائدة: ٧٣.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣.

(٣) سورة الأنعام: ١٦٤.

- ٥- التَّوْحِيدُ فِي الْخَلْقِ: ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).
- ٦- التَّوْحِيدُ فِي الْعِبَادَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٢)، ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾^(٣).
- ٧- التَّوْحِيدُ فِي الْأَمْرِ وَالْحُكْمِ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤).
- ٨- التَّوْحِيدُ فِي الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥).
- ٩- التَّوْحِيدُ فِي الْمَلِكِ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾^(٦).
- ١٠- التَّوْحِيدُ فِي النَّفْعِ وَالضَّرْرِ: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾^(٧).
- ١١- التَّوْحِيدُ فِي الرِّزْقِ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ

(١) سورة الزمر: ٦٢.

(٢) سورة الفاتحة: ٥.

(٣) سورة المائدة: ٧٦.

(٤) سورة الأعراف: ٥٤.

(٥) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٦) سورة الإسراء: ١١١.

(٧) سورة الفتح: ١١.

والأرض قل الله ﴿^(١)﴾ .

١٢- التوحيد في التوكل: ﴿الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ ^(٢) .

١٣- التوحيد في العمل: ﴿وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزى إلا ابتغاء وجه ربّه الأعلى﴾ ^(٣) .

١٤- التوحيد في التوجه: ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ ^(٤) قال عليّ أمير المؤمنين عليه السلام لابنه: «واعلم يا بُنَيَّ أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته» ^(٥) .^(٦)

عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام «قال: سمعته يقول: ما من شيءٍ أعظم ثواباً من شهادة أن لا إله إلا الله، لأنَّ الله عزَّوجلَّ لا

(١) سورة سبأ: ٢٤ .

(٢) سورة التغابن: ١٣ .

(٣) سورة الليل: ١٩ - ٢٠ .

(٤) سورة الأنعام: ٧٩ .

(٥) ترجمة وتلخيص مع شيءٍ من التصرف، من مقدمة كتاب توضيح المسائل لسماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني دام ظلّه الوارف .

(٦) نهج البلاغة ج ٣ / ٤٤، تحف العقول: ص ٧٢، بحار الأنوار ج ٣ / ٢٣٤ .

يَعْدِلُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُشْرِكُهُ فِي الْأَمْرِ أَحَدٌ»^(١).

عن رسول الله ﷺ: «ما جزاء من أنعم الله عزوجل عليه بالتوحيد إلا الجنة»^(٢).

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣).

والنتيجة: أن التوحيد والاعتقاد به مطلوب في جميع المجالات السابقة، والدليل على توحيده - تعالى - ما جاء في الآيات والأحاديث السابقة، ويجب أن ينعكس ذلك على سلوك المؤمن وتصرفاته وأعماله، كما أن ثمرة هذا التوحيد والاعتقاد به يظهر في تكامل الفرد والمجتمع الموحد، بعدما أشرقت أشعة الكمال ونور السداد في أعماق النفس والعقل الإنساني حتى يملأ الخافقين سعادة وكمالاً بحثاً عن الحقائق والآيات الباهرات التي تعبر عن منظومة موحدّة، ودُرِّ نضيد وسلسلة مترابطة متكاملة في عالم الوجود، وهي حقيقة تنبثق من

(١) التوحيد (الصدوق): ص ١٩، ثواب الاعمال: ص ٣، بحار الأنوار ج ٣/٣.

(٢) التوحيد (الصدوق): ص ٢٢ ح ١٧، مشكاة الانوار: ص ٣٧، بحار الأنوار ج ٣ ص ٥.

(٣) سورة الرعد: ٢٨.

كلمة «لا إله إلا الله» التي تتألف من حروف يمكن أداؤها والتلفظ بها بالجهر والإخفات، فهي كلمة جامعة للذكر الجلي والذكر الخفي، كما أن مؤداها وحقيقتها قلبية، فهي من الأذكار القلبية واللسانية.

والحمد لله رب العالمين

تتمة الدرس الثاني عشر ثمرات التوحيد العمليّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تبيّن من الدّرس الماضي مراتب التوحيد وأقسامه، وأن أعلى مراتبه مرتبة التوجّه الكلّي إلى الله - تعالى - ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١).

وتبيّن أيضاً أهمّ معاني التوحيد وهي:

١- نفي التعدد: وهو عبارة عن نفي الشريك لله - تبارك وتعالى -.

٢- نفي التركيب: وهو عدم كونه جسماً مركّباً من أجزاء.

٣- نفي الصّفات الزائدة على الذات المقدّسة، بل صفاته الذاتيّة عين ذاته المتعالية.

٤- التوحيد الأفعالي: وهو أنّ جميع أفعاله منه - تعالى - لا

(١) سورة الأنعام: ٧٩.

يحتاج في خلق شيء أو فعل شيء إلى غيره، بل لا غير له ولا معه حتى يحتاج إليه، وكل ما عداه وجودات ظلّية اعتبارية في قبال وجوده الذي هو عين الحقيقة.

٥- التأثير الاستقلالي: ومعناه أنّ ما يصدر من الخلائق قاطبة إنّما هي أفعال الله - عزّوجلّ - ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾^(١) فالمخلوق أيّاً كان لا يستغني فيما يفعله عن الخالق الحكيم، بل لا يصدر منه شيء إلا بإدارة من الله - تعالى - ومشيئته، وكلّ ما للمخلوق من تأثير وتأثر إنّما يتمّ بإذن الله - تعالى - وإرادته التكوينية.

أمّا الثمرة العملية والعقائدية للتوحيد في فعله - تعالى - وتوحيد أفعاله، فهي أنّ الإنسان حينئذٍ لا يرى ولا يعتقد بمعبود سوى الله - تعالى -، إذ الألوهية من لوازم الخالقية والربوبية.

وأما التوحيد بالمعنى الأخير - وهو التأثير الاستقلالي - فثمرته ونتيجته أن يجعل الإنسان عمله خالصاً لوجه الله - تعالى -، ولا يستعين بغيره، بل يعتمد ويتوكّل على الله وحده، ولا يرجونّ غيره، ولا يطلب الأجر إلاّ منه، ويقطع كلّ أملٍ بغيره، ولا

(١) سورة الصافات: ٩٦.

يأس في قضاء حوائجه وتحقق أفعاله وتحقيق أهدافه، ويسأل الله التوفيق، فهو حينئذ يكون في كنف الله - تعالى - وتحت ولايته الخاصَّة، وينجو من وساوس النَّفس ومكر الشيطان، ليشعر بالأمل والتفاؤل، وراحة النَّفس والاستقرار والسكينة ﴿ألا إنَّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١).

س) : إذا كانت الاستعانة والتوسل بغير الله - تعالى - شركاً وحراماً فما بالناس نجد في كثير من الروايات والأدعية والزيارات وفعل العلماء والمؤمنين خلاف ذلك، إذ نجدهم يأمرون بالتوسل إلى الأئمة والأنبياء عليهم السلام وهكذا ببعض الصالحين؟

ج) : الجواب واضح إذ المنهية عنه والذي يعدُّ شركاً بالله - تعالى - هو التوسل والاستعانة بمعنى أن نعتقد بالذي نتوسل أو نستعين به أنه يقضي لنا حاجة باستقلاله ودون الحاجة إلى الله - تعالى -، ولا إذنٍ منه - تعالى -، بلنى هذا شرك ﴿إنَّ الله لا يغفر أن يُشرك به﴾^(٢) ولا يختلف حينئذ بين كون التوسل بالحيِّ أو الميت، ولكنَّ هذا خلاف ما عليه سيرة العقلاء والمؤمنين فإنهم لا يتوسلون بأحد إلا ليكون واسطة بينهم وبين خالقهم لأنه وجيه

(١) سورة يونس : ٦٢ .

(٢) سورة النساء : ٤٨ .

عند الله - تعالى -، وصاحب مقام وقرب ومنزلة، كالأنبياء والأولياء والصالحين، وأنّ الفاعل الحقيقي هو الله - تعالى - لا هؤلاء: الأخيار الأبرار، بل يعتقد المؤمن أنّ هؤلاء أيضاً من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً.

(س) : إذا كان الأمر كذلك، أليس المشركون كانوا يعتقدون بأنّ آلهتهم تقربهم إلى الله - تعالى -؟! ﴿قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(١)، وقد ذمهم القرآن الكريم وحكم عليهم بالخلود في نار جهنم؟!

(ج) : جواب هذا الإشكال واضح بعد ما ذكرنا من أنّ العبادة محرّمة لغير الله وشرك أو كفر بالله العظيم، فهم أولاً: كانوا يعبدونها، أو يعبدون بعض الخلق، وهذا ما لا يصنعه المؤمن، وثانياً: هناك فرق بين التوسّل والاستعانة بمن نهى الله - تعالى - عن التوسّل به، وبين التوسّل بمن أمر الله - تعالى - بالتوسّل به وإليه، إذ هناك من هو وليّ من أوليائه - تعالى - فهو قطعاً وسيلة مقرّبة إلى الله - تعالى - ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾^(٢)، و﴿إنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم﴾^(٣)،

(١) سورة الزمر: ٣.

(٢) سورة القصص: ٥٦.

ورسوله ﷺ مشعل هداية حيّاً وميتاً، فالمؤمن لا يعبد سوى الله - تبارك وتعالى -، ولا يتوسّل بمن نهى الله - تعالى - عن التوسّل به، وإنما يتوسّل بأولياء الله - تعالى - المقربين منه والمقربين إليه حقيقةً ويجعلهم شفعاء ووسائط بينه وبين الله - تعالى -، وهو مطلوب لأنّه لا يرى لهم تأثيراً مستقلاً عن إرادة الله - تعالى - بل إرادتهم تابعة لإرادته وإذنه - تعالى -، ولهذا فكلّ ما يتّهمنا به الأعداء زور وبهتان، إذ أولياؤه - تعالى - يشفعون بعد مماتهم كما يشفعون في حياتهم ولا فرق بينهم في الحياة وبعد الممات، وهم ينفعون إن شاء الله - تعالى - أحياءً وأمواتاً: ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾^(٤)، وقال ﷺ: «من زارني بعد مماتي كمن زارني في حياتي»^(٥)، وقال ﷺ: «من حجّ أو اعتمر ولم يزرنّي فقد جفاني»^(٦)، و«من زارني ميتاً كمن زارني حيّاً»^(٧)، ومن ثمرات زيارته ﷺ حيّاً أن

(٣) سورة الشورى : ٥٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٥) كامل الزيارات : ص ٤٥ ، بحار الأنوار ج ٩٧ / ١٤٣ ح ٢٧ .

(٦) فقه الرضا : ص ٢٣١ ، بحار الأنوار ج ٩٦ / ٣٧٢ ضمن ح ٥ ، كنز العمال

ج ٥ / ١٣٥ ح ١٢٣٦٩ .

(٧) مستدرك الوسائل ج ١٠ / ١٨٥ ح ١ ، بحار الأنوار ج ٩٦ / ٣٣٤ ح ٤

يأتيه المسلم مستغفراً تائباً الى الله - تعالى - بين يدي رسول الله ﷺ ومستشفعاً إياه «يا شفيعاً عند الله إشفع لنا عند الله»^(١)، ﴿ولو أنهم إذ جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾^(٢)، ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربّي﴾^(٣)، ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(٤) وهذه الشفاعة وهذا الرضا غير مختصين بدار الدنيا وحياة الشفيع، ولاهما مختصين بالآخرة ويوم القيامة بل هم شفعاء في الدنيا والآخرة، وفي حياتهم ومماتهم وكل ما نسب إلى رسول الله ﷺ خلاف ذلك فهو افتراء عليه وزور وبهتان على رسول الله ﷺ، ثم حاجة الأمة إلى رسول الله ﷺ لم تنقطع في شتى مجالات الدين والدنيا، فكما كنا نحتاج إليه في حياته فإننا نحتاج إليه بعد مماته، وإذا كانت حاجتنا إليه موجودة فالتأثير من جهته موجود قطعاً، وكل ما يصرف وجه الأمة عن رسول الله ﷺ بعد وفاته فهو يصرف وجه الأمة عن الله - تعالى - وهو ضلال مبين، وهذا ممّا

وج ٩٧/١٥٩ ح ٤٠.

(١) بحار الأنوار ج ٩٩/٢٤٧ و ٢٤٨.

(٢) سورة النساء: ٦٤.

(٣) سورة يوسف: ٩٧ - ٩٨.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٨.

يصرف وجه الامَّة عن رسولها الكريم، وهو من صنع أئمة الضلال
وحكام الجور.

ثمَّ أليست الأمة مطبقة على جواز طلب الشفاعة من الحيِّ،
والتوسُّل بالأحياء؟! وألم يجيزوا الاستشفاع والتوسُّل ببعض
الصَّحابة والأولياء في حياتهم؟! فأسألکم بالله هل هناك حيِّ
أعظم شأنًا من رسول الله ﷺ بعد مماته؟! وأنى لصحابيِّ أو وليِّ
من الأولياء أن يكون مؤثراً وشفيعاً في حياته مع زعم أن
رسول الله ﷺ لا ينفع ولا يشفع بعد مماته، وإذا كان الأمر متعلِّقاً
بمقام الشفيع ومنزلته عند الله - تعالى - فهل هناك من الأحياء فضلاً
عن الأموات من يداني رسول الله ﷺ في حياته وبعد مماته
حتى تجوز له الشفاعة في الدُّنيا ولا تجوز لرسول الله ﷺ؟!
﴿فما لكم كيف تحكمون﴾^(١)، وإذا كان طلب المطر من العباس
عمَّ النبيِّ ﷺ جائزاً، كما في صحاح العامَّة والجماعة، فطلب
المطر وغيره من النبيِّ الأكرم ﷺ بعد مماته جائز بطريق أولى،
وإذا جاز التوسُّل وطلب الشفاعة من رسول الله ﷺ بعد مماته،
جاز ذلك من غيره أيضاً إن كان ذا قربي ومنزلة عند الله - تعالى -،
كالأنبياء والأولياء عليهم السلام لعدم اختصاص ذلك به ﷺ دون غيره.

(١) سورة يونس: ٣٥.

ثم إننا نقف على قبورهم وأمام أضرحتهم فنسلم عليهم ونقول: «أشهد أنك تسمع كلامي وتشهد مقامي وترد سلامي»^(١) وما كان هذا حاله كان نافعاً في حياته ومماته ولم يحجبه الموت عن الدنيا، ولا يحول بينه وبين أهلها شيء، وإلا لكان السلام عليه وزيارته لغواً وعبثاً.

أضف إلى ذلك أن في الاستشفاع والتوسل ببعض الأموات سرّاً مكنوناً ولطفاً خفياً، وذلك أن الله - تعالى - كما جعل من المعاد والحساب وسيلة وسبباً لحصول كل ذي حقّ حقه الذي حرم منه في الدنيا، وإظهار مقام من خفي على الآدميين مقامه في الدنيا وإبراز منزلته ﴿يوم تبلى السرائر﴾^(٢)، والاقتصاص للمظلوم ممن ظلمه في الدنيا، فكذاك جعل الموت لبعض أوليائه الذين أخفيت مقاماتهم في الدنيا، وماتوا دون أن تعرف منزلتهم، سبباً ووسيلة للكشف عن مقاماتهم وإبراز هويّاتهم في هذه الدنيا قبل الآخرة وقيام الساعة، بإظهار كرامات منهم بعد التوسل إليهم، ليستيقن الناس أن العدالة الإلهية والإحسان الرباني على

(١) المزار (محمد بن المشهدي) ص ٢١١، اقبال الاعمال ج ٣ / ١٣٤،

المزار (الشهيد الاول) ص ٩٧.

(٢) سورة الطارق: ٩.

عباده تعطي ثمارها في الدُّنيا قبل الآخرة وإن كان بعد الموت، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾^(١)، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢) أي في الدُّنيا والآخرة، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَحِينِئِهِ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾^(٣)، «إذا مات ابن آدم انقطع عن الدُّنيا إلا بثلاث: صدقةٌ جارية، أو علمٌ ينتفع به الناس، أو ولدٌ صالحٌ يستغفر له»^(٤)، وهذا من شأنه أن يكون حافزاً للناس والمؤمنين بأن يخلصوا في عملهم ويصبروا على طاعته وترك معاصيه، ولا يطمعوا في الأجر العاجل، فإنّهم سيؤجرون حتماً في الآخرة، وقد يعطون أجرهم قبل السّاعة وبعد مماتهم أيضاً، بإظهار كرامات لهم وإحياء ذكرهم وقبورهم في صدور المؤمنين، وبرفع منزلتهم في القلوب بطلب الشفاعة منهم والانتفاع بهم بعد الموت.

والحمد لله (ربّ العالمين)

(١) اقتباس من الآية ١٩٥ من سورة آل عمران: ﴿أَتَى لَا أُضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٠.

(٣) سورة النحل: ٩٧.

(٤) عوالي اللئاليء ج ٢/ ٥٣ ح ١٣٩ و ٢٨٣ ح ١٧، بحار الأنوار ج ٢/ ٢٢ ح ٦٥.

الدرس الثالث عشر

القضاء والقدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: تقدّم في الدرس الماضي أنّ أفعالنا كلّها مخلوقة لله - تعالى - وأن لا تأثير ولا تأثر، لا فعل ولا انفعال إلا بعلم الله - تعالى - وإذنه وإرادته ومشيئته وأنه لا استقلالية لمخلوق في فعله، ألا يعني هذا سلب الإرادة والاختيار من الإنسان وكونه فاعلاً مجبراً بدل أن يكون فاعلاً مختاراً؟! وكيف التوفيق بين هذا القول: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾^(١) الذي معناه سلب الاختيار، وبين قوله - تعالى - ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ الذي معناه الاختيار التام؟ وكيف يحاسب الإنسان على فعل خلقه الله - تعالى - وما صدر منه دون اختياره؟ وأخيراً أليس القضاء والقدر الإلهيان يمتنعان عن الاختيار، وحينئذٍ فالإنسان لا يستحقّ العقاب؟!

(١) سورة الصافات: ٩٦.

ج) : كلاً ليس الأمر كما تظنون وذلك أنه أولاً: ليس المراد من خلق الأفعال ووقوع التأثير والتأثر من الله - تعالى - أن الله - تعالى - يسلب الإرادة والاختيار من عبده، إن الله - تعالى - خلق في الإنسان القدرة على التعقل والتفكير والتدبر فيما حوله، وأعطاه أيضاً جوارح وأعضاء قادرة على صنع ما يريد - طبعاً في حدود طاقته -، ولهذا ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾^(١) و ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما إتهاها ﴾^(٢) فلا يكلفه فوق طاقته، ثم منحه القدرة على اتخاذ القرار، وهي الإرادة التي بواسطتها يستطيع أن يتخذ القرار المناسب، فهو يريد ويقرر بملء إرادته غير مجبر ولا مسخر في اتخاذ القرار، وإن كان لعجزه محتاجاً إلى الله - تعالى - الذي بدوره منحه القوة اللازمة لتحقيق مراداته ومقاصده من القوة إلى الفعل، إذن لا دخل لله - تعالى - في اختياره وفيما يريد أو لا يريد، بل هو الذي يقرر باختياره التام، فإذا أراد واتخذ قراره الأخير أظهر في نفسه الشوق إلى الفعل، ولكنه لما كان عاجزاً عن الإتيان بما يريد فإن الله - تعالى - يخلق فعله إن شاء ولكن بواسطة القوى والأعضاء والجوارح التي منحها إياه،

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

ففاعل القدرة - وهو الله تعالى - فاعل للفعل ، لأنه - تعالى - حين أعطانا القدرة على الإرادة والتصميم ، والقدرة على القيام بالفعل فقد أوجد الفعل وخلقها ، وهذا ما أشير إليه في قوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيّات ، وليس لامرئٍ إلا ما نوى»^(١) وقوله - تعالى - : ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) ، وليس الاختيار سوى القدرة على اتّخاذ القرار ، والعمل من آثار هذه القدرة ونتائجها ، ولا يكون سعيه إلا في حدود إرادته ، إذ العمل مرهون بالإرادة واتّخاذ القرار ، فهو يعاقب حينئذ على هذا القصد وهذه النيّة وهذه الإرادة ، طبعاً إذا انبثق عنها الفعل ، وصدر منه الفعل المخالف لأمر الله ونهيه ، نعم زمام أمور هاتين القدرتين ، أعني القدرة على الارادة واتخاذ القرار ، والقدرة على الإتيان بالفعل ، بيده - تعالى - أنا فآناً ، يوجد هما متى شاء وأين شاء وكيف شاء ، وإن شاء ، لا تخرجان من حيطة قدرته وإرادته - تعالى - ، وعليه فلا معنى حينئذٍ لسلب الاختيار من الإنسان ، فهو مختار في فعله يستحقّ عليه العقاب ، كما يستحقّ الأجر والثواب ، وظهر من هذا أن لا

(١) المحلى (ابن حزم) ج ٦ / ١٦٠ ، مسائل علي بن جعفر ص ٣٤٦ ،

وسائل الشيعة ج ١ / ٤٩ ح ١٠ .

(٢) سورة النجم : ٣٩ .

منافاة بين قوله - تعالى - : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١) ، وبين قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢) لآنه قادر على إرادة أن يكون شاكرًا وأن يكون كفورًا، على حدّ سواء - وإن كانت إرادة الشكوريّة أوفق لفطرته، إلا أن إرادة الكفوريّة أوفق لطبيعته وغريزته الحيوانيّة -، وقادر أيضاً على فعل الشكر والطّاعة وفعل الكفر والمعصية، - إن شاء الله تعالى -، ﴿اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشّكور﴾^(٣).

وأما القضاء والقدر الإلهيّان : فمعنى القدر في اللّغة العربيّة المقدار، من قبيل الأوزان والمقادير والأحجام، والتقدير الإلهي معناه : أن الله - تعالى - جعل ورسم لكل مخلوق من مخلوقاته حدوداً كميّةً وكيفيّةً وزمانيّةً ومكانيّةً خاصّةً معيّنة، لا تتحقّق إلا بتأثير من العلل والأسباب والعوامل التدريجيّة.

ومعنى القضاء الإلهي : إيجاد وخلق الشيء بعد أن اكتملت وتهيّئت كافّة علل وجوده ومقدّماته وأسبابه وشرائطه، الماديّة منها والمجرّدة، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

(١) سورة الصافات : ٩٦.

(٢) سورة الإنسان : ٣.

(٣) سورة سبأ : ١٣.

ساجدين ﴿^(١)﴾، فالقضاء هو الحكم التكويني الأخير الذي يسمّى الجزء الأخير من العلة، وهو أهمّ أجزائها، ولولاه لم يوجد الشيء بالغاً ما بلغ حتى لو اكتملت كافة الأسباب والمقدمات والشرائط، وإن كان إيجاد تلك المقدمات والشرائط والأسباب من صنع الله أيضاً، وقد أوضح ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين . ثمّ جعلناه نطفةً في قرارٍ مكينٍ . ثمّ خلقنا النُّطفةَ علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا مضغةً عظماً فكسونا العظام لحماً ، ثمّ أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ ^(٢) وهذا الإنشاء الآخر عبارة عن القضاء الإلهي، وهو القضاء التكويني .

وعليه فالتقدير الإلهي يأتي قبل القضاء الإلهي، وله أيضاً مراتب تدريجية عبارة عن المقدمات البعيدة والمتوسطة والقريبة، كما في المراتب والمقدمات التي وردت في الآيات الشريفة عن خلق الإنسان، وأيضاً يتغيّر التقدير بتغيير شيء من أسبابه وعوامله ومقدماته، مثلاً قد يحدث تغيير في مراحل خلق الإنسان وتقديره بحيث يؤدي الى سقوطه وهو جنين قبل أن يصبح

(١) سورة الحجر: ٢٩، سورة ص: ٧٢.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢ - ١٤.

إنساناً سويّاً، أما القضاء الإلهي فهو أمر دفعيٌّ، يقع دفعة من غير حالة انتظار أو تدريج ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾^(١)، ولا يحدث فيه تغيير أصلاً.

(س) : إذا كان القضاء الإلهي لا يدخله ولا يطرأ عليه التغيير أصلاً، فما المراد بقولهم ﷺ في بعض الأدعية والروايات التي تشير وتهدي الى تغيير قضاء الله - تعالى - كما في قولهم ﷺ أن الصدقة والبرّ بالوالدين وصلة الرّحم والدعاء والاستغفار تدفع القضاء المحتمّ وتغيّره؟

(ج) : أن القضاء قد يستعمل في اللّغة بمعنى القدر أو العكس، وما ورد في هذه الأخبار والأدعية من هذا القبيل، فهذه الأمور في الحقيقة تغيّر القدر الذي هو عبارة عن المقدمات والأسباب والشرائط التي يجب توفرها واكتمالها لتحقيق القضاء الإلهي المحتمّ، فالصدقة مثلاً تحول دون وقوع بعض مقدمات القضاء الإلهي بموت الإنسان، كما لو كان المقدّر أن تصدمه السيّارة، فيحدث تغيير مفاجيء في أسباب الحادث بحيث لا يقع، فينجو الإنسان من القضاء الإلهي له بالموت، ولهذا في الرواية أن عليّاً

(١) سورة آل عمران : ٤٧، سورة مريم : ٣٥.

أمير المؤمنين عليه السلام كان مستنداً إلى جدار فتنحى عنه، فقال له أحد أصحابه: أنفّر من قضاء الله؟! فأجاب عليه السلام: «فررت من قضاء الله إلى قدره»^(١).

والأفعال التي تصدر من الإنسان كلّها معلولة للقضاء الإلهي ومتوقّفة عليه، ولكن هذا لا ينافي كون الإنسان مخيراً في فعله لما ذكرنا سابقاً من أنّ الله - تعالى - منحه الإرادة والقدرة على إيجاد فعله، ولكن لما كان أصل وجود الإنسان، ووجود الموادّ الدّخيلة في فعله، والأدوات والآلات وجميع ما يحيط بفعله موجودة بوجوده - تعالى - مخلوقة له - تعالى - قائمة به - تعالى - فإنّ الفعل في مرتبة أدنى منسوب الى الإنسان واختياره التام، وفي مرتبة أعلى وبلحاظ أدقّ وأسمى منسوب الى الله - تعالى -، وهذا لا ينافي كون الانسان مختاراً، لأنّ التأثير الذي هو إرادة الإنسان باعتبار كونها الجزء الأخير من العلة التامة في فعله، لا ينافي استناد جميع أجزاء العلة التامة إلى الله - تبارك وتعالى -، ولهذا قال الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين»^(٢).

(١) توحيد الصدوق: ٣٦٩، بحار الأنوار ج ٤١ / ٢ ح ٣.

(٢) الهداية للصدوق: ص ١٨، الكافي ج ١ / ١٦٠ ح ١٣، عيون اخبار

الرضا ج ٢ / ١١٤، توحيد الصدوق: ص ٢٠٦. بحار الأنوار ج ٥ / ١٢

وص ١٧ ح ٢٧.

وقد تقدّم معناه .

وهناك قضاء تشريعي ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾^(١) وهو الحكم والوجوب الشرعي الذي يختصّ بفروع الدين، فهو خارج عن محل البحث وسيأتي البحث عن القضاء التشريعي في الحلقات القادمة التي تمثل تتمة هذا الكراس عند البحث عن كيفية فهم الرسالة العملية وفروع الدين .

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الاسراء : ٢٣ .

الدروس الرابع عشر العدل الإلهي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(س): ما معنى العدل؟

(ج): العدل في اللغة: «إعطاء كل ذي حقِّ حَقَّه»، وقد يقال: «العدل: وضع كلِّ شيءٍ موضعه» فيكون العدل مرادفاً لمعنى الحكمة، وكيف كان فالعدل يقابل الظلم الذي يعني: «سلب كلِّ ذي حقِّ حَقَّه» أو «وضع الشيء في غير موضعه»، فللعدل مفهومان ومعنيان: أ- مفهوم خاصّ: وهو عبارة عن رعاية حقوق الآخرين، ب- مفهوم عامّ: وهو عبارة عن الإتيان بالأعمال الحكيمة والمطابقة للحكمة، الذي يشمل المعنى الأول أيضاً.

وهو يختلف عن المساواة إذ المساواة قد تكون عدلاً ومطابقةً للعدالة وقد تكون ظلماً، فالمساواة في القضاء - مثلاً - بين المرأة والرجل بل بين جميع الناس هي العدل بعينه، وعدم المساواة بينهم في القضاء والمحاكم ظلم، لكنّ المساواة بين

العالم والجاهل في التكريم والاحترام ظلم للعالم، بل ظلم بالعلم، وليست من العدل والحكمة .

س) : لماذا سمّي الإماميّة - الجعفرية - بالعدلية ؟

ج) : لأننا نعتقد بأنّ الأفعال تتّصف بالحُسن والقُبْح بذواتها، وأنها تنقسم في حدّ ذاتها إلى الأفعال الحسنة والأفعال القبيحة، والعقل الإنساني قادر على إدراك الأفعال الحسنة والقسيحة إلى حدّ ما - لا جميع الأفعال -، وقادر على إدراك وجه الحُسن ووجه القُبْح فيها، ووجه القُبْح فيها، ووجه الحسن والقبح فيها إلى حدّ ما أيضاً، ولهذا يستطيع الإنسان بعقله أن يشخّص - إلى حدّ ما - أنّ الفعل الكذائي حَسَنٌ وأنّ الفعل الكذائي قبيح، وبعد أن شخّص جهة الحسن يحكم ويقول : هذا الفعل يجوز صدوره من الله - تعالى - لأنه حَسَنٌ وقد يبلغ الحسن مرتبة عالية فيحكم العقل بأنّ هذا الفعل يجب صدوره من الله - تعالى -، أو يشخّص العكس أعني أنّه قد يشخّص القبح في هذا الفعل الخاص فيحكم بعدم جواز صدوره من الله - تبارك وتعالى -، وأنّ ساحته المقدّسة منزّهة من الإتيان به وبأمثاله ومن إيجادها فهي لا تصدر منه - تعالى -، فالعقل بوحده قادر على تعيين وتحديد الضوابط والحدود للفعل الإلهي من غير حاجة إلى بيان من الكتاب والسنة، وبعبارة أدق :

كلُّ ما يفعله الله - تعالى - حَسَنٌ، وكلُّ ما تركه فهو قبيح، لكن لا بمعنى أَنَّهُ حَسَنٌ لِأَنَّهُ - تعالى - فعله، أو قبيح لِأَنَّهُ - تعالى - تركه، بل لأن هناك أفعالاً تتَّصف بالحُسْن في نفسها وبحدِّ ذاتها، وهناك أفعال تتَّصف بالقبح في نفسها، فالله - تعالى - منزّه عن الإتيان بالفعل لِأَنَّهُ قبيح، ويأتي بالحَسَن لِأَنَّهُ حَسَنٌ، خلافاً للذين زعموا أَنَّ الأفعال لا تتَّصف بالحُسْن والقُبْح الذاتيين، بل إذا صدر من الله - تعالى - أو أمر به، فهو حَسَنٌ، وإذا نهى عنه يكون قبيحاً، إذ قد ينهى عن الإحسان إلى اليتيم، أو برِّ الوالدين، أو العدل في القضاء، فيكون حينئذٍ كلُّ من هذه الأفعال قبيحاً وتتَّصف بالقبح، أو قد يأمر بشرب الخمر، أو ظلم اليتيم، أو قطع الرِّحم فتكون هذه الأفعال حسنةً، وتتَّصف بالحُسْن، بل زعموا أَنَّ الله - تعالى - قد يدخل الصّالحين أو الأنبياء أو بعضهم في النَّار يوم القيامة، وقد يدخل الكفّار أو المنافقين أو بعضهم في الجنة، إذ قد يدخل موسى عليه السلام مثلاً في النَّار، وقد يدخل أبا لهب وفرعون الجنّة، وهذا لا ينافي العدل الإلهي، بل هو العدل بعينه، فكلُّ فعل قد يصدر من الله - تعالى - أو يأمر به، فإذا صدر منه، أو أمر به كان حَسَناً، وإذا نهى عن شيء كان قبيحاً، وليس للأفعال حُسْن وقبح ذاتيين.

والإمامية العدليّة لا تقبل بهذا الكلام، بل تقول: الإحسان

إلى اليتيم، أو برّ الوالدين، أو العدل في القضاء، وما شابهها أفعال حسنة لا يجوز أن ينهى عنها الله - تعالى -، وأنّ شرب المسكر، أو الظلم، أو قطع الرّحم، وما شابهها أفعال قبيحة لا يجوز أن ينهى عنها، وهو - تعالى - بطريقٍ أولى لا يظلم ولا يجازي الإحسان بالإساءة، ولا يُدخل أولياءه النَّار، ولا يُدخل أعداءه الجنّة، ولو فعل - والعياذ بالله - لم يكن عادلاً، ولم يصحّ وصفه بالعدل - نستغفر الله - لأنها أفعال غير حكيمة وموصوفة بالقبح، والأفعال موصوفة بالحُسن والقُبْح الذاتيين، ولا يصدر منه - تعالى - إلاّ الحَسَن.

نعم هناك أمور لا يستقلّ العقل في معرفة حُسنها وقُبْحها ويعجز عن إدراك جهة الحُسن والقُبْح فيها بل يحتاج إلى بيانٍ من الشّارع المقدّس فما أمر به الشّارع المقدّس كان حَسَناً وما نهى عنه كان قبيحاً، أو قُل: ما أمر به انكشف لنا أنّه حَسَنٌ وإلّا لم يأمر به، وما نهى عنه انكشف لنا أنّه، قبيح، وإلّا لم ينه عنه، كأمره - تعالى - بالصّلاة في الأوقات الخمسة، وأمره بالخمس والزّكاة وكيفية خاصة للصّلاة، وهلمّ جرّاً.

ولعلّ بعض ما يأمر الله - تعالى - به، أو ينهى عنه لا يكون موصوفاً بالحُسن والقُبْح الذاتيين، وذلك في الأمور الاعتباريّة

المحضة التي هي لم تأتِ إلا باعتبارها - تعالى - لها جهة حُسنٍ أو جهة قُبْحٍ كعدد ركعات الصَّلوات الخمس، أو مقدار الزَّكَاة، أو عدد الطَّواف، أو ما شابه فإنَّها قد لا تكون حسنة أو قبيحة بذواتها، أي قد لا تكون لها جهة حسن أو قبح ذاتيين، بل حسنها يكون باعتبار أنَّ الله - تعالى - أمر بها ويكون قبحها باعتبار أنَّه - تعالى - نهى عنها، ولعلَّ بعض الأمور التَّعبديَّة أو جُلَّها تكون من هذا القبيل، أقول لعلَّ ولا أجزم بذلك.

(س): ذكرتم أن الأفعال تتَّصف بالحُسن والقُبْح الذاتيين وأنَّ الله - تعالى - لا يجوز أن يصدر منه القبيح أو يأمر به، وقد يجب صدور الحَسَن منه أو قد يجب أن يأمر به، أليس هذا يعدُّ تجاوزاً على الله - تعالى - فيما يصدر أو لا يصدر منه؟! وألم يكن حكماً عليه - تعالى - وفرضاً وإلزاماً فيما يصحُّ أن يفعل وما لا يصحُّ؟! وأتَى للعقل المخلوق القاصر أن يأمر الله - تعالى - وينهاه، أو يحكم عليه فيما يصحُّ أن يفعل وما لا يصحُّ؟!.

(ج): كلاً، ليس الأمر كما تظنّ، بل المراد أولاً: أنَّ الله - تعالى - حين خلق الأفعال وأوجدها، خلقها حسنةً أو قبيحةً فحسنتها وقبحها ذاتيان لا أنَّه تعالى خلقها ثم اعتبر وجعل بعضها حسناً وبعضها الآخر قبيحاً، ليكون حُسنها وقُبْحها جعلياً

اعتبارياً، تابعاً لاعتبار المعبر، ولما كان حسنها وقبحها ذاتياً كان الفاعل للحسن منها عادلاً حكيماً، والفاعل للقيح منها ظالماً، بغض النظر عن الفاعل أيّاً كان.

وثانياً: الله - تعالى - هو الذي كتب على نفسه ذلك وأوجب على ذاته المقدسة المتعالية، قال - تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرّحمة﴾^(١)، و﴿إن الله يأمر بالعدل﴾^(٢)، و﴿أن الله ليس بظلامٍ للعبيد﴾^(٣). بل ذاته المقدسة تأبى من فعل القبيح وتستنزه عنه، ولأنها الخير المطلق فلا تكون مصدراً إلا للخير، ولا يصدر منها غير ذلك على الإطلاق.

وثالثاً: هو الذي خلق العقل وجعله حجة على العباد: «الله على الناس حجّتان: حجّة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الحجّة الظاهرة فهم الأنبياء، وأما الحجّة الباطنة فهو العقل»^(٤)، وفي الحديث القدسي يخاطب الله - تعالى - العقل: «بك أتيب وبك أعاقب»^(٥)،

(١) سورة الأنعام: ٥٤.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٢، سورة الأنفال: ٥١، سورة الحج: ١٠.

(٤) الكافي ج ١ / ١٦، تحف العقول: ص ٣٨٦، وسائل الشيعة ج ١٥ /

٢٠٧ فمن ج ٦، بحار الأنوار ج ٧٥ / ٣٠٠.

(٥) عوالي اللئالي ج ٤ / ٩٩ ح ١٤٢، بحار الأنوار ١ / ٩٧ ح ٩.

فهذا العقل قادر على إدراك الحُسن والقُبْح في كثير من الأفعال، ولهذا يعاقب صاحبه على فعل القبيح إذا شخّصه، ويجازى بالإحسان ويؤجر على فعل الحَسَن إذا شخّصه، وإن لم يبلغه حكم الله - تعالى - فيهما، ولم تصله الشرائع السماوية، ولم يتصل بنبيٍّ أو رسولٍ، وإذا كان الأمر كذلك، فخالق العقل أولى بأن يلتزم بذلك، ولا يخالف حكم العقل الصّريح، ولهذا قالوا: «كلُّ ما حكم به العقل، حكم به الشرع».

وأما ادّعاء أنّ العقل عاجز عن تشخيص الخير والشرّ والتمييز بين الحَسَن والقبيح فهو خلاف الفطرة السّليمة وخلاف الوجدان، لأنّ الإنسان لو التفت قليلاً إلى نفسه وإلى العقلاء من حوله يكشف - لا محالة ودون انتظار ولا تأمّل - زيف هذا الادّعاء وبطلانه، وفضلاً عن أنه يناقض الأحاديث الكثيرة القاضية بحجّية العقل، إذ هذه الأحاديث أيضاً كفيّلة برّد هذه المزاعم وبطلانها، ومعنى قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يَرِيدُ﴾^(١) أي لا يريد إلاّ الخير والفعل الحسن.

(س): تقدّم أنّ الذات المتعالية منزّهة عن فعل القبيح والشرّ،

(١) سورة هود: ١٠٧.

وتأبى عن ذلك، وتقدّم أيضاً في الدروس السابقة أنّ الله - تعالى - يخلق أفعال البشر ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾^(١)، ولا ريب أنّ كثيراً من أفعالنا قبيحة وشرور، فكيف نجمع بين هذا وذاك؟

(ج) : لا منافاة بينهما، وذلك لأننا ذكرنا أيضاً بأنّ الله - تعالى - يقدر ما يريد ويقصده الإنسان ثم يقضي بوقوعه أو عدم وقوعه، بمعنى أنّه - تعالى - أوجد القدرة والإرادة في الإنسان ثمّ خيّرهُ فهو الذي يأتي بالأفعال مباشرة خيراً أو شرّاً، «ذلك بما كسبت أيديهم»، ﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره﴾^(٢)، وقال عليّ عليه السلام: «كُلُّ ما استغفرت منه فهو منك، وكُلُّ ما حمدت الله عليه فهو منه»^(٣).

(س) : لماذا يجب أن يكون الله - تعالى - عادلاً؟

(ج) : لأمر، أولاً: لأنّ العدل حسنٌ والظلم قبيح، وقد ذكرنا أنّ الله - تعالى - منزّه عن فعل القبيح، ﴿إنّ الله يأمر بالعدل﴾^(٤)، ﴿قل أمر ربي بالقسط﴾^(٥).

(١) سورة الصافات: ٩٦.

(٢) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٣) الطرائف: ص ٣٢٩-٣٣٠، بحار الأنوار ج ٥ / ٥٩ ذح ٨.

(٤) سورة النحل: ٩٠.

(٥) سورة الأعراف: ٢٩.

ثانياً: العدل كمال، والله - تعالى - «مستجمع لجميع الكمالات»^(١).

ثالثاً: الظلم عيب ونقص، والله - تعالى - منزّه عن كلّ عيب ونقص.

رابعاً: أنّ الظلم إمّا ناشىء عن الجهل بقبح الظلم، أو عن العجز عن بلوغ الهدف، أو عن اللغو والعَبَث، والعليم الحكيم القادر المتعال منزّه عنها جميعاً.

والحمد لله ربّ العالمين

(١) شرح الزيارة الجامعة (عبدالله شبر): ص ١٠٩، نهج السعادة ج ١/٢٠٨.

الدرس الخامس عشر النبوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ينبغي أن نعلم أن هناك طريقة أخرى وطريق آخر لمعرفة حقائق الوجود، والاهتداء إلى الحياة السعيدة سوى طريق الحس والتعقل، بل لا يمكن معرفة أكثر الحقائق وما وراء الطبيعة والاهتداء إلى حكم الله - تعالى - وقوانينه، إلا بهذا الطريق، وهو «الوحي» الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(١) خلافاً للمعرفة الحسّية أو العقلية القابلة للخطأ والمعرّضة للاشتباه، والوحي نوع خاص من التعليم الإلهي الذي يختصّ بفتة من عباد الله - تعالى - ممن اختارهم واصطفاهم لأنهم أفضل عباده، والقادرون على حمل رسالته وإبلاغها إلى الناس ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على

(١) سورة فصلت: ٤٢.

العالمين ﴿١﴾، وبما أنّ الوحي أمر خاصّ ذو حقيقة خاصّة فلا يتسنّى لعامة الناس إدراك حقيقته لأنّهم لم يتلقّوه بالوجدان ولم يباشروه بأنفسهم، نعم، بوسعهم أن يعرفوه بواسطة آثاره والعلامات الدالّة عليه، ومن ثمّ يصدّقوه، ويبادرون إلى تصديق النبيّ الموحى إليه، فإذا ثبت ذلك وتمّ التصديق والإيمان بنبوّته وجب عليهم أن يسمعوا له ويطيعوا في كلّ شيء، ولا عذر حينئذٍ لمن يخالف له أمراً أو نهياً، إلا إذا استثناء من ذلك التكليف، وأسقط عنه الإلتزام به.

(س): ما الحاجة إلى بعثة الأنبياء؟

(ج): بعد ما ثبت وجود الله - تعالى - بالضرورة والبداهة، وثبت أنّه تعالى - حكيم عليم منزّه عن اللغو والعبث فيما يفعل ويخلق ويصنع، وبعد ما ثبت أنّه - تعالى - خلق الإنسان عاقلاً يطلب الكمال بعقله وفطرته، ويسعى الى السعادة الأبدية بفطرته، وثبت أن له غرائز وشهوات وأهواء ورغبات تحول دون معرفة كثير من الأسرار والحقائق إضافة إلى أنّه قاصر عن معرفة كلّ شيء بعقله وحواسه المجرّدة، بعد ما ثبت ذلك كله يتبيّن جلياً

(١) سورة آل عمران: ٣٣.

ضرورة أن يعدّ الله - تعالى - له قوانين ويرسم له شرائع وأحكاماً تضمن له تلك السعادة، وتميّزه عن الحيوان والملائك، ولئلا يكون خلقه عبثاً ولغواً - تبارك الله عما يصفون - ولهذا جاء في الخبر: «عن عبد الله بن سنان، قال سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم»^(١).

ولمّا ثبت أن الإنسان عاجز عن التوصل إلى وضع قوانين تكفل جميع حوائجه الماديّة والمعنويّة، وتتكفل بسعادته في الدُّنيا والآخرة - والقوانين الوضعيّة التي صاغتها أيدي البشر ونتجت عن أفكارهم والعاجزة عن التكفل بجانب واحدٍ من حياته الماديّة الدنيوية، وقد ثبت فشلها بالضرورة والوجدان لهي أدلّ دليل على ضرورة التشريع الإلهي والتسنين السماوي - لهذا وذاك كان من الضّروري جداً حاجة الإنسان إلى تشريع سماوي

(١) علل الشرائع ج ١ / ٤ ح ١، وسائل الشيعة ج ١٥ / ٢٠٩، بحار الأنوار ج ٥٧ / ٩٩ ح ٥.

وأحكام الهيّة .

ثم لما ثبت أيضاً أنّ جميع الناس غير مؤهلين لتلقّي الوحي من الله - تعالى ، ولا من الملائكة الموكّلين بالوحي وإنزاله ، وليسوا مؤهلين جميعاً لتلقّي الأحكام الإلهيّة بواسطة الإلهام والإلقاء في القلوب ، لكثرة ما تحيط بهم من الحجب المادّيّة ، وما تلوّث نفوسهم من المعاصي والذنوب ، وكثرة ما تشين قلوبهم من الشّهوات والغرائز الحيوانيّة ، ويعكّر صفوة عقولهم من الوسواس الشّيطانية والنّفسانية ، لهذه الأسباب وتلك لم يبق إلا أن يصطفي الله - تعالى - صفوة عباده وخيرة خلقه ليكونوا وسطاء بينه وبين خلقه وعباده ، وتكون قلوبهم أوعية لوحيه ومصادر لتشريعته .

س) : ما هي الفائدة من بعثة الأنبياء ؟

ج) : الثمرة والفائدة من بعثة الأنبياء بالإضافة الى ما تقدّم من كونهم وسطاء بين الناس وبين الوحي ومكلفين بتبليغ الشريعة وتعليم الشعوب وهدايتهم وقيادتهم إلى سُبُل الكمال ، فإنّهم يباشرون مهمّة التذكير الدائم بأحكام الله - تعالى - ونظام الفطرة ، والإرشاد المتواصل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَذَكَرْ

فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (٢)، وقال مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ» (٣)، والأنبياء أسوة عملية للناس، يتأسى بهم المؤمنون ويقتدي بهم أهل الخير ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (٤)، كما أنهم يعملون على توفير الحياة الاجتماعية والسياسية الطيبة، ويعلمون الناس كل ما من شأنه أن يوفر لهم الراحة والاستقرار، ويحررونهم من العبودية لغير الله - تعالى - إلى العبودية لله - تعالى -، ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٥)، ويفكّون عنهم القيود النفسانية والقيود الجاهلية ويخلصونهم من برائن الظالمين: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ (٦).

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الذاريات: ٥٥.

(٢) سورة الغاشية: ٢١.

(٣) نهج البلاغة ج ١ / ٢٣، بحار الأنوار ج ١١ / ٦٠.

(٤) سورة الأحزاب: ٢١.

(٥) سورة النحل: ٣٦.

(٦) سورة الأعراف: ١٥٧.

تتمة الدرس الخامس عشر خصائص النبي ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: ما هي خصائص النبي ﷺ؟
 ج: إعلم أن الحديث عن النبوة ينقسم الى النبوة العامة، والنبوة الخاصة، والنبوة العامة عبارة عن الخصائص والصفات العامة التي يجب توفرها في جميع الأنبياء، لا تختص بنبي دون نبي، وأما النبوة الخاصة فالمراد منها ما ينفرد به كل نبي من الخصائص والأوصاف والمعجزات، مثلاً لو كان الحديث عن النبي موسى - على نبينا وآله وعليه السلام - ذكرنا له أوصافه الخاصة وما اختص به من الكرامات ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾^(١) وما انفرد بها من المعجزات ﴿أن اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا﴾^(٢)، ﴿وإذ فرقنا بكم البحر

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٦٠.

فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون ﴿١﴾، ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبانٌ مُبينٌ﴾ ﴿٢﴾، وخصّ أيضاً بالتوراة، وما شابه ذلك، وإن كان الحديث عن النبي عيسى - على نبينا وآله وعليه السلام -: ذكرنا أنه ولد من غير أبٍ ﴿ونفخنا فيها من روحنا﴾ ﴿٣﴾، ﴿مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾ ﴿٤﴾، ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾ ﴿٥﴾، ﴿أنّي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرء الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله﴾ ﴿٦﴾، وخصّ بالإنجيل، وما شابه ذلك من خصائصه - على نبينا وآله وعليه السلام -، وهكذا عن سائر الأنبياء ﷺ.

أما التّبوة العامّة فمن خصائصها:

أولاً: العصمة: لأنه يجب أن يكون أميناً على وحي الله، ومعصوماً من كلّ زلّةٍ أو خطأ أو نسيان أو توجّه الى غير الله - تعالى -، وإلا لم يكن وجيهاً عند الناس، إذ الناس بحاجةٍ إلى

(١) سورة البقرة: ٥٠.

(٢) سورة الأعراف: ١٠٧.

(٣) سورة الأنبياء: ٩١.

(٤) سورة آل عمران: ٥٩.

(٥) سورة آل عمران: ٤٦.

(٦) سورة آل عمران: ٤٩.

أسوة كاملة متكاملة، مبرّاة من جميع العيوب الخلقية والخلقية، والغاية من بعثة الأنبياء هي الطاعة، وطاعة النبي ﷺ واجبة في كلّ ما يأمر به وينهى عنه، فإذا جاز عليه الخطأ والمعصية سقطت طاعته، بل حرمت طاعته، فلم تتحقّق الغاية من بعثته، كما أنه لو جاز له الخطأ والسّهو والنسيان والمعصية، لم يحصل اليقين بصدقه وصحّة ما يدّعيه وما ينسبه إلى الله - تعالى - في تبليغ الوحي الإلهي، ولو صدر منه شيء من الخطأ والمعصية سقط من أعين النّاس، ولم يعيروه اهتماماً أو ثقة، وكان عمله مخالفاً لقوله فكان مصداقاً لقوله - تعالى - : ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١) وهذا نقض للغرض من بعثته، وأخيراً: إنّما تصدر المعصية ويقع الخطأ بسبب ما يعاني منه العاصي والمخطيء من ضعف في العقل أو فتور في العقيدة أو هشاشة في الإرادة، فمن اتّصف بواحد منها كان في غاية العجز والنقصان، وهو حينئذٍ لا يكون حجةً على العباد، إضافة إلى أنّ هذا الشخص لا يكون لائقاً لأن يكون وسيطاً بين الله - تعالى - وبين عباده، إذ الوحي الإلهي يأتي إلّا أن يكون وعاءه العقل الكامل الذي بلغ مرتبة حقّ اليقين

(١) سورة الصف: ٣.

وحاز عليها، ويحتاج إلى إرادةٍ فوق كلّ الإرادات لارتباطها المباشر والوثيق بالله - تعالى - وتبعيتها التامة لإرادة الله - تبارك وتعالى -.

فهو لا يريد إلّا ما أراد الله - تعالى -، ولا تتأثر إرادته إلّا بإرادته، ولا تتخلّف إرادته عن الإرادة الإلهية قيد شعرة ولا طرفة عين، ومن كان كذلك كان معصوماً بالبداهة والضرورة، ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحي﴾^(١) و﴿نزل به الروح الأمين﴾^(٢).

ثمّ الأهمّ والأعظم من ذلك كلّهُ أنّ المتعارف بين الناس كون الممثلّ والسفير - لا سيما إن كان تامّ الاختيار ومطلق الصلاحية - مرآةً ودليلاً وآيةً يعبر عن مستوى من ينوب ويمثّل عنه علماً وحكمةً وقدرةً ورحمةً وصدقاً ووفاءً وهلمّ جرّاً من الصفات، ولما كان النبيّ سفيراً وممثلاً، وكان الأنبياء سفراء الله - تعالى - في الأرض ينوبون عنه في كلّ شيء من التبليغ إلى التطبيق، وكانوا أدلّاءً على الله، كأنّ الناظر إليهم ناظر الى صفات الله - تعالى -، وكان - في أعين الناس، وفي الواقع - كلّ ما يصدر منهم محسوباً

(١) سورة النجم: ٣-٤.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٣.

على الله - تعالى -، لهذه الأسباب، كان على الله - تعالى - أن لا يختار للنبوة إلا من كان كاملاً في صفاته، تاماً في ذاته، مبرءاً من العيوب، وإلا كان المعتقد بنقص أو عيب في الذات الإلهية المتعالية معذوراً، وسبحان الله عما يصفون، فالأنبياء معصومون منذ ولادتهم إلى أن يودّعوا الحياة الدنيا وتُقبض أرواحهم الطاهرة إلى الرفيق الأعلى.

س) : ما معنى العصمة ؟

ج) : العصمة على قسمين، أو للعصمة مرتبتان :

١- العصمة الصغرى : وهي الإلتزام بالشريعة المقدّسة وأحكامها بحيث تحصل له الملكة في طاعة الله - تعالى - وترك المعصية واجتناب كل ما من شأنه أن يُبعد الإنسان عن الله - تعالى - وإن كان مكروهاً، والإتيان بكلّ ما من شأنه أن يقرب إلى الله - تعالى - وإن كان مستحبّاً، وهذه الملكة تردعه وتحجبه عن المعصية العمدية، وينالها صاحبها بعد ممارسة طويلة لجملة من الرياضات والتزكية النفسية من خلال التزامه بأحكام الشريعة والعبادات، وقد يوفّق إليها كثير من العباد.

٢- العصمة الكبرى : وهي الملكة النفسانية التي توجد في

الفرد منذ نشأته وترافقه منذ ولادته، فهي تولد بولادة صاحبها

وتموت بموته، لا تكاد تفارقه لمحة بصر ولا طرفة عين، وهي منحة إلهية وعطاء رباني تحجب صاحبها عن الوقوع في المعصية وكل خطأ وسهو ونسيان، وهي علامة كمال المتمتع بها والحائز عليها كمالاً فوق كمال المخلوقات جميعاً، تعصم صاحبها حتى في منامه، إذ المعصوم تنام عيناه ولا ينام قلبه، ويغفو بصره ولا يغفو فؤاده قطّ، بل منتبه يقظ حسّاس في كلّ لحظة من لحظات حياته، لا يغفو ولا يغفل ولا يسهو ولا ينسى ولا يخطأ طرفة عين، علاوة على أنّه يتمتع بالعلم التّام والمعرفة الكاملة بقبح الامور وحسنها، لأنّه يرى الأشياء والأعمال والأفعال على حقيقتها رأي العين، ويعلم بها علم اليقين، ويبيّضُ بها عين اليقين، ويدركها حقّ اليقين، وهي عطاء ولطف من الله - تعالى -، وهي مختصّة بالأنبياء والأئمة ﷺ وحالات نادرة أخرى نصّت عليها الشريعة الغراء وأكدها النصوص الصحيحة أو كان من ضروريات الدّين والمذهب كما هو الحال في الصّديقة الطّاهرة السيّدة فاطمة الزّهراء ﷺ، والسيّدة مريم ابنة عمران ﷺ، وسيّدنا الخضر ﷺ.

س) : إذا كانت عصمة الأنبياء والأئمة ﷺ من الله - تعالى - كما تقولون، فما هو فضلهم على الناس؟ وبماذا يستحقّون هذه الدّرجات الرّفيعه والمنازل العالیه؟

(ج): ذكرنا أنها عبارة عن ملكة نفسانية وإرادة قويّة وهي عناية خاصّة ربانيّة ولم نقل أنها تسلب الاختيار من صاحبها، إذ أنها لا تجعله مسخراً منقاداً، بل يتمتع بكامل الحرّيّة وتام الاختيار في عمله وسلوكه الذي يصدر منه لكنّه بطبيعة الحال لا يكون إلا شكوراً، وكما تُنسب جميع الأعمال إلى الله - تعالى -: ﴿وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١) فإنّ هذه العصمة تنسب إليه أيضاً، بمعنى أنّه - تعالى - قد ضمن عصمته وصيانته وترقّعه عن كلّ نقص وعيب وقبيح، فهو يستحقّ الدّرجات الرّفيعة والمنازل العالية بعمله الدّووب وجهده المتواصل، ثمّ لما كانت هذه العصمة أوسع دائرة وأشمل موضوعاً وأشدّ ابتلاءً من العصمة الصغرى لأنها لا تقتصر على ترك المعصية العمديّة بل تتّسع لتشمل الخطأ والسّهو والنّسيان، ولا تقتصر على ترك الحرام والالتزام بالفريضة، بل تتّسع لتشمل ترك المكروه والالتزام بالمندوب والمستحب، ولا تقتصر على ذلك أيضاً بل تتّسع لتشمل «ترك الأولى»، لما كانت العصمة هكذا كان صاحبها أفضل من غيره، ولا يدانيه أحد في فضله وكماله.

(١) سورة الصافات: ٩٦.

س) : ما معنى «ترك الأولى»؟

ج) : إعلم أنّ هناك أموراً مباحة لجميع الناس بما فيها المعصومين ﷺ، لكنّها قد لا تناسب شأنهم دائماً أو أحياناً فالإتيان بها قبيح لهم لأنها من قبيل «حسنات الأبرار سيئات المقربين»^(١)، مثلاً لو أنك رأيت عالماً خرج في الشارع دون عمامة ورداء، أو رأيتَه يأكل في الطريق أو يمشي بعمامته في بعض الأسواق، أو يهرول على بعض الشواطئ، أو وجدته جالساً على قارعة الطريق دون سبب معقول، لأنكرت عليه فعلته هذه رغم أنّه لم يقترب حراماً ولا مكروهاً، وذلك لأنّه أتى بما لا يليق بشأنه ومقامه العلمي، وإن كان ما أتى به مباحاً، بل قد يسقط من عينك بسبب ذلك العمل المباح، إذا تبين هذا فانتقل بذهنك وخيالك إلى المعصوم ﷺ لو صدر منه شيء من ذلك، ألا تراه أشدّ قبحاً، ولهذا فالمعصوم ﷺ منهّي عن «ترك الأولى»، وسُمّي بالأولى، لأنّ المعصوم أولى بتركه، أو لأنّ الأولوية تقتضي تركه والاجتناب عنه لما قد تحمله من مفساد نفسية أو اجتماعية، ومن هذا المنطلق قال مولانا امير المؤمنين علي بن

(١) بحار الأنوار ج ١١ / ٢٥٦، تفسير الصافي ج ١ / ٤٤٦، الشفا (قاضي عياض) ج ٢ / ١٧٠.

أبي طالب عليه السلام: «والذي نفسي بيده لو أعطيتُ الأقاليمَ السَّبعة بما تحثُّ أفلاكها على أن أعصي الله في نملَةٍ أنسَلِيهَا جَلَبَ شعيرٍ ما فعلتُ»^(١)، وقال أيضاً عليه السلام في كتابه الى عثمان بن حنيف: «ألا وإنَّ لكلِّ مأمومٍ إماماً يقتدي به، ويستضيءُ بنور علمه، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بِطَمْرِنِيهِ، ومن طَعْمِهِ بِقُرْصِيهِ، ألا وإنَّكم لا تقدرُونَ على ذلك، ولكن أعينوني بِوَرَعٍ واجتهادٍ وعِفَّةٍ وسَدَادٍ، فوالله ما كُنْتُ من دنياكم تَبِيراً، ولا ادْحَرْتُ من غنائمها وَفِراً، ولا أَعْدَدْتُ لِيالي ثوبِي طِمْرًا، ولا حُرْتُ من أرضها شِبْرًا،....»^(٢) وإنَّما هي نفسي أَرَوُّصُهَا بِالتَّقْوَى لتأتي آمنَةً يومَ الخوفِ الأكبر... الخ».

وأما أبونا آدم عليه السلام فإنه أخرج من الجنَّة ولم يُجعل من أولي العزم لأنَّه ترك الأولى أو أتى بترك الأولى، قال تعالى: ﴿وعصى آدمُ ربه﴾^(٣) بعد أن قال تعالى: ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾^(٤) ولم يكن النهي عن الأكل من تلك الشجرة نهياً محرماً وإنَّما نهياً شائياً أي ليس من شأنك يا آدم أن تأكل أنت

(١) نهج البلاغة ج ٢ / ٢١٨، بحار الأنوار ج ٤٠ / ٣٤٨، وج ٤١ / ١٦٢.

(٢) نهج البلاغة ج ٣ / ٧٠، كتاب ٤٥، بحار الأنوار ج ٣٣ / ٤٧٤ ح ٦٨٦.

(٣) سورة طه: ١٢١.

(٤) سورة الأعراف: ٢٢.

وحوَاء من هذه الشجرة والأولى ترك أكلها، ولهذا فإنهما أكلتا: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجِرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾^(١)، وكانت النتيجة هي الخروج والإخراج من الجنة: ﴿وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾^(٢)، وأيضاً سقوط آدم ﷺ من درجة أولي العزم ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا﴾^(٣)، والاكْتفاء بدرجة التبوّة.

س) : ذكرتم مصطلح النبي والرسول وأولي العزم، فما الفرق بينها؟

ج) : إعلم أن النبي لفظ عام يُطلق على كل من بعث بالتبوّة من عند الله - تعالى -، لهداية الناس وإرشادهم، وإخراجهم من الظلمات الى النور. ولفظ النبيّ إن كان أصله النبا فمعناه: «صاحب الخبر المهم» و«ذو الخبر الهام»، وإن كان أصله «التبوّة» فمعناه: «صاحب المنزلة الرّفيعة والمقام السّامي»، وكلا المعنيين ينطبق على النبي ﷺ، وعدد الأنبياء كما في الأخبار والمتفق عليه عند جمهور المسلمين مائة وأربعة وعشرون ألف نبيّ.

(١) سورة الأعراف: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ٣٦.

(٣) سورة طه: ١١٥.

وأما الرسول فهو قسم خاص من الأنبياء، وأخص من النبي لأنه صاحب شريعة سماوية وكتاب من الله - تعالى - يحمل بين دفتيه أحكام الله في العبادات والمعاملات وقوانينه التي شرعها لأهل ذلك الزمان، وكلّ شريعة جديدة تنسخ الشريعة التي قبلها، فشريعة نبيّنا الخاتم محمد ﷺ قد نسخت شريعة عيسى ﷺ، وشريعة سيدنا المسيح - الإنجيل - نسخت شريعة سيدنا موسى ﷺ وهكذا.

فجميع الرُّسل أنبياء، وبعض الأنبياء رُسلٌ، وبعضهم ليسوا برُّسلٍ، ولكلّ رسول شريعة وكتاب، وأما الأنبياء فإنهم يتبعون شريعة الرسول الذي كان قبلهم، كما أن أنبياء بني إسرائيل الذين جاؤوا بعد موسى ﷺ كانوا على شريعة موسى ﷺ والذين قبله كانوا على شريعة إبراهيم الخليل ﷺ، أو يكون النبيّ تابعاً لشريعة الرسول الذي كان يعاصره في الزّمان، ولا يجوز له أن يتبع شريعة من قبله من الرُّسل إن كان هناك رسول يعاصره ويزامنه بل كان تابعاً لشريعة الرسول الذي يعاصره، مثل النبيّ لوط ﷺ الذي كان معاصراً لسيدنا إبراهيم ﷺ وكان تابعاً لشريعته وكتابه، وهكذا يحيى ﷺ الذي كان تابعاً لشريعة عيسى ﷺ، وهارون الذي كان تابعاً لموسى ﷺ، وعدد الرُّسل ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً هم

الخواصّ من الأنبياء، ولا شكّ أن الأنبياء بعضهم أفضل من بعض والرُّسل أفضل من الأنبياء الذين لم يكونوا رسلاً، كما أنّ بعض الرُّسل أفضل من البعض الآخر، قال تعالى: ﴿تلك الرُّسل فضلنا بعضهم على بعض﴾.

وأما أولوا العزم فهم خمسة من الرُّسل أرسلوا بشرائع إلى جميع الخلائق، فكلُّ أولي العزم رُسل، وبعض الرُّسل أولوا عزم، وبعضهم ليسوا كذلك، وأولوا العزم خمسة هم: النبي الأكرم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وسيدنا إبراهيم وسيدنا نوح، وسيدنا موسى، وسيدنا عيسى - عليهم الصّلاة والسّلام أجمعين -، وقيل أصحاب الكتب السماوية والشرائع هم أولوا العزم من الرُّسل لاجتماع الرُّسل، ويبدو أنّه ليس بصحيح لأنّنا نجد أنّ لداوود عليه السّلام كتاباً هو الزبور، نعم ربما تكون الشرائع مختصّة بأولي العزم منهم.

والحمد لله ربّ العالمين

تتمة الدرس الخامس عشر
خصائص النبي ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثانياً: المعجزة: لا بد لكل دعوى من دليل ساطع وبرهان قاطع يؤدي الى اليقين بصحة الدعوى والمدعى، ولما كان الرسول والنبي يدعي السفارة من الله - تعالى -، وأنه سفير يمثل الحق - جلّ وعلا - وحبّته على عباده، فلا بد من إقامة برهان لا يداخله الشك، ولا يطرو عليه التردد، وينقطع معه ريب كل مريب، وحبّة كل لبيب، حتى يُثبت ما ادّعاه، ويتمّ الحجّة على العباد، ولا شيء أدلّ على هذا المدعى، وأقطع للشك والترديد فيه من المعجزة.

(س): فما هي المعجزة؟

(ج): المعجزة عبارة عن التصديق العملي من الله - تعالى - للنبي، وحقيقتها عبارة عما يكون خرقاً للعادة والطبيعة، وإحداث فعل من غير أسبابه الطبيعيّة، بل خلافاً للأسباب والعلل

الطَّبِيعِيَّةِ فِيهِ إِيجَادٌ مُسَبَّبٌ بِلا سبب، وَيَشْتَرطُ فِي صِحَّةِ المَعْجِزَةِ أَنْ يَعْجِزَ الجَنُّ وَالإِنْسُ عَنِ الإِيتِيَانِ بِهَا، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ مَعْجِزَةً، وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ مَعْنَى لَتَسْمِيَّتِهَا بِذَلِكَ وَعَدَّهَا إِعْجَازًا.

فَمَنْ تَوَقَّرَتْ فِيهِ العَصْمَةُ وَظَهَرَتْ عَصْمَتُهُ مِنْ جِهَةِ تَحْلِيهِ بِالصِّفَاتِ الحَمِيدَةِ وَالكَمَالِ النَّفْسَانِي، وَأَفْعَالِهِ وَسُلُوكِيَاتِهِ المَسْتَقِيمَةِ وَكَانَ أَهْلًا لِادِّعَاءِ النَّبُوءَةِ وَالسَّفَارَةِ الإِلَهِيَّةِ، ثُمَّ ادَّعَى ذَلِكَ وَأَتَى بِفَعْلٍ يَعْجِزُ عَنْهُ الجَنُّ وَالإِنْسُ، فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ فِي دَعْوَاهُ، وَتَجِبُ لَهُ الطَّاعَةُ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ.

وَلِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ المَرْوِيِّ فِي أُصُولِ الكَافِي عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - الصَّادِقِ ﷺ -: «إِنَّا لَمَّا أُثْبِتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا، وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مُتَعَالِيًا لَمْ يَجْزِ أَنْ يَشَاهِدَهُ خَلْقُهُ، وَلَا يَلَامُوهُ فَيَبْأَشِرُهُمْ وَيَبْأَشِرُوهُ، وَيُحَاجُّهُمْ وَيَحَاجُّوهُ بُكِبَتْ أَنَّ لَهُ سَفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ، يَعْبُرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ، وَمَا بِهِ بَقَاؤُهُمْ، وَفِي تَرْكِهِ فَنَآؤُهُمْ، فَثَبَتَ الأَمْرُونَ وَالتَّاهُونَ عَنِ الحَكِيمِ العَلِيمِ فِي خَلْقِهِ، وَالمَعْبُرُونَ عَنْهُ جَلٌّ وَعِزٌّ، وَهُمْ الأنْبِيَاءُ ﷺ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، حَكَمَاءُ مُؤَدِّبِينَ بِالحِكْمَةِ، مَبْعُوثِينَ بِهَا، غَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ - عَلَى مُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي الخَلْقِ وَالتَّرْكِيبِ - فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ،

مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر
وزمان مما أتت به الرُّسُل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا
تخلو الأرض من حُجَّة يكون معه علم يدل على صدق مقالته
وجواز عدالته»^(١).

ومن خصائص الإعجاز أنه: أولاً- ليس أمراً اكتسائياً، فلا
يحصل بالتعليم والتعلُّم، وثانياً- لا تؤثر فيه القوى الأخرى، ولا
يتأثر بها، وهي خاصّة بالخواص من أولياء الله - تعالى - ولا تقع
إلا بإذنه - تعالى -.

وهناك الكثير من هذه المعجزات التي ظهرت على أيدي
الأنبياء والصّالحين من عباد الله المخلصين، كخروج النّاقة من
الجبل بدعاء سيّدنا صالح النبي ﷺ، وماء زمزم الذي جرى في
البرّ الأقر عند موضع الكعبة المشرفة بيد سيّدنا إسماعيل ﷺ وهو
طفل رضيع، وسفينة نوح، وصهر الحديد على يد سيّدنا
داود ﷺ، ومنطق الطير والحيوان الذي أوتي سيّدنا سليمان ﷺ،
وطاعة الجنّ والإنس والحيوانات والطيور، الذي سُمّي بملك
سليمان ﷺ، وآلاف المعجزات التي ظهرت على أيدي الأنبياء

(١) الكافي ج ١ / ١٦٨ ح ١، توحيد الصدوق: ص ٢٤٨، بحار الأنوار
ج ١٠ / ١٦٤ - ١٦٥ ح ٢.

على مرّ العصور والتأريخ .

وأخيراً فلا بدّ أن تكون المعجزة - عادةً - تناسب الزّمان
 والمكان وأحوال النَّاسِ ، فمثلاً العصى معجزة سيّدنا موسى ﷺ
 كانت تلائم تلك الظروف التي كثر فيها السّحر ، أو نزول الدّم
 والضّفادع وما شابه ذلك من السّماء تناسب طغيان فرعون
 وجبروته وجبروت من كانوا معه ، أو إحياء الموتى وشفاء
 الأمراض ، لا سيّما المستعصية من غير علاج طبيعي ودواء ،
 معجزة تناسب تلك الفترة التي بُعث فيها سيّدنا عيسى ﷺ من تقدّم
 مذهب في علم الطّبّ والعلوم الطّبيعيّة وهلمّ جرّاً من المعجزات لا
 سيّما عشرات المعجزات التي ظهرت على يد سيّدنا محمد ﷺ
 حتّى عدّت أكثر من ألف معجزة ، أهمّها وأعظمها المعجزة الخالدة
 أعني القرآن الكريم الذي جاء في زمن تتباهى فيه العرب بقوّة
 البلاغة وشدّة الفصاحة وسحر البيان وقد تحدّى العرب جميعاً
 ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾^(١) ، بل تحدّى الجنّ والإنس حيث قال -
 جلّ وعلا :- ﴿ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢)
 وقال - تعالى :- ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا

(١) سورة البقرة : ٢٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٣ .

يمثل هذا القرآن لا يأتون بِمِثْلِهِ^(١)، وبما أن نبوة نبيينا ﷺ خاتمة النبوات، وهو خاتم الانبياء والمرسلين فلا بد أن تكون له معجزة خالدة لأن رسالته خالدة، ولا بد أن تواكب جميع العصور والأزمنة، وتنفع الناس الى يوم القيامة، ولهذا فقد كان القرآن الكريم إعجازاً في اللغة، وإعجازاً علمياً، وإعجازاً اقتصادياً، وإعجازاً ثقافياً، وإعجازاً تربوياً، وإعجازاً قانونياً، وإعجازاً حضارياً، وإعجازاً فلسفياً، وإعجازاً في كل شيء، لا يسع هذه الوجيزة التطرق الى تفاصيل ذلك، وقد ألف المتخصصون وذوي الخبرة كتباً قيّمة في مجالات الإعجاز القرآني، ووجوه الإعجاز فيها، وإليكم بعض الأمثلة من الكتاب المجيد في الإعجاز العقائدي والفلسفي: ﴿لقد كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثالثُ ثَلَاثَةٍ وما من إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ واحدٌ﴾^(٢)، ﴿قُل لَّو كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتا﴾^(٣)، ومن الإعجاز العلمي: ﴿يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفِذوا مَن أَقْطارِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ فَانْفِذُوا لا

(١) سورة الإسراء: ٨٨.

(٢) سورة المائدة: ٧٣.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٢.

تَتَّقُدُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿١﴾ ، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ
فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ ﴿٢﴾ ، وفي الاقتصاد: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الرِّبَا﴾ ﴿٣﴾ ، وفي القانون: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ﴿٤﴾ ،
﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ ﴿٥﴾ ،
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ﴿٦﴾ ، و ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي
فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ﴿٧﴾ ، والآداب والتربية:
﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿٨﴾ ، ﴿هل جزاء الإحسانِ إِلَّا
الإحسان﴾ ﴿٩﴾ ، ﴿وأوفوا بالعهد﴾ ﴿١٠﴾ ، والإخبار بالغيب: ﴿الْم
عَلَبَتِ الرُّومُ. فِي أذُنِي الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَّغْلِبُونَ. فِي

(١) سورة الرحمن : ٣٣ .

(٢) سورة الرحمن : ٣٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٤) سورة الأنعام : ١٥١ .

(٥) سورة البقرة : ١٩٤ .

(٦) سورة المائدة : ٣٨ .

(٧) سورة النور : ٢ .

(٨) سورة القصص : ٧٧ .

(٩) سورة الرحمن : ٦٠ .

(١٠) سورة الإسراء : ٣٤ .

بِضْعِ سِنِينَ^(١)، وهناك آيات كثيرة لا مجال في هذا المختصر إلى عرضها.

والذي لا يدع مجالاً للشك والترديد في هذا الإعجاز وهذه المعجزة الخالدة، أن القرآن الكريم نزل في أكثر الشعوب تخلفاً وأميةً وجهلاً حينذاك، وفي أكثر الأزمنة والأمكنة فوضاويةً وانحطاطاً، والأعجب من ذلك أن الذي جاء به رسول أمي لم يحضر درساً ولا تلقى تعليماً عند أحد من البشر، ولم يدخل مدرسةً أو مكتباً أو جامعةً، إلا أنه كان من أسرة عريقة، وسلالة شامخة، وذرية إبراهيم الخليل عليه السلام، وكانت سيرته الصّديق والأمانة وسلوكه الخير والرّشاد، والعصمة من كلّ عيبٍ أو منقصةٍ. فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة وهو ﴿تَسْتَبِينَ أَكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، و﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، لأنه: أولاً: عَجَزَ البشر والجنّ عن الإتيان بمثله ولو بسورة واحدة. ثانياً: نزل في الجاهلية، أي في عصر الجاهلية ومكان الجاهلية ومقل الجاهلية.

ثالثاً: جاء به رسول أمي عاش في ذلك الزمان والمكان.

(١) سورة الروم: ١ - ٤.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

رابعاً: لأنه ﴿هُدًىً لِلْعَالَمِينَ﴾^(١)، في جميع مجالات الهداية والتعليم.

خامساً: لأنه أخبر عن الأمور الغيبية.

سادساً: لأنه محيط بأسرار الخلائق والكون: ﴿وَمَنْ كُنَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾^(٢)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٣).

سابعاً: عدم وقوع الاختلاف في القرآن: ﴿أَقْلَابًا يَسْتَدْبِرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٤).

ثامناً: الهداية والتربية العملية: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِتِجَارَةِ هِيَ أَقْوَمٌ﴾^(٥).

بعض سجايا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وصفاته الكريمة وأخلاقه الحميدة:

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(٦).

(١) سورة آل عمران: ٩٦.

(٢) سورة الذاريات: ٤٩.

(٣) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٤) سورة النساء: ٨٢.

(٥) سورة الإسراء: ٩.

(٦) سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦.

٢- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمةً لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

٣- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

٤- «الصّادقُ الأمين» لقبه المبارك في الجاهليّة.

٥- من شدة زهده وإعراضه عن الدُّنيا أنّه لم يشبع طيلة حياته حتّى من خبز الشعير، وكانت ثيابه من الصّوف الخشن.

٦- ومن شدة تواضعه أنّه كان يسلمّ على الأطفال، ولا يرضى أن يقوم له أحد، وكان إذا دخل مجلساً سلّم وجلس أينما انتهى به المقام، وكان يجالس العبيد والفقراء ويشاركهم في الطّعام، وكان يجلس على الأرض والتراب، وكان يخصف نعله بيديه الكريمتين ويخيط ثيابه بنفسه، ويخلب الصّان.

٧- عنايته بالجار، قال مولانا عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد أوصانا رسول الله بالجار حتّى ظننّا أنّه سيورّثه»^(٤).

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) المعجم الاوسط للطبراني ج ٧/ ١٠٠، مسند الشاميين ج ٣/ ٣٣٩

الفوائد (ابن منده): ص ٧٥.

٨- عنايته بالمرضى وعيادته لهم وإن كانوا من غير ملّة الإسلام.

٩- وكان ﷺ كثير الاهتمام بأصحابه حتى في تشييع جنازتهم.

١٠- وكان ﷺ إذا صافح أحداً لا يخلع يده حتى يخلع الآخر يده.

١١- كان أعظم الناس شجاعةً وبطولةً وفروسيّةً وأشدّهم قتالاً، قال مولانا علي بن أبي طالب: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ الْوَطِيسُ لُدْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

١٢- وكان أعبد الناس: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(٢).

١٣- وكان أحرص الناس على القرآن: ﴿طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾^(٣).

١٤- كان ﷺ كثير الاستماع حتى لقبوه بالأذن: ﴿ويقولون

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٣ / ٢٧٩، البداية والنهاية ج ٦ / ٤٢ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ / ١١٦، النهاية في غريب الحديث ج ١ / ٩١.

(٢) سورة الحجر: ٩٩.

(٣) سورة طه: ١-٢.

هو أَذُنٌ قُلُّ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿١﴾.

١٥- وكان أسخى الناس وأكرمهم.

وما لا يُعَدُّ ولا يُحصَى من الفضائل والمناقب والسجايا الكريمة التي لا مجال لعدّها هنا في هذا المختصر، ونوصي بالرجوع الى كتب التأريخ والسيرة والأخلاق للوقوف على بعض هذه السجايا والفضائل.

ملاحظات هامة:

أولاً: أن الأنبياء والرُّسل يصدّق بعضهم بعضاً، ويبشّر السابق منهم باللاحق، ويخبر عن مكان ظهوره وبعثته وبعض أوصافه لا سيّما إن كان اللاحق - المخبر عنه - رسولاً، وبالخصوص إن كان من أولي العزم، وقد بشّر جميع الأنبياء والرُّسل أقوامهم بقدم نبيّنا محمد ﷺ وبعثته حتّى أن بعض صفاته وأسماء الشريفة وردت في كتبهم كالتوراة والإنجيل: ﴿النبيّ الأمّيّ الذي يجِدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾ (٢).

ثانياً: لم يطلبوا أجراً من الناس على دعوتهم ﴿وما أسألكم

(١) سورة التوبة: ٦١.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

عليه من أجرٍ إن أُجرِيَ إلا على ربِّ العالمين ﴿^(١)﴾، ﴿وما تسألهم عليه من أجرٍ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ ^(٢)، وقد خصَّ رسولنا ﷺ بأجر المودّة لأهل بيته وعترته الطاهرة ﴿قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودّة في الثّزبى﴾ ^(٣)، وهو أجر تنتفع به الأمة نفسها: ﴿قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم﴾ ^(٤).

ثالثاً: أن للنبيّ والرّسول مقامين ومنزلتين: مقام الخلافة الإلهية، ومقام الخلافة على العباد، فهو حاكم وقاضٍ إلى جانب كونه هادياً وبشيراً ونذيراً.

رابعاً: ﴿النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ ^(٥)، فيجب أن يفديه النّاس بأرواحهم وأموالهم وأولادهم، وأن يحفظوه ويذودوا عنه بكلِّ غالٍ ونفيس.

وأما النّبوة الخاصّة بنبينا الأكرم محمد ﷺ فإنها ثابتة بسيرته الحسنّة وعصمته المتميّزة وصفاته الحكيمة الكريمة وفضائله ومناقبه الجسيمة، ومعجزته الخالدة بل مئات المعاجز

(١) سورة الشعراء: ١٠٩، ١٢٧.

(٢) سورة يوسف: ١٠٤.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب: ٦.

(٥)

الأخرى وبشارة الأنبياء والرُّسُل بقدومه وظهوره، وقد سُقنا هذه الأمور خلال بحثنا عن النّبوة العامّة وفيها الكفاية لمن ألقى السَّمع وهو شهيد، ولا تفي هذه الوجيزة ببيان ذلك ولهذا فقد أرجعنا القارئ الكريم إلى كتب السّيرة والتاريخ لمزيد العلم والمعرفة.

والحمد لله ربّ العالمين

الدرس السادس عشر

الإمامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد ما تبين أنّ النبيّ الأكرم محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وشريعته الإسلامية خاتمة الشرائع وكتابه الخالد مصون من كل تحريف وتزييف وهو مشعل نور وهداية الى يوم القيامة، وأنّه ﷺ كان حاكماً على العباد وقاضياً بينهم وشريعته الغراء هي الحَكَمُ العَدْلُ والمرجع الوحيد القائم إلى يوم القيامة وقيام الساعة، لا يجوز التَّدْيُنُ بغيرها ولا التحكيم الى سواها ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(١)، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢)، لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَكَانَ لِلْقُرْآنِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ وَلِبَاطِنُهُ بَطُونٌ إِلَى سَبْعِينَ بَطْناً أَوْ أَكْثَرَ - وهذه ممّا اتفقت عليه جماهير المسلمين وعلماء الإسلام على اختلاف مشاربهم

(١) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩ .

ومذاهبهم-، ثم اختلف المسلمون وعلمائهم في تفسير ظاهره وظواهره، بل عجزوا كثيراً عن ذلك، وكانوا حينئذٍ عن معرفة أسرارهِ وحقائقهِ وبطونه أعجز، لأنَّ عجائبه لا تنتهي، ولم تكن الفرصة كافية أمام رسول الله ﷺ لبيان ذلك كلِّه، ليعيب في قابلية النَّاسِ، وعجزهم عن إدراك كثير من الحقائق، بسبب الحقبة الزَّمنية التي عاشوا فيها، ولحاجة معرفة كثير من الامور إلى مرور الزَّمان وتغيير في العقول وحصول التجارب وتقدم العلوم وتكامل في العقول وهي ممَّا لم يتحقَّق بل ولن يتحقَّق إلا في عصور متأخرة عن عهد رسول الله ﷺ.

فكان لا بدَّ من وجود خلفاء وأئمةٍ هادين مهديين راشدين يواصلون تلك المسيرة ويحملون عبأ الرِّسالة، فيكونون حكَّاماً وخلفاء على النَّاسِ، يحكمون بالشريعة، ويقيمون الحدود، ويحفظون الثَّغور، ويعملون بعلمهم الموروث من رسول الله ﷺ والممدود إلى السَّماء بحبل الله المتين، ومعصومون عن كلِّ سهو وخطأ ونسيان، ومشهود لهم بالفضل والكمال، ليبينوا للنَّاسِ عظمة الإسلام وحقائق القرآن، فتكون الرِّسالة المحمدية ﷺ جليَّة للعيان، واضحة المعالم، حاكمة إلى قيام الساعة، وإلا لو انقطعت العصمة، ولم يكن الخليفة منصوباً منصوراً مؤيداً من

عند الله - تعالى -، لكانت الرسالة ناقصة شأنها شأن ما وقع بعد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا وإلى ظهور المهديّ من آل محمد ﷺ من تشويهٍ للشريعة وظلم واضطهاد وتباين للآراء والمذاهب والأحزاب، وتشبّه وتمزيقٍ وانحراف، ولم يتحقّق الغرض الذي من أجله بعث النبيّ الخاتم، والغاية التي من أجلها كان الإسلام خاتم الشرائع السماوية، وعُدّ القرآن خالداً إلى قيام الساعة.

فلأجل هذه الأسباب اقتضت الضرورة وحكم العقل بالبداية أن ينصب رسول الله ﷺ بأمر من الحكيم العليم خلفاء يحملون الرّاية من بعده ويكونون للأمة كما كان هو، وتكون لهم حقوق على الأمة بمثل ما كانت له ﷺ عليها، وسُمّي هؤلاء أئمة فما معنى كلمة الامام؟

ج): الإمام في اللغة هو الزعيم والقائد، وفي اصطلاح المتكلّمين وعلماء الكلام الإمامة هي الرّعاية الدنيوية والدنيوية المطلقة على أهل الإسلام وكافة المسلمين، وهذه الرّعاية لا تكون عندنا ولا تجوز في مذهبنا وعقيدتنا إلا لمن كان منصوباً من عند الله - تعالى -، لما تقدّم من أهميّة هذا المنصب والمقام وخطورته وعجز الناس عن اختيار من يكون أهلاً لذلك،

والتّجارب قد أثبتت ذلك ورأيناها رأي العين في زماننا هذا، وإن سمعنا أيضاً الكثير عن الماضي، ولهذا فقد أثبتت تلك التّجارب بطلان كلّ ادّعاء خلاف ما ذكرنا، وزيف كلّ داعٍ إلى اختيار النّاس، وإلى تحكيم ما يطلق عليه في لسان الغرب بالديمقراطيّة، وكلّما تقدّم بنا الزّمان ظهر بطلان هذه الدّعوات للعيان أكثر، ويثس النّاس من دعاة الديمقراطيّة، وأيقنوا بمدى زيف هذه المحاولات في إسعادهم وسلامتهم، حتى زعم بعض علماء العامّة من المتأخّرين والمعاصرين وحتى القدماء أنّ الخلفاء الأربعة كانوا منصوبين من قبيل رسول الله ﷺ متجاهلين ما في صحاحهم عن رسول الله ﷺ «من بعدي اثنا عشر أمير» أو «خليفة» أو «إمام»، وأنّ «كلّهم من قريش»^(١) واختلفوا في تفسيره وتطبيقه على مصاديقه، رغم أنّ في بعض كتبهم روايات صريحة عن رسول الله ﷺ تنصّ على أسمائهم وتدلّ على أعيانهم، ولم يتمسك بها سوى فرقة واحدة من فرق المسلمين أطلق عليها الإماميّة الاثني عشرية.

فالإمام يجب أن يكون منصوباً من عند الله تعالى، وأن

(١) صحيح البخاري ج ٨ / ١٢٧، صحيح مسلم ج ٦ / ٣ - ٤.

يكون متّصلاً بمنبع الفيض الإلهي مستمداً علمه من الله تعالى، وأن يكون معصوماً بالعصمة الكبرى لأنه عدلُ القرآن وهو القرآن الناطق لقوله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله حبلٌ ممدود إلى السماء، وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا - بعدي - أبداً»^(١) وهو معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢) والقربى هم فاطمة الزهراء سيّدة النساء وبعلها وبنوها عليها وعليهم أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

ليت شعري كيف انتبه الخليفة الثاني ومن معه إلى لزوم اختيار الخليفة، وضرورة أن ينصبوا إماماً للمسلمين وخليفةً لرسول الله ﷺ في سقيفة بني ساعدة، ولم ينتبه الله إلى هذا الأمر ولا رسوله ﷺ؟!

ومن أين جاء الخليفة الأول بفكرة نصب الخليفة الثاني من بعده وتعيينه وتحديدته دون الرجوع إلى المسلمين، والعمل بالشورى، إن كان الشورى هو المرجع والطريق إلى تعيين

(١) مسند أحمد ج ٣/١٤ و ١٧، مجمع الزوائد ج ٩/١٦٣، مسند أبي الجعد: ص ٣٩٧، مصنف ابن أبي شيبة ج ٧/١٧٦، ينابيع المودة ج ١/٧٤.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

الخليفة واختياره، على ما يزعمه دعاة الشورى؟! ومن أين جاء الخليفة الثاني بقانون نَصَبَ به سِتَّةَ من المسلمين - الصحابة - وأمرهم باختيار الخليفة من بعده، إذا كان الخليفة الثالث مَنْصُوباً من عند الله تعالى والرَّسول ﷺ على حدِّ زعم القائلين بالنصِّ على خلافة الأربعة الرَّاشدين، وأنهم كانوا منصوبين منصوبين من عند الله تعالى ورسوله ﷺ؟! وللرَّدِّ على القائلين: لو كان عليٌّ ؑ منصوصاً منصوباً من قِبَلِ رسول الله ﷺ بالخلافة مباشرة بعده، وكان الخليفة الأول لرسول الله ﷺ فهل يُعقل أن يخالفه الصحابة ويعرضوا عنه؟! نقول: لو كان الأول - أبو بكر - خليفة رسول الله ﷺ بالنصِّ والتَّصيِّبِ فما بال كثير من المسلمين - الصحابة - قد امتنعوا في الوهلة الأولى عن بيعته وعلى رأسهم عليٌّ ؑ وبنو هاشم وسلمان ومقداد وأبوذر وعمَّار وجمع غفير من المهاجرين والأنصار حتَّى تضاربوا بينهم وتراشقوا بالألفاظ وكادوا يتقاتلون فقالت الأنصار: منَّا الأمير، وقال المهاجرون: منَّا الأمير، ثم قالوا واتَّفَقوا بينهم على ما قاله بعض المهاجرين للأنصار أن «منَّا الأمير

ومنكم الوزير»^(١). وما بال حروب الرّدة التي دارت بين المسلمين حينذاك وإنما سُمّيت بالرّدة لزمهم أن من امتنعوا عن طاعة الخليفة الأوّل وحبسوا الزّكوات عن إرسالها إليه وإيصالها لديه مرتدّون عن الإسلام خارجون على الخليفة، كلّ ذلك قد ورد في كتب التّاريخ والسيرة والحديث والعقائد والكلام وكان مشار جدل بين المسلمين، ولا يزال كذلك.

على أنّ الشّخص الوحيد والفرد الفريد من بين هؤلاء الأربعة الذي لم يتمّ اختياره للخلافة من قبل الناس ولا بواسطة واحدٍ بعينه من الصّحابة، وإنما تمّت له البيعة بتزاحم المسلمين على باب داره واجتماعهم على بيته، وعلمهم ويقينهم بأنّ بيعتهم له تحصيل حاصل بعد بيعة المسلمين له في صدر الإسلام سيّما في واقعة الغدير بأمر من رسول الله ﷺ وفي محضره الشّريف، وعلمهم ويقينهم بأنّه الخليفة الحقّ والإمام المنصوب من عند الله تعالى ورسوله وإجماعهم على وجوب طاعته، كما أجمعوا على أنّ مخالفته ومعاديه ناكثون وقاسطون ومارقون، هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإن حاول بعض المخالفين

(١) تاريخ الطبري ج ٣/ ٢٠٣، الكامل في التّاريخ ج ٢/ ٣٢٥، بحار الأنوار ج ٢٨/ ٣٢٤ وص ٣٣٧.

المعاندين تجاهل ذلك في العمل والواقع العملي، والبحث عن مبرّر لما بدر من أصحاب الجمل وخوارج نهروان ومعاوية بن أبي سفيان وأذنابه، وسعى جاهداً للدّفاع عنهم في محاولة يائسة لإنقاذ الغرقى وتحسين صورتهم في عيون المسلمين، وأتى لهم ذلك وقد فضّحهم التاريخ، وكشفت عن عوراتهم السيّرة، وبدت وصمة العار على جبينهم لا تزيله مياه البحار والأنهار، وأقروا بها في كتبهم، ونطقوا بها في مجالسهم ومحافلهم؟! وأين هم من قوله ﷺ: «يا عمّار ستقتلُك الفئةُ الباغية»؟! (١)

والحمد لله ربّ العالمين

(١) كنز العمال ج ١٣ / ٥٣٢ ح ٣٧٣٨٦، شرح مسند أبي حنيفة: ص ٢٤٥، مشاهير علماء الامصار: ص ٧٤ ح ٢٦٦، الموضوعات ج ٢ / ١٢، اسدالغابة ج ٢ / ٢١٧، البداية والنهاية ج ٣ / ٢٦٣، وقعة صفين ص ٣٢٤.

تتمة الدرس السادس عشر

الإمامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وكيف يكون إماماً للمسلمين وخليفةً لرسول رب العالمين ﷺ من أقرت كتب السيرة والتاريخ، واعترفت ودوّت أيدي مواليه ومؤيديه في كتبهم مقولته الشهيرة وإقراره الصريح: «إن لي شيطاناً يعتريني»^(١)، و«أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم»^(٢)، وهكذا مقولة صاحبه الخليفة الثاني عن بيعته أنّها كانت فلتة^(٣) لا ينبغي للمسلمين أن يعودوا لمثلها، وأيضاً مقولته

(١) الطبقات الكبرى ج ٣/٢١٢، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٠/٣٠٣-٣٠٤، الامامة والسياسة ج ١/٣٤.

(٢) التفسير الصافي ج ٢/٥٦، الفضائل (ابن شاذان) ص ١٣٣، الطرائف ص ٤٠٢ الصراط المستقيم ج ٢/٢٩٤، الصوارم المهرقة ص ٤٥ و٢١٦، بحار الأنوار ج ١٠/٢٨ وج ٢٩/٥١٩ وج ٣٠/٥٠٤.

(٣) مسند أحمد ج ١/٥٥، صحيح البخاري ج ٨/٢٥ و٢٦، المصنف عبد الرزاق ج ٥/٤٤١-٤٤٢، ص ٤٤٥، المصنف ابن أبي شيبة ج ٧/٦١٥-٦١٦ وج ٨/٥٧٠، صحيح ابن حبان ج ٢/١٤٨ و١٥٥

الشَّهيرة عن نفسه في أكثر من سبعين موضعاً وموطناً «لولا عليٌّ لهلك عمر»^(١)، و«كلُّ النَّاسِ أُمَّةٌ مِنْ عَمْرٍ»^(٢)، و«لا أبقاني الله لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن»^(٣)، فضلاً عن الخليفة الثالث الذي امتلئتُ بطون الكتب بمثالبه وأخطائه وزلاّته؟!

أتى لهؤلاء وأمثالهم أن يتقلّدوا زمام أمور المسلمين ويكونوا خلفاء رسول ربِّ العالمين ﷺ وهم يجرّون وراءهم أذيالَ الضَّعف والجهل والنَّقْصان؟!

وأتى لهم أن يتقدموا على جامع الكمالات، وبحر الفضائل، والإنسان الكامل، والمحيط بلا ساحل، والشَّمس المضيئة،

١٥٧ و ١٥٨، شرح نهج البلاغة ج ٢/ ٢٣ و ٢٦ و ٢٩ و ج ٩/ ٣١
و ج ١١/ ١٣ و ج ١٣/ ٢٢٤ و ج ٢٠/ ٢١.

(١) شرح نهج البلاغة ج ١٢/ ٢٠٥، نظم درر السمطين ص ١٣٠ و ١٣٢،
فتح الملك العلي: ص ٧١ ينابيع المودة ج ١/ ٢١٦ ح ٢٨ و ج ٣/ ١٤٧.

(٢) السنن الكبرى (البيهقي) ج ٧/ ٢٣٣، مجمع الزوائد ج ٤/ ٢٨٤،
شرح نهج البلاغة ج ١/ ١٨٢ و ج ١٢/ ١٥ و ج ١٧/ ١٧١، كنز العمال
ج ١٦/ ٥٣٧ ح ٤٥٧٩٦ و ٤٥٧٩٨، كشف الخفاء ج ١/ ٢٦٩
و ج ٢/ ١١٧ - ١١٨، تفسير ابن كثير ج ١/ ٤٧٨، الدر المنثور
ج ٢/ ١٣٣، فتح القدير ج ١/ ٤٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ١/ ١٨، نظم درر السمطين: ص ١٣٢، انساب
الأشراف ص ١٠٠، ينابيع المودة ج ١/ ٢٢٧ ح ٥٧ و ٥٨، بحار الأنوار
ج ٤٠/ ١٤٩.

والقمر المنير، ووارث علوم الأنبياء، الذي ينحدر عنه السبيل ولا يرقى إليه الطير، ومن نزل في حقه وشأنه أفضل الآيات، والشُّور البيّنات، منها قوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا وُيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)، و﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢)، و﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^(٣)، ومئات الآيات البيّنات التي تحدّثت عنه وعن فضائله بالكناية «والكناية أبلغ من التصريح».

وكيف أخروا الذي قدّمه الرّسول ﷺ وقال في حقه وشأنه وفضله وكماله ما يفوق الإحصاء، ولا تناله أيدي العاذّين، ولا تبلغه عقول المسترشدين، حتى ملأت فضائله العالم بأسره، وملأت الخافقين، وامتلأت بها كتب المخالفين والمعاندين قبل أن تنطق بها كتب مواليه ومحبيه، وتدوّنها أيدي شيعته؟!

كيف تجرّوا على ذلك وقد قال رسول الله ﷺ: «أفقهكم عليّ^(٤)، أقضاكم عليّ^(٥)، أعلمكم عليّ^(٦)»، وقال أيضاً: «علي مني

(١) سورة المائدة: ٥٥.

(٢) سورة الرعد: ٤٣.

(٣) سورة الإنسان: ٨-٩.

(٤) لم أجده.

وأنا منه»^(٧)، وقال: «من كنت مولاة فهذا عليٌّ مولاة، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»^(٨) وذلك بعد أن نزلت الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ﴾^(٩)، وقال: «عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ» ولم يقل ﷺ يدور عليٌّ حيثما دار الحق، بل

(٥) فتح الباري ج ١٠/٤٨٧، شرح نهج البلاغة ج ١/١٨ وج ٧/٢١٩، تاريخ مدينة دمشق ج ٥١/٣٠٠، تاريخ ابن خلدون ج ١/١٩٧، المغني ابن قدامة ج ٢/١٨، الشرح الكبير ج ٢/١٨، تهذيب الاحكام ج ٦/٣٠٦، وسائل الشيعة ج ٢٧/٢٨٢ ح ٢، بحار الأنوار ج ٤٠/٣٠٦.

(٧) فضائل الصحابة ص ١٥، مسند أحمد ج ٤/١٦٤-١٦٥، سنن ابن ماجة ج ١/٤٤ ح ١١٩، المصنف ابن أبي شيبة ج ٧/٤٩٥ ح ٨، كتاب السنة (أبي عاصم) ص ٥٨٤ ح ١٣٢٠، السنن الكبرى (البيهقي) ج ٥/٤٥ ح ٨١٤٧ خصائص أمير المؤمنين: ص ٨٧-٩٠، مسند أبي يعلى ج ١/٢٩٣ ذح ٣٥٥.

(٨) شرح نهج البلاغة ج ٢/٢٨٩ وج ٣/٢٠٨، بشارة المصطفى ص ٢٠٠، مناقب الخوارزمي ص ٧، مسند أحمد ج ١/١١٨-١١٩، مجمع الزوائد ج ٩/١٠٥، كنز العمال ج ١٣/١٣١ ح ٣٦٤١٧ وص ١٥٨ ح ٣٦٤٨٧، تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢/٢٠٨-٢١٢ وص ٢١٩ و٢٢٨، البداية والنهاية ج ٧/٣٧٠ وص ٣٨٤ يتابع المودة ج ٢/٢٨٢ و٢٨٣ ح ٨١٠ وص ٢٨٤ ح ٨١١.

(٩) سورة المائدة: ٦٧.

قال: «يدور الحقّ حيثما دار علي»^(١) لأنّ عليّاً عليه السلام مظهر الحقّ، وميزانه، يعرف الحقّ بعليّ عليه السلام، وهو الحق المطلق والعدالة التامة، وقال عليه السلام: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى»^(٢)، وقد أبدى عن جهله وكشف عن عورته من زعم أنّ هذه الخلافة تختصّ بالمدينة المنورة وفي زمن الرسول عليه السلام لأنّه شبه عليّاً عليه السلام بهارون عليه السلام، وقد خلف موسى عليه السلام في حياته ومات قبل أخيه موسى عليه السلام، لأنّ هذا القائل لم يفقه إلى قوله عليه السلام: «إلا أنّه لا نبيّ بعدي» وهو واضح غاية الوضوح وصريح في أنّ هذه المنزلة إنّما تكون بعد رسول الله عليه السلام لا في حياته وبعد مماته، وإن كان عليّ عليه السلام خليفته في حياته وبعد مماته، إضافة إلى أنّها نصّ صريح في أنّه عليه السلام بمنزلة الأنبياء، ولولا انقطاع النبوة وختمها به عليه السلام لكان عليّ نبيّاً قطعاً.

وكيف تجاهلوا قوله عليه السلام: «يا علي لا يُحِبُّكَ إلا مؤمن ولا

(١) الاستغاثه ج ١ / ٩، ج ٢ / ٦٣ - ٦٤، اعلام الورى ج ١ / ٣١٦، مواقف الشيعة ج ٣ / ١١٢ الجمل ص ٣٦، عوالي اللئالىء ج ٢ / ١٣١، بحار الأنوار ج ٢٨ / ٢٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٥٤ / ٢٢٦، ج ٧٠ / ٣٦، ينابيع المودة ج ١ / ٢٤٠ وج ٢ / ٨٦ ح ١٦١ وص ١٥٣ ح ٤٢٦ وص ٣٠٢ ح ٨٦٥، علل الشرائع ج ٢ / ٤٧٤، الخصال ص ٥٧٢ فمن ح ١.

يُبغضك إلا منافق»^(١)، وقوله: «يا علي أنت وشيعتك معي في الجنة»^(٢)، و«يا علي أنت وشيعتك على منابر من نور يوم القيامة»^(٣)، و«حُبُّ عليٍّ إيمانٌ وبغضه كُفْرٌ»، و«حُبُّ عليٍّ عبادةٌ»، ومئات الأحاديث التي اكتضت بها جوامع الحديث، وملأت بطون الكتب وذاعت وشاعت حتى تجاوزت العُدَّ والتواتر والإحصاء، رغم كتمان الأعداء لها حقداً منهم لعليٍّ عليه السلام وكتمان الأصدقاء لها خوفاً من القتل والتشريد والسجن والتعذيب بأيدي بني أمية وبني العباس وأزلامهم الحاقدين لعليٍّ عليه السلام وبني هاشم؟!.

ألم يقرؤا ويسمعوا ويروا سيرة عليٍّ عليه السلام وفيها ما يكفي ويزيد دليلاً وشاهداً على حقانية عليٍّ عليه السلام بالخلافة، وبطلان خلافة من

(١) مسند أحمد ج ١/ ٩٥ و١٢٨، سنن الترمذي ج ٥/ ٣٠٦ ح ٣٨١٩، سنن النسائي ج ٨/ ١١٦، مجمع الزوائد ج ٩/ ١٣٣، فتح الباري ج ١/ ٦٠، السنن الكبرى (النسائي) ج ٥/ ١٣٧ و٥٣٤/ ٦ ح ١١٧٤٩، تاريخ بغداد ج ٨/ ٤١٦ ح ٤٥٢٣ و١٤/ ٤٢٦ ح ٧٧٨٥، تاريخ مدينة دمشق ج ٣٨/ ٣٤٩.

(٢) كنز العمال ج ١١/ ٣٢٣ ح ٣١٦٣١، مسند زيد بن علي ص ٤٥٦، الايضاح ص ٤٧٦ المسترشد ص ٤٠١.

(٣) امالي الصدوق: ص ١٥٦، روضة الواعظين: ص ١١٣، الغارات ج ١/ ٦٢، مناقب أمير المؤمنين (محمد بن سليمان الكوفي) ج ١/ ٢٥٠ و٢٩٢ ح ٧٦٢.

تقدّموا عليه؟! هل خفي عليهم برازه لعمر بن عبد وّد العامري في الخندق وهو يستخفّ ويستهيء بالمسلمين ويدعوهم إلى البراز، وقد أخذ الخوف منهم كلّ مأخذ وصاروا كأنّ عليّ رؤوسهم الطّير؟! وهو في العشرين من عمره فقال عليه السلام لعليّ عليه السلام: اخرج إليه ثم قال عنه: «برز الإيمان كلّه إلى الشّرك كلّه»^(١)، وقال عليه السلام بعد أن قتل عليّ عمرواً: «لضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»؟!

وأين كانوا حين انهزم جيش المسلمين في أحد بمكرٍ وحيلة من خالد بن الوليد قائد جيش المشركين، ولم يصمد مع رسول الله صلى الله عليه وآله سوى عليّ عليه السلام والزبير، وقيل: نفرٌ قليل من المسلمين، فهجم المشركون على رسول الله صلى الله عليه وآله وهمّوا بقتله وعليّ في جنبه وجواره لم يفارقه طرفة عين، يذبّ عنه بنفسه وروحه وجسده، حتى لقد انكسرت رباعيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وشجّ جبينه المبارك، وكان الأول والثاني في مقدّمة الفاريّين من المعركة؟!

وأين هم من فتح خيبر حيث ذهب الأول بالرّاية فعاد هارباً خائباً، وذهب الثاني فعاد هارباً إثر صاحبه وأخيه، ثم قال عليه السلام

(١) مناقب أمير المؤمنين (محمد بن سليمان الكوفي) ج ١/ ٢٢٣، كنز الفوائد ص ١٣٧، الطرائف ص ٣٥، وص ٦٠ ح ٥٧، بحار الأنوار ج ٢٠/ ٢١٥ وج ٣/ ٣٩، وج ١٠٨/ ٢٨٨.

في الثالثة: «لأعطينَ الرّايةَ غدأً لرجلٍ - رجلاً - يحبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويحبُّه اللهُ ورسولَهُ»^(١) فأعطاها لعليّ عليه السلام الذي لم يتوان ولم يتأخّر في فتح خيبر، وقتل مرحبهم ذلك البطل الذي كانت تتغنّى بشجاعته النساء، وتباهى بقوته أبطال اليهود ورجالها؟!.

وفي هذا اليسير الذي يُعدّ دون القطرة في جنب المحيط كفايةً لأهل النظر والبصيرة ولمن أراد أن يعتبر ﴿أو ألقى السَّمعَ وهو شهيدٌ﴾^(٢)، وقد ولّى زمن الضحك على الذقون واختلاق الأساطير، والأكاذيب، والقصص الخيالية والأفلام الكرتونية التي تحكي عن البطولات الوهميّة، والفضائل الخياليّة، والمواقف الزائفة لهذا وذاك ﴿أَقْمَنُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَأُيَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٣)!

وللهِ دَرُّ الشاعِر حيث قال:

ويُقَدِّمُ الأمويُّ وهو مؤخَّرُ ويؤخَّرُ العَلويُّ وهو مقدَّمُ

(١) الدعوات (قطب الدين الراوندي) ص ٦٣، فضائل الصحابة ص ١٦، مسند أحمد ج ١ / ٩٩ و ص ١٨٥ وج ٤ / ٥٢، صحيح البخاري ج ٥ / ٧٦، صحيح مسلم ج ٥ / ١٩٥ وج ٧ / ١٢٠ - ١٢١، سنن ابن ماجه ج ١ / ٤٥ ح ١٢١، سنن الترمذي ج ٥ / ٣٠٢ ذح ٣٨٠٨.

(٢) سورة ق: ٣٧.

(٣) سورة يونس: ٣٥.

وأخيراً فالأئمة والخلفاء بعد رسول الله ﷺ اثنا عشر بعدد نقباء بني إسرائيل، وقد وردت أسماءهم في الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، وكلُّ واحد منهم دلَّ على الذي يليه وصرَّح باسمه وكنيته، ودعا النَّاس إليه من بعده، وهم:

- ١- عليُّ بن أبي طالبٍ ؑ.
 - ٢- الحسن بن عليٍّ ؑ.
 - ٣- الحسين بن عليٍّ ؑ.
 - ٤- علي بن الحسين زين العابدين ؑ.
 - ٥- محمد بن علي الباقر ؑ.
 - ٦- جعفر بن محمد الصادق ؑ.
 - ٧- موسى بن جعفر الكاظم ؑ.
 - ٨- عليُّ بن موسى الرضا ؑ.
 - ٩- محمد بن عليّ الجواد ؑ.
 - ١٠- عليُّ بن محمد الهادي ؑ.
 - ١١- الحسن بن عليّ العسكريّ ؑ.
 - ١٢- الحجّة بن الحسن المهديّ ؑ وعجّل الله فرجه.
- وكلُّهم معصومون شأنهم في ذلك شأن رسول الله ﷺ والأنبياء، وعلمهم من الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

الدرس السابع عشر
الإمام المهدي المنتظر عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بعد ما تبين: أولاً- أن الغاية من بعثة الأنبياء جميعاً هي إقامة العدل الإلهي وتحكيم الشريعة السماوية لإسعاد الناس في الدارين والدنيا والآخرة ، وإصلاح الكون وإعمارهِ.

ثانياً: وأن الغاية أيضاً من بعثة الأنبياء هي التمهيد والإعداد لظهور النبي الخاتم وخروجه وبعثته عليه السلام.

ثالثاً: وأن النبوة لا يمكن أن تنقطع بموت النبي الخاتم عليه السلام دون أن تتحقق الغاية الأولى والهدف الأسمى ، بل لا بد من أئمة هادين مهديين معصومين يخلفونه شأنهم شأن رسول الله عليه السلام يقودون الأمة نحو تحقيق الهدف الأسمى وغاية الغايات.

رابعاً: وأن الغاية من بعثة النبي الخاتم عليه السلام هي الإعداد

والتمهيد لظهور خاتم الأوصياء، الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف وتوجيه الأنظار إليه وإلى حكمه وعدله وتطهيره للأرض من دنس الشرك والتفاح والظلم والطغيان والاستبداد.

لما بينت النقاط الأربع السابقة تتبين أهمية البحث والتحقيق في حياة هذا الإمام الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً بإذن الله - تعالى -، بعدما ملئت ظلماً وجوراً، ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُل﴾^(١)، ﴿ليُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

وهذا هو الوعد الإلهي الذي قطعه في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣)، ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٤)، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

(١) سورة النساء: ١٦٥.

(٢) سورة التوبة: ٣٣، سورة الصف: ٩.

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٥.

(٤) سورة القصص: ٥.

ازْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مَنْ بَعْدَ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ
بِي شَيْئاً ﴿١﴾ وهي كلها وعود وبشارات إلهية بظهور الإمام
المنتظر عجل الله - تعالى - فرجه الشريف .

ولهذا فقد أجمع المسلمون، وأطبقت جميع فرقهم على
خروج المهدي المنتظر في آخر الزمان، وامتلات كتبهم بأحاديث
المهدي عجل الله فرجه الشريف وبشارة النبي ﷺ به وبظهوره
وظهور دولته الكريمة حتى تجاوزت حدّ التواتر ولم تنلها يد
الإحصاء والاستقصاء، نسوق بعضاً يسيراً منها في هذه الوجيزة
للاستشهاد والاستدلال:

قال رسول الله ﷺ: « لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ واحدٌ لطوّل
الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي
وكُنِيئته كُنِيئتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت ظُلماً
وجوراً » (٢).

وقال ﷺ: «المهديُّ من وُلدي» (٣).

(١) سورة النور: ٥٥.

(٢) سنن أبي داود ج ٢ / ٣٠٩ ح ٤٢٨٢، المعجم الأوسط (الطبراني)
ج ٢ / ٥٥، الجامع الصغير السيوطي ج ٢ / ٤٣٨ ح ٧٤٩٠.

(٣) الجامع الصغير السيوطي ج ٢ / ٦٧٢ ح ٩٢٤٥، كنز العمال
ج ١٤ / ٢٦٤ ح ٣٨٦٦٦.

وقال عليه السلام: «المهديُّ طاووسُ أهلِ الجنة»^(١).

بعض صفاته عليه الصَّلَاة والسَّلَام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: «يخرج رجلٌ من وُلدي في آخرِ الزَّمانِ أبيضُ مشرب حمرةً مُبَدِّحُ البطنِ، عريضُ الفَخْدَيْنِ، عظيمُ مشاشِ المنكبينِ، بظهره شامتان: شامةٌ على جلده، وشامةٌ على شِبهِ شامةِ النَّبيِّ عليه السلام، له اسمان: اسمٌ يخفى، واسمٌ يُعلَنُ، فأما الَّذي يخفى فأحمدُ، وأما الَّذي يُعلَنُ فمحمَّدُ، فإذا هزَّ رأيته أضاء لها ما بينَ المشرقِ والمغربِ، ووضع يده على رؤوسِ العبادِ، فلا يبقى مؤمنٌ إلَّا صار قلبُهُ أشدَّ من زُبُرِ الحديدِ، وأعطاه اللهُ قُوَّةَ أربعينَ رجلاً، ولا يبقى ميتٌ إلَّا دخلت عليه تلك الفرحةُ في قلبه وفي قبره وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرونَ بقيامِ المهديِّ عليه السلام»^(٢).

من خصائصه عليه السلام.

أولاً: المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سينزل من السماء ويُصلِّي

خلفه وينصره.

(١) ينابيع المودة ج ٢/ ٨٢ ح ١٢٤ وج ٣/ ٢٦٦ ح ٢٣، معجم احاديث

الامام المهدي ج ١/ ٢٠٥ ح ١١٤.

(٢) الخرائج والجرائح ج ٣/ ١١٤٩ ح ٥٨، بحار الأنوار ج ٥١/ ٣٥ ح ٤.

ثانياً: «يخرج المهديُّ وعلى رأسه غمامة فيها منادٍ يُنادي:
هذا المهديُّ خليفةُ اللهِ فاتَّبِعوه»^(١).

ثالثاً: أصحابه (٣١٣) بعدد أصحاب بدر وهم أفضل منهم «لا
يستوحشون إلى أحدٍ، ولا يفرحون بأحدٍ، يدُخُلُ فيهم على عِدَّة
أصحاب بدرٍ، لم يَسْبِقْهُمْ الأُولُونَ، ولا يُدْرِكُهُم الآخِرُونَ، وعلى
عِدَّة أصحاب طالوت الَّذِينَ جاوزوا معه النَّهْرَ».

رابعاً: هو خاتم الأوصياء «المهديُّ مِنَّا، يُخْتَمُ الدِّينُ بنا كما
فُتِحَ بنا»^(٢).

خامساً: إنكاره إنكار لثبوت محمد ﷺ، قال رسول
الله ﷺ: «من أنكر المهديَّ من وُلْدِي فقد أنكرني».

سادساً: يظهر بمكة المكرمة، ويكون خروجه في المسجد
الحرام عند الكعبة المشرفة.

سابعاً: عند خروجه يكون جبرئيل عليه السلام عن يمينه،

(١) بيان الشافعي: ص ١١٥، عقد الدرر ص ١٣٥، فرائد السمطين
ج ٢ / ٣١٦ ح ٥٦٩ الفصول المهمة ص ٢٩٨، معجم احاديث الامام
المهدي ج ١ / ٢٠٨ ح ١١٨.

(٢) كنز العمال ج ١٤ / ٥٩٨ ضمن ح ٣٩٦٨٢، كشف الخفاء ج ٢ / ٢٨٨،
كشف الغمة ج ٣ / ٢٧٣، ينابيع المودة ج ٣ / ٢٦٢ ح ٦، بحار الأنوار
ج ٥١ / ٨٤.

وميكائيل عليه السلام عن شماله .

ثامناً: يظهر «وله هَيْبَةٌ موسى، وبَهَاءُ عيسى، وَحُكْمٌ داوود، وَصَبْرٌ أَيُّوب»^(١). و«عليه جُيُوبُ النُّورِ تتوقَّدُ من شعاع ضياءِ القُدُسِ»^(٢).

تاسعاً: في بعض الأخبار أنه عليه الصَّلَاة والسَّلَام يظهر في يوم عاشوراء .

عاشراً: له غيبتان صغرى وكبرى، والكبرى طويلة، فعمره الشريف طويل، وهذا ليس محالاً على الله - تعالى - لا عقلاً، كاجتماع النقيضين وارتفاعهما، وکاجتماع الضدين، ولا نقلاً، كما أنه ليس محالاً عاديّاً مخالفاً للقوانين الطبيعية، لأنه أمر ممكن من جميع الجهات ويشهد على إمكانه طول عمر نوح عليه السلام، والخضر وإلياس وعيسى عليه السلام.

الحادي عشر: أنه يخرج وعليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعه ذوالفقار أمير المؤمنين - عليه الصَّلَاة والسَّلَام -، ومعه كتب الأنبياء الماضين كالطوراة والانجيل والزبور والصُّحُف، ويحمل

(١) بحار الأنوار ج ٣٦ / ٣٠٣ ح ١٤١ .

(٢) الامامة والتبصرة ص ١١٤، كمال الدين ص ٣٧١، بحار الأنوار ج ٥١ / ١٥٢ .

مواريث الأنبياء كالتابوت الذي فيه السكينة وخاتم سليمان وعصى موسى .

الثاني عشر: أنّ الناس ينتفعون به في غيبته كما ينتفعون بالشمس إذا حجبها السُحُب والغيوم .

الثالث عشر: أنّ الأرض تُخرج خيراتها وبركاتها وهكذا السّماء والنبات والحيوان والطّيور .

الرّابع عشر: أنّ هناك علامات عامّة وعلامات خاصّة والعلامات العامّة كثيرة كما في الأحاديث والأخبار، وهي قد تقع وقد لا تقع لمصلحة يراها الله تعالى، والتي تقع إمّا علامات بعيدة أو قريبة، وأمّا الخاصة وتُسمّى العلامات الحتميّة والمحتومة فهي خمسة خروج الشّيفاني، والخسف بالبيداء لجيش الشّيفاني، والصّيحة، وخروج اليماني والخراساني، وكلّها تكون قريبة العهد لظهوره عجل الله فرجه الشريف أو بعضها متزامن لظهوره ﷺ .

«اللّهُمَّ كُنْ لِيَوْمِكَ الْحُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَإِيَّاهُ وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسَكِّنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا وَتَمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا»^(١) .

والحمد لله ربّ العالمين

(١) منازل الآخرة: ص ٢٨٧ .

الدروس الثامن عشر

المعاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(س): ما معنى المعاد؟

(ج): المعاد في اللغة هو إعادة الشيء بعد زواله وانقراضه وإعدامه، وفي الأديان السماوية لا سيما في مذهبنا ومعتقدنا هو الاعتقاد بأنّ الله تعالى - سعيده الإنسان والجنّ وكلّ مخلوق مكلف وحتى بعض الحيوان والطيّر بأجسادهم وأرواحهم التي كانوا عليها في دار الدنيا، ويقوم لهم الكتاب والميزان ليحاسبهم على أعمالهم التي صدرت منهم في حياتهم الدنيا فيجزى المحسن بإحسانه ويجزي المسيء بإساءته وإن شاء غفر له أو شقّع فيه بعض عباده الصالحين، ثمّ يدخل من شمله الإحسان الإلهي في الجنة ويدخل من سواهم في النار.

وهناك بعد الموت برزخ بين الدنيا والآخرة ويسمى عالم

البرزخ فما هو عالم البرزخ؟

(ج): عالم البرزخ هو الذي تعيش فيه أرواح الأموات، وتنتقل إليه نفوسهم في جسد برزخي مثالي يختلف عن الجسد المادّي، ويحاسب في عالم البرزخ على معتقداته وبعض أعماله، فإن كان مؤمناً محسناً عاش هناك سعيداً منعماً، وهو مقام من تمخّص فيه الإيمان، وإن كان كافراً أو مشركاً أو منافقاً ومسيئاً عاش هناك شقيماً معذباً وهو مقام من تمخّص الكفر، وهناك قسم ثالث من النَّاس كانوا في دار الدنيا مستضعفين لم يمخّضوا الإيمان ولم يمخّضوا الكفر وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فإنهم ممّن يُلهى عنهم في البرزخ أي تعيش أرواحهم في أجسادهم البرزخيّة المثالية لا معذبين ولا متنعمين، حتّى تقوم السّاعة ويُنفخ في الصُّور نفخة ثانية فتقوم على هيئتها في الدنيا وتأتي المحشر للحساب والجزاء، فالقبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حُفَر النيران، طبعاً هذا لمن تمخّص الإيمان أو تمخّص الكفر، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ ورائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١).

(س): هل الميّت ينتفع بشيء من الدنيا؟

(ج): نعم الميّت المؤمن تأتي روحه في قالب الجسد

(١) سورة المؤمنون: ١٠٠.

البرزخي إلى دار الدنيا في الليالي والأيام الشريفة وتجلس على قبره تنتظر أن يصلها خير من أهله، ومما ينتفع به الميت: ﴿إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا بِثَلَاثَ: عِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ النَّاسُ، أَوْ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ أَوْ يَسْتَغْفِرُ لَهُ﴾^(١).

والأدلة العقلية والنقلية على المعاد كثيرة إذ القرآن الكريم نطق بذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَيُخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾^(٢)، ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤)، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^(٥)، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ

(١) عوالي اللئالي ج ٢ / ٥٣ ح ١٣٩ وج ٣ / ٢٨٣ ح ١٧، بحار الأنوار ج ٢ / ٢٢ ح ٦٥، مسند أحمد ج ٢ / ٣٧٢، صحيح مسلم ج ٥ / ٧٣، سنن أبي داود ج ١ / ٦٥٩ ح ٢٨٨٠.

(٢) سورة القيامة: ٣ - ٤.

(٣) سورة الروم: ٥٠.

(٤) سورة البقرة: ٧٣.

(٥) سورة الإسراء: ٥١.

أهونُ عليه»^(١)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا. إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾^(٢).

ومن الأدلّة العقلية: برهان الرُّوح وهو أن الرُّوح من الله تعالى: ﴿ونفختُ فيه من روحي﴾^(٣) وهي مجردة لا تتعدم بمعنى أنّها قابلة للبقاء الدائم والأبدي، ولهذا فالإنسان يعيش بجسده ويحيا بروحه، فالحياة حياة الرُّوح، بل الحياة للرُّوح وليس الجسد سوى جمادٍ وقالبٍ قوامه وحياته بالرُّوح، فإذا انعدم الجسد أو انقرض أو صار الجسد تراباً فالرُّوح باقية وهي الأساس في الحساب والكتاب.

برهان العدالة: وهو باختصار أن الدُّنيا دار عملٍ وجِدِّ واجتهاد وكفاح، ومن النَّاس من يشقى في هذه الدُّنيا ويقع عليه الظلم، ولا توجد قوة تأخذ حقه من الظالم وهو كثير جداً فلا بدّ من وجود عالم يرجع فيه النَّاس ليحاسبوا ويجازوا على أعمالهم بعدالة تامّة ﴿ويومَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

(١) سورة الروم: ٢٧.

(٢) سورة النازعات: ٤٢ - ٤٤.

(٣) سورة الحجر: ٢٩، سورة ص: ٧٢.

ثُرَابًا ﴿^(١)﴾، وإلّا لم يكن هدف ولا حكمة من خلق الدنيا وهو قبيح من الحكيم، والحكيم منزّه عن العيب واللغو - سبحانه وتعالى عمّا يصفون -.

والموت انتقال من دار الى دار وليس فناً وانعداماً «وإنّما تنقلون من دارٍ إلى دارٍ» ﴿^(٢)﴾، ولا شيء أعجبُ من غفلة الإنسان عن الموت «ما رأيتُ يقيناً أقربَ إلى الشكِّ من الموت» ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ﴿^(٣)﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿^(٤)﴾، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿^(٥)﴾، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ﴿^(٦)﴾، ولو التفت الى أنّ حياته الأبدية تبدأ بعد الموت، وأنّه خُلِقَ للآخرة لا للدُّنيا «خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ» ﴿^(٧)﴾، لم تنم عينه طرفة عين، ولم يغفل قلبه عن الآخرة، وعمل لها جاهداً ولم يعصِ الله قيد شعرة، «إِعمل

(١) سورة الفرقان: ٢٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ١٠ / ٤٩٠ - ٤٩٢، تهذيب الكمال ج ٤ / ٢٩٤.

سير اعلام النبلاء ج ٥ / ٩١ بحار الأنوار ج ٦ / ٢٤٩ وج ٥٨ / ٧٨.

(٣) سورة آل عمران: ١٨٥، سورة الأنبياء: ٣٥، سورة العنكبوت: ٥٧.

(٤) سورة الرحمن: ٢٦.

(٥) سورة الزمر: ٣٠.

(٦) سورة الزمر: ٤٢.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ج ١٠ / ٤٩٠ - ٤٩١، اعتقادات الصدوق ص ٤٧.

بحار الأنوار ج ٦ / ٢٤٩ وج ٥٨ / ٧٨.

لدينا كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاَعْمَلْ لِأَخْرَجِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا»^(١)،
وقد وعد الله تعالى بالمعاد في قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ
فِيهَا﴾^(٢) وقطع وعده هذا ﴿بَلَىٰ وَغَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا﴾^(٣)، ﴿قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٤).

س): مَنْ الَّذِي يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ؟

ج): ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٥)، ﴿حَتَّىٰ
إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾^(٦).

والحمد لله رب العالمين

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٣/ ١٥٦ ح ٣٥٦٩، وسائل الشيعة ج ١٧/ ٧٦

ح ٢، فيض القدير شرح جامع الصغير ج ٢/ ١٦.

(٢) سورة غافر: ٥٩.

(٣) سورة النحل: ٣٨.

(٤) سورة التغابن: ٧.

(٥) سورة السجدة: ١١.

(٦) سورة الأنعام: ٦١.

تتمة الدرس الثامن عشر
حقائق أخرى عن المعاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(س): هل هناك فرق بين قبض أرواح المؤمنين والكفار؟
(ج): نعم قال - تعالى - عن قبض أرواح المؤمنين: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١)، وقال - تعالى - عن قبض أرواح الكفار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَسْتَوْفَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأُذْيَارَهُمْ﴾^(٢).

(س): هل تقبل التوبة بعد الموت؟
(ج): لقبول التوبة شروط أهمها أن تكون في الدنيا قبل الموت، وأن تكون قبل اليأس من الحياة، وأن تكون بصدق وإخلاص، وأن لا يكون كافراً معانداً: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا

(١) سورة النحل: ٣٢.

(٢) سورة الأنفال: ٥٠.

الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١﴾،
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا
 فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ ﴿٢﴾، ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ
 فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾، ﴿إِذِ الْمَجْرَمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
 أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾.

(س): ولماذا لا يعيدهم الله تعالى إلى الدنيا لعلَّهم يكونون

صادقين؟

(ج): ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ ﴿٥﴾، ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا
 نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٦﴾.

(س): ما هو النَّفْخُ فِي الصُّورِ؟

(ج): الصُّورُ من الأمور الغيبية التي لا تدركها عقولنا، ولم
 نجد رواية تصوّره تصويراً واضحاً، وإن وردت بعض الأحاديث
 التي فيها بعض الأوصاف العجيبة والغريبة ولعلَّها من وضع

(١) سورة النساء: ١٧ - ١٨.

(٢) سورة المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

(٣) سورة الأنعام: ٢٧.

(٤) سورة السجدة: ١٢.

(٥) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٦) سورة الأنعام: ٢٨.

الوُضَاعِينَ وتَأَلِيفِ الْقَصَاصِينَ، لَكِنَّ الْقَدْرَ الْمُتَيَقِّنَ وَالْمُتَّقِيَ عَلَيْهِ أَنْ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ مَلَكَ الْمَوْتِ أَوْ مِيكَائِيلَ أَوْ أَحَدَ الْمَلَائِكَةِ وَهُوَ مَكْلَّفٌ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ بِأَنْ يَنْفَخَ، وَهُوَ نَفْخَانُ، النَّفْخِ الْأَوَّلِ هُوَ الَّذِي يَصْعَقُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَمُوتُ عَلَى أَثَرِهِ الْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(١)، وَتَتَعَدَمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَتُضْطَرِبُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْكَوَاكِبُ وَالنُّجُومُ، وَتَتَهَاوَى وَيَصْطَدِمُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَيَكُونُ حِينئِذٍ زَوَالُهَا وَإِنْقِرَاضُهَا، وَهِيَ مُقَدَّمَةٌ لِقِيَامِ السَّاعَةِ وَتَحْقِيقِ الْقِيَامَةِ وَقَدْ صَوَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هَذِهِ الْأَحْدَاثَ فِي آيَاتٍ وَسُورٍ عَدِيدَةٍ سَيِّمًا فِي السُّورِ الْقَصَارِ إِلَيْكَ نَمَازِجٌ مِنْهَا: ﴿الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾^(٢)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ. وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ. وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾^(٣)، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ. وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾^(٤)، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ

(١) سورة الزمر: ٦٨.

(٢) سورة القارعة: ١ - ٥.

(٣) سورة الانشقاق: ١ - ٥.

(٤) سورة الانفطار: ١ - ٤.

انكَدَرَتْ. وإذا الجبال سَيَّرَتْ وإذا العِشَارُ عَطَّلَتْ. وإذا الوحوشُ حُسِرَتْ. وإذا البحارُ سُجِّرَتْ. وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ. وإذا الموءودَةُ سئِلَتْ بأيِّ ذنبٍ قُتِلَتْ. وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. وإذا السماءُ كُشِطَتْ. وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ. وإذا الجنةُ أُزْلِفَتْ ﴿^(١)﴾. ثم ينفخ نفخة ثانية فيقوم الأموات وإلى ربهم يُحشرون ويُنشرون وإلى ساحة القيامة يحضرون، وهم يحملون أوزارهم على أكتافهم وأكفانهم وهم في حيرة وخوف وهلع من أمرهم إلا الَّذِينَ مَحَضُوا الإِيمَانَ، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤَهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴿^(٢)﴾. ﴿وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الجنةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الحمدُ لله الَّذِي صدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأورَثَنَا الأرضَ نَتَّبِعُ أَهْلَ الجنةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ ﴿^(٣)﴾.

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة التكوير: ١ - ١٣.

(٢) سورة الزمر: ٦٨ - ٧١.

(٣) سورة الزمر: ٧٣ - ٧٤.

كَيْفَ تَفْهَمُ

الرِّسَالَةَ الْعَمَلِيَّةَ

الجزء الثاني

الأحكام والفروع

محمّد مهدي المؤمن

الدرس الأول

الاجتهاد والمرجعية الدينية - ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكرنا في الحلقة الأولى من حلقات هذا الكتاب - وهي التي تم تخصيصها للبحث عن أصول العقائد - أنه لا بد من رجوع الجاهل إلى العالم وذوي الخبرة والاختصاص ، وعليه فلا بد لعامة الناس من الرجوع إلى عالم تقى ورع ، ملتم بأصول الدين وأصول فروعه ومباني أحكامه ، بالغاً مرتبة الاجتهاد ، قادراً على استنباط الأحكام الشرعية من مصادر التشريع الأربعة - الكتاب والسنة والعقل والإجماع - ، بحيث يمتلك القدرة الكافية والذوق السليم في تطبيق الأصول على الفروع ، وتشخيص المصاديق ؛ وصولاً إلى الأحكام الشرعية ، ولهذا كان المرجع الديني في زمن الغيبة الكبرى - والذي يجب الرجوع إليه في أخذ الأحكام

الشرعية - المجتهد الذي توفرت فيه شروط خاصة كالعدالة المبنية على الورع والتقوى ، بالإضافة إلى العلمية المكتسبة من تلقائه العلوم الدينية في بعض الحوزات العلمية الدينية الشهيرة لدى بعض الأساتذة والأساطين ممن اشتهروا بالعلم والفضيلة ، حتى بلغ في دراساته المتعمقة وبحوثه المتواصلة للفقه وأصوله وعلوم الشريعة إلى مرحلة الاجتهاد ، وهي المرحلة التي توّهله وتمكّنه من استنباط الأحكام وإصدار الفتاوى لمقلّديه ، فيستنبط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية .

والمرجعية الدينية أصل ثابت في الفقه الجعفري في زمن الغيبة الكبرى ، أسس بنائها وأرسخ دعائمها الأئمة الأطهار عليهم السلام قبل حلول الغيبة الكبرى بزمن طويل ، حين بادروا إلى تعليم أصحابهم طرق الاجتهاد ومبانيه ، وكانوا يدفعونهم ويحثّون الرواة منهم على الاجتهاد واستنباط الأحكام ، فيما كانوا يأمرن شيعتهم ومواليهم بالرجوع إلى أولئك الرواة والصفوة من الأصحاب .

ولهذا قال الإمام الصادق عليه السلام عن زرارة بن أعين وبُرَيْدِ الْعَجَلِيِّ وأبي بصير ومحمد بن مسلم (رضوان الله عليهم أجمعين) :

«لولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوة»^(١)، وقال عليه السلام: «لولا زُرارة ونُظراؤه لاندَرَسَتْ أحاديث أبي»^(٢)، وقال عليه السلام لمحمد بن مسلم: «إجلس في مسجد المدينة وافْتِ الناسَ فإني أحبُّ أن يُرى في شيعتي مثلك»^(٣).

وعن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ما أجد أحداً أحيا ذكرنا وأحاديث أبي (عليه السلام) إلا زُرارة، وأبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، وبُرَيْد بن معاوية العجليّ، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، هؤلاء حُفَاطُ الدين وأمناء أبي عليه السلام، على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الآخرة»^(٤).

وعن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنه ليس كلُّ ساعةٍ ألقاك، ولا يمكن القدوم، ويجيء الرجل من

(١) نهج السعادة - المحمودي: ١٢٦. خلاصة الأقوال - العلامة الحليّ: ٢٣٤. رجال ابن داود: ٢١٤.

(٢) وضوء النبي عليه السلام - الشهرستاني ١: ٤٧٠. وسائل الشيعة ١٨: ١٠٤.

(٣) حصر الاجتهاد - الطهراني: ٣٩ و ٤٠.

(٤) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٤. رجال الكشي ١: ٢١٩/١٣٦.

أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عنه ، فقال ﷺ :
« ما يمنعك من محمد بن مسلم التقي ، فإنه سمع من أبي ، وكان
عنده وجيهاً »^(١).

وعن أبي عبيدة الحذاء ، قال : سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول :
« زرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم ويبريد من الذين قال الله
تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢﴾ »^(٣).

وعن يونس بن يعقوب ، قال : كنا عند أبي عبد الله ﷺ فقال :
« أما لكم من مفرع ؟ أما لكم من مستراح تستريحون إليه ؟
ما يمنعكم من الحارث بن المغيرة النصري ؟ »^(٤).

وعن علي بن المسيّب الهمداني ، قال : قلت للرضا ﷺ :
شقتي بعيدة ، ولست أصل إليك في كل وقت فمتن أخذ معالم
ديني ؟ قال ﷺ : « من زكريّا بن آدم القمي المأمون على الدين
والدنيا » . قال علي بن المسيّب : فلما انصرفت قدمنا على زكريّا بن

(١) وسائل الشيعة ٢٧ : ١٤٤ . رجال الكشي ١ : ٢٧٣/١٣٦ .

(٢) الواقعة : ١٠ و ١١ .

(٣) وسائل الشيعة ٢٧ : ١٤٤ . رجال الكشي ١ : ٢١٨/٣١٦ .

(٤) وسائل الشيعة ٢٧ : ١٤٥ . رجال الكشي ٢ : ٦٢٠/٣٣٧ .

آدم فسألته عما احتجّت إليه^(١).

وعن مسلم بن أبي حية، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام في خدمته، فلما أردت أن أفارقه ودّعته وقلت: أحبُّ أن تزودني، فقال عليه السلام: «إئتِ أبانَ بنَ تغَلبٍ فإنه قد سمع مني حديثاً كثيراً، فما رواه لك فاروه عني»^(٢).

وعن عبدالعزيز بن المهدي والحسن بن علي بن يقطين جميعاً، عن الرضا عليه السلام، قال: قلت: لا أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما احتاج إليه من معالم ديني، أفيؤنس بنُ عبد الرحمن ثقة آخذ عنه معالم ديني؟ فقال عليه السلام: «نعم»^(٣).

وقال الصادق عليه السلام: «اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنا، فإننا لانعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدثاً»، فقيل له: أويكون المؤمن محدثاً؟ قال عليه السلام: «يكون مفههماً، والمفهم المحدث»^(٤).

(١) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٦. رجال الكشي ٢: ١١١٢/٨٥٨.

(٢) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٧. رجال الكشي ٢: ٥٠٤/٣٣١.

(٣) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٧. رجال الكشي ٢: ٩٣٥/٤٩٠.

(٤) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٩. رجال الكشي ١: ٢/٣.

وعن عليّ بن سويد السائي ، قال : كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام وهو في السجن : «أما ما ذكرت يا عليّ ممّن تأخذ معالم دينك ، لا تأخذنّ معالم دينك عن غير شيعتنا ، فإنك إن تعدّيتهم أخذت دينك عن المخائنين الذين خانوا الله ورسوله وخانوا أمانتهم ، إنهم ائتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه فعليهم لعنة الله ولعنة رسوله ولعنة ملائكته ولعنة آبائي الكرام البررة ولعنتي ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة»^(١).

وعن أبي بصير ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رأيت الرادّ على هذا الأمر كالرادّ عليكم ؟ فقال عليه السلام : «يا أبا محمّد ، من ردّ عليك هذا الأمر فهو كالرادّ على رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

والحمد لله ربّ العالمين

(١) وسائل الشيعة ٢٧ : ١٥٠ . رجال الكشي ١ : ٤/٣ .

(٢) وسائل الشيعة ٢٧ : ١٥٣ . المحاسن ١٨٥ / ١٩٤ .

الدرس الثاني

الاجتهاد والمرجعية الدينية - ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن عمر بن حنظلة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دينٍ أو ميراث، فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة، أيحلُّ ذلك؟ قال عليه السلام: «من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطلٍ فإنما تحاكم إلى الطاغوت المنهي عنه، وما حكم له به فإنما يأخذ سُحتاً وإن كان حقه ثابتاً له؛ لأنه أخذه بحكم الطاغوت ومن أمر الله عزَّ وجلَّ أن يكفر به قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾^(١)»، قلت: وكيف يصنعان وقد اختلفا؟ قال عليه السلام: «ينظران إلى من كان

(١) النساء: ٦٠.

منكم ممن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمٍ ولم يقبل منه، فإنما بحكم الله استخفّ وعلينا ردّ، والرادّ علينا كافر رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله»^(١).

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى قثم بن عباس: «واجلس لهم العصرين فافت للمستفتي، وعلم الجاهل، وذاكر العالم»^(٢).

وقال الكشي رضوان الله عليه: «اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبزّيد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي. وقال بعضهم مكان أبو بصير الأسدي، أبو بصير المرادي وهو ليث بن البختري»^(٣).

بالإضافة إلى أنهم عليهم السلام قد وضعوا بادئ الأمر أصولاً وقواعد

(١) مستدرک الوسائل ١٧: ٣١١. الاحتجاج: ٣٥٥. عوالي اللثالي ٤: ٧٨،

ح ٦٩.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٤٠، الحديث ٦٧.

(٣) رجال الكشي: ٢٠٦، طبعة النجف الأشرف.

للاستنباط والاجتهاد ، فهذا السيّد المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه ذكر في رسالة المحكم والمتشابه نقلاً عن تفسير النعماني ، عن مولانا أبي عبدالله الصادق عليه السلام في حديث طويل : « وذلك أنهم - يعني المخالفين للأئمة عليهم السلام - ضربوا القرآن بعضه ببعض ، واحتجّوا بالمنسوخ وهم يظنون أنه الناسخ ، واحتجّوا بالمتشابه وهم يظنون أنه المحكم ، واحتجّوا بالخاصّ وهم يقدّرون أنه العام... إلى أن قال عليه السلام : ولم يفرّقوا موارده ومصادره ؛ إذ لم يأخذوه عن أهله فضلوا وأضلّوا ، ثمّ قال نقلاً عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال : « إنّ القرآن ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وخاصّ وعام » ، ثمّ ذكر عليه السلام أنواعاً كثيرة تزيد على المائة منها ، إلى أن قال عليه السلام : « ورخص وعزائم ، وحلال وحرام ، وفرائض وأحكام ، ومنقطع ومعطوف ، ومنه ما لفظه خاصّ ومعناه عامّ ، ومنه ما لفظه عامّ محتمل للعموم ، ومنه ما لفظه واحد ومعناه جمع ، ومنه ما لفظه جمع ومعناه واحد ، ومنه ما لفظه ماضٍ ومعناه مستقبل ، ومنه ما تأويله في تنزيله ، ومنه ما تأويله مع تنزيله ، ومنه ما تأويله قبل تنزيله ، ومنه ما تأويله بعد تنزيله ، ومنه آيات نصفها منسوخ ونصفها متروك على حاله ، إلى أن

قال ﷺ: «فكانت الشيعة إذا فرغت من تكاليفها تسأله عن قسمٍ قسمٍ فيخبرها»، ثم قال ﷺ بعد كلام طويل: «وإني لما أردتُ قتل الخوارج قلت: «يا معشر الخوارج، أنشدكم الله هل تعلمون أن في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً ومتشابهاً، وخاصاً وعاماً؟». قالوا: اللهم نعم، قلت: اللهم اشهدهم عليهم، ثم قلتُ: أنشدكم الله، هل تعلمون ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه؟ قالوا: اللهم لا، قلتُ: أنشدكم الله، هل تعلمون إني أعلم ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه؟ قالوا: اللهم نعم، قلت: مَنْ أضلُّ منكم إذا أقررتم بذلك؟» (١).

وأورد الحرّ العاملي عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين ﷺ في حديث طويل أنه سأله عما في أيدي الناس من تفسير القرآن وأحاديث النبي ﷺ، فقال: «إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله

(١) الوسائل ٢٧: ١٧٦. الفصول المهمة ١: ٥٩٦.

عليه وآله على عهده، ثم كُذِبَ عليه من بعده»، ثم ذكر كلاماً حاصله: إنه لا يعلم تأويل القرآن وتفسيره، وتفسير أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآله وناسخها ومنسوخها إلا أمير المؤمنين عليه السلام. ولا يخفى على الخبير أن ما ورد في حديث أمير المؤمنين عليه السلام يُعدُّ من أوليات أدوات الاجتهاد، وقواعد الاستنباط، ويكفي دليلاً على اهتمام الأئمة عليهم السلام منذ الصدر الأوّل للإسلام على تربية جيلٍ من المجتهدين المستنبطين للأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وهلمَّ جرأً، كما أن الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام بلغا في بيان القواعد الفقهية والأصولية أقصى غايته وأعلى مراتبه، حيث تجاوزا في بيان قواعد الاجتهاد حدود الأصول اللغوية وصولاً إلى الأصول والقواعد العملية كالتخير والبراءة والاحتياط والاستصحاب، وألقوها إلى أصحابهم، ثم علّموهم كيفية التعامل معها في استنباط الأحكام الشرعية، حتى اطمانا إلى ضبط تلك القواعد، ثم أمرا أصحابها المجتهدين بالاعتماد عليها في اجتهاداتهم، كما أمرا شيعتهم في البلاد البعيدة بالرجوع إلى هؤلاء المجتهدين الرواة، ولهذا قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لهشام بن سالم: «إنما علينا أن نُلقي إليكم

الأصول ، وعليكم أن تفرّعوا»^(١).

وفي الأثر المروي عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنّه قال لأحمد بن نصر: «علينا إلقاء الأصل ، وعليكم التفريع»^(٢) ، ومما يدلّ بجلاء على وقوع السيرة وتحققها في الاجتهاد ، ورجوع عامّة الناس إلى المجتهدين في معرفة تكاليفهم وأحكامهم ، ما ورد في الخبر عن جماعة من الشيعة الإمامية ، حيث أنّهم كتبوا إلى الإمام عليه السلام : يونس بن عبدالرحمن ثقة ، نأخذ منه معالم ديننا ؟ فقال عليه السلام : « لا بأس » أو قال عليه السلام : « نعم »^(٣).

والحمد لله ربّ العالمين

-
- (١) الحدائق الناضرة ١ : ١٣٣ . مستطرفات السرائر - ابن إدريس : ٥٧٥ .
 الفصول المهمّة ١ : ٥٥٤ . الأصول الأصليّة - الفيض الكاشاني : ٦٦ .
- (٢) الحدائق الناضرة ١ : ١٣٤ . جواهر الفقه - ابن البرّاج : ١٣ . المهذب -
 ابن البرّاج : ٢٥ . السرائر - ابن إدريس ٣ : ٥٧٥ . وسائل الشيعة
 ١٨ : ٤١ . بحار الأنوار ٢ : ٢٤٥ . الوافية - الفاضل التوني : ٢٩٤ .
 الفصول المهمّة ١ : ٥٥٤ .
- (٣) الكنى والألقاب ١ : ٣٨ . مصباح الأصول ٢ : ١٩٢ و ١٩٤ .

الدّرس الثّالث

الاجتهاد والتقليد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: هل الاجتهاد مختص بزمن الغيبة الكبرى أم أنه جائز حتى مع حضور الإمام عليه السلام ؟

وبعبارة أخرى: أليس الاجتهاد مختصاً بزمن الغيبة؟ فكيف نجتمع بين هذا الأمر وبين ما ذكرتموه في هذا الدرس من تربية الأئمة الطاهرين عليهم السلام للمجتهدين، ووضع قواعد للاجتهاد، وأمر الشيعة بالرجوع إليهم، ممّا يدلّ بالضرورة على فتح باب الاجتهاد منذ العصور الأولى لظهور الإسلام، ويدلّ على جواز الاجتهاد والتقليد حتى في عهد الإمام عليه السلام ؟!

ج: أظنّ أنّ هذا السؤال نابع من المقارنة الطبيعية، والاقتران التلقائي الذي ارتكز في أذهان الشيعة الإمامية بين الاجتهاد

وعصر الغيبة، حيث عُدَّ المجتهد بديلاً للإمام عليه السلام، أي قائماً مقامه الشريف على نحو الجزئية وفي حدود بيان الأحكام فقط، أو على نحو الإطلاق كما هو عند القائلين بولاية الفقيه المطلقة، أو على نحو الولاية المتوسطة، وهو كونها أمراً بين الأمرين السابقين، كما عُدَّ الاجتهاد - وهو استنباط الحكم الشرعي الظاهري - بديلاً عن الحكم الواقعي، وحبّةً على المجتهد ومقلّديه قائماً مقام حكم المعصوم عليه السلام في كونه منجّراً ومُعذّراً، وقد أصبح المألوف في أذهاننا، والمرتكز في نفوسنا، ارتباط هذه الحقيقة بزمن الغيبة ارتباطاً وثيقاً كاد أن ينفي وجود أيّ وجهٍ لجواز الاجتهاد في زمن حضور الإمام عليه السلام، وهو أمر ليس بصحيح؛ ذلك أن الإسلام حاله حال سائر الأديان السماوية لا ينمو إلا في ظروف طبيعية بعيداً عن المعجزات وخوارق الطبيعة إلا في النادر من الحالات، حيث تكون المعجزة إثباتاً للحق، وإتماماً للحبّة، أو إبقاء لصلب الدين، وحفظاً لبيضة الإسلام، إذا توقّف الإبقاء والحفظ للبيضة والأساس على عملية الإعجاز ولم يتحقّق بالأسباب الطبيعية.

بعد هذه المقدمة أقول: ومن الطبيعي المسلّم أن الإسلام حتّى في

عهد المعصومين عليهم السلام لم يقتصر على مكة والمدينة ، ولم ينحصر وجود المسلمين في المنطقة أو المدينة التي كان يقيم فيها الإمام عليه السلام ويقطنها ، بل كانوا ينتشرون في البلاد القريبة والبعيدة ، وفي أقصى البلاد وأدناها ، وكانوا يعلمون إجمالاً بوجود أحكام النّهية مطلوبة منهم في كلّ واقعة كلّية أو جزئية ، وصغيرة أو كبيرة ، فلا يخلو فعل من أفعالهم من حكم من الأحكام الخمسة ، إما يكون واجباً أو حراماً أو مستحبّاً أو مكروهاً أو مباحاً ، علاوة على علمهم بوجود عبادات وأفعال وموضوعات لها أحكام خاصّة بها لا تخلو من أحد الأحكام الخمسة .

إذن فبعد المسافة التي كانت بين المسلمين وبين إمامهم ، وصعوبة الاتّصال بينهم وبينه ، ولبدائية طرق وأساليب المواصلات ، بالإضافة إلى علم المسلمين إجمالاً بوجود أحكام شرعية وأعمال عبادية خاصّة ، وحتىّ معاملاتية ، لها أحكامها وموازينها الشرعية ، حتّمت على المسلمين التماس وتحديد الطرق والوسائل الكفيلة ببيان هذه الأحكام وسهولة التوصل إليها من قبل الشارع الحكيم ، وحتّمت على إمام المسلمين أن يبادر إلى تلبية هذه الحاجة وسدّها تارة ، وإلى الاستجابة لالتماسهم

وطلبهم في ذلك تارة أخرى ، وكانت الوسيلة الفضلى لسدّ هذه الحاجة وتلبية هذه الرغبة هي التمسك بالسيرة العقلانية من لزوم رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة والعلماء ، وهذا الأمر لا يختصّ بزمن دون زمن - أعني لا يختصّ بزمن الغيبة الكبرى - ؛ لأنّ الحاجة إلى معرفة الأحكام الشرعية موجودة ومورد للإبتلاء في كلّ زمان وكلّ مكان ؛ إذ وجود الإمام عليه السلام في المدينة المنورة أو في الكوفة مثلاً ، لا يمنع من وجود أحكام لأهل المدن والبلاد الأخرى ، ولا يسقط الأحكام عنهم ، وأما عجزهم عن الوصول إلى المعصوم عليه السلام لتلقّي الأحكام منه مباشرة ، أو تمنّ سماعها منه ؛ للظروف الطبيعية أو الظروف غير الطبيعية المصطنعة ، بل قد تفوت المصلحة من الحكم في حال التأخير للوصول إلى المعصوم عليه السلام ، كلّ ذلك لم يسقط التكليف عن المؤمنين ودفعهم إلى التماس طرق للخروج من هذا المأزق ، كما حمل المعصوم عليه السلام على تربية جيل من المجتهدين يقومون بحمل أعباء استنباط الحكم الشرعي وبيانه للناس ، وسدّ هذه الحاجة لهم ، فلا اختصاص للاجتهد بزمن الغيبة الكبرى ، وإن كان فيه أوسع دائرة وأشدّ ابتلاءً .

ولهذا روي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله : « مجاري الأمور

والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه»^(١).
 وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أنظروا إلى مَنْ كان منكم قد روى
 حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به
 حاكماً، فإنِّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمٍ فلم
 يُقبلْ به فإنه بحكم الله استخفَّ، وعلينا ردٌّ، والرادُّ علينا كافرٌ،
 رادُّ على الله، وهو على حدٍّ مَنْ أشرك بالله»^(٢). وفي رواية
 أخرى: «الرادُّ عليهم كالرادِّ علينا، والرادُّ علينا كافرٌ»^(٣).

وقال عليه الصلّاة والسّلام أيضاً: «ولاية أهل العدل الذين أمر
 الله بولايتهم وتوليتهم وقبولها، والعمل لهم فرضٌ من الله، وطاعتهم
 واجبة، ولا يحلّ لمن أمره بالعمل لهم أن يتخلف عن أمرهم»^(٤).
 وكما قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الخبر المروي عنه:
 «أما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه،

(١) مستند الشيعة ١٧: ٢٠. تحف العقول: ٢٣٨. مستدرك الوسائل

١٧: ٣١٦، ب، ١١. بلغة الفقيه ٣: ٢٣٠. بحار الأنوار ٩٧: ٨٠.

(٢) السرائر ٣: ٥٤٠. مختلف الشيعة ٤: ٤٦٤.

(٣) وسائل الشيعة ١: ٢٣. الاحتجاج ٢: ١٠٦. بحار الأنوار ٢: ٢٢١.

(٤) كشف اللثام ٢: ٣٢١. مستدرك الوسائل ١٧: ٢٤٠ و ٣١٢.

مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلّدوه»^(١).

وهكذا جاء في الخبر المروي عن الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا ولم يقبله منه فإنّما يحكم الله استخفّ، وعلينا ردّ، وهو رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله، فإذا اختلفا فالحكم ما حكم به أعدلهما وأفقهما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما يحكم به الآخر»^(٣).

والحمد لله ربّ العالمين

-
- (١) عوائد الأيام - التراقي: ١٩١. حصر الاجتهاد - الطهراني: ٥١.
 (٢) عوائد الأيام: ١٨٧. مستند الشيعة ١٠: ٤١٩. وسائل الشيعة ١٢: ٨٧.
 (٣) رسائل الكركي ١: ١٤٣. جامع المدارك ٥: ٤١٢. تحرير الأحكام ٢: ١٨١ و ٢٠٨. مجمع الفوائد والبرهان ١٢: ٩. الكافي ١: ٦٨. تهذيب الأحكام ٦: ٣٠١. الوسائل ٢٧: ١٠٦ و ١٢٣.

الدرس الرابع

بحث في الاجتهاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نعم ربّما قيل لم يكن الاجتهاد في عصر المعصومين عليهم السلام على النحو المألوف في عصر الشيخ الطوسي رحمته الله وإلى يومنا هذا مستدلّين بما جاء في مقدّمة كتاب المسوّط التي كتبها بيده الشريفة ، حيث يقول رحمته الله :

« وصلّى الله على خاتم أنبيائه ، وسيّد أصفياته محمّد النبيّ صلّى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين ، النجوم الزاهرة ، والحجج اللامعة ، الذين جعلهم الله أعلاماً لدينه ، وأمناء لتوحيده ، وخزنةً لوحيه ، وتراجمةً لكتابه ، وأودعهم علم جميع ما يحتاج إليه خلقه ليلجأوا إليهم في الملّات ، ويفزعوا إليهم في المشكلات ، ولم يكلهم في حال من الأحوال إلى الآراء المضلّة ، والمقاييس

المبطلّة، والأهواء المهلكة، والاجتهادات المخزية، بل جعل أقوالهم الحجّة، وأفعالهم القدوة، وجعلهم معصومين من الخطأ مأمونين عليهم السهو والغلط ليأمن بذلك من يفرع إليهم من التغيير والتبديل والغلط والتحريف، فيكون بذلك واثقاً بدينه، قاطعاً على وصوله إلى الحقّ الذي أوجبه الله تعالى عليه وندبه إليه».

ثمّ قال ﷺ: «أما بعد فإنّي لأزال أسمع معاشر مخالفينا من المتفكّهة والمتسبين إلى علم الفروع يستحقرون فقه أصحابنا الإماميّة، ويستزرونه، وينسبونهم إلى قلة الفروع وقلة المسائل، ويقولون: إنهم أهل حشوٍ ومناقضةٍ، وإنّ من ينفي القياس والاجتهاد لا طريق له إلى كثرة المسائل ولا إلى التفرّيع على الأصول؛ لأنّ جلّ ذلك وجمهوره مأخوذ من هذين الطريقتين، وهذا جهل منهم»، يعني من مخالفينا، والكلام للشيخ ﷺ: «وقلة تأمل لأصولنا، ولو نظروا في أخبارنا وفقهنا لعلموا أنّ جلّ ما ذكروه من المسائل موجود في أخبارنا ومنصوص عليه تلويحاً عن أئمّتنا الذين قولهم في الحجّة يجري مجرى قول النبي ﷺ، أمّا خصوصاً أو عموماً أو تصرّيحاً أو تلويحاً، وأمّا ما كثروا به

كتبهم من مسائل الفروع فلا فرع من ذلك إلا وله مدخل في أصولنا ومخرج على مذاهنا لا على وجه القياس، بل على طريقة يوجب علماً يجب العمل عليها، ويسوغ الوصول إليها من البناء على الأصل» إلى أن قال رحمه الله:

«وكنت على قديم الوقت وحديثه متشوّق النفس إلى عمل كتاب يشتمل على ذلك تتوق نفسي إليه فيقطعني عن ذلك القواطع، وتشغلي الشواغل... الخ».

فإنهم استشهدوا بهذه المقدمة التي أوردها الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه الشريف على أن الاجتهاد والاستنباط في الفقه منذ عهد المعصومين عليهم السلام إلى ذلك الزمن لم يكن على النحو المألوف في عصرنا هذا، بل كان عبارة عن مجموعة مسائل منصوصة نُقلت كما هي في قول المعصوم عليه السلام من غير إضافة شيء إلى أقوالهم عليهم السلام إلا ما ذكره بعضهم على نحو البيان والتوضيح، ولم تكن هناك أصول وقواعد أصولية يتم إرجاع الفروع إليها واستنباط الفروع منها، فكان المسلك المتبع لديهم أخبارياً محضاً، وهو التوقف عند ما نصّ عليه المعصوم عليه السلام وعدم تجاوزها، حتى ظهر شيخ الطائفة رحمه الله فسلك مسلك الاجتهاد السليم والاستنباط المألوف

إلى يومنا هذا.

أقول: لا يمكن الالتزام بهذه الدعوى ولا التمسك بها، بل كل ما قيل في هذا المجال واضح البطلان ومردود على أصحابه، ولا نشكّ - كما ذكرنا آنفاً - في هذا المختصر الوجيز أنّ عملية الاجتهاد والتقليد على النحو المألوف في عصرنا هذا كانت متداولة مألوفة أيضاً في زمن المعصومين عليهم السلام وقبل الشيخ عليه السلام، غاية الأمر أنه ربما كانت أكثر شفافية، وأقلّ تكلفاً، وأشدّ بدائية، وأقلّ ابتلاءً؛ وذلك لوجود المعصوم عليه السلام الذي تكفل ببيان الأحكام الواقعية، لكنّ هذه العوامل لم تكن مانعة من الاجتهاد والتقليد بعد وجود المقتضي لهما والداعي إليهما، ودليلنا في ذلك أمور:

أولاً: وجود الأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية في كلّ زمان ومكان.

ثانياً: وجود المكلفين في كلّ زمان ومكان.

ثالثاً: وجود الجاهلين بالأحكام الشرعية في كلّ زمان ومكان.

رابعاً: وجود العلماء بالأحكام في كلّ زمان ومكان.

خامساً: بُعد المسافة ، وصعوبة التوصل إلى المعصوم عليه السلام لمعرفة الأحكام.

سادساً: عدم إمكان تعلّم المسائل الجزئية والفرعية وحفظها جميعاً ، سواء للعلماء والأصحاب أو عامّة الناس ؛ لكثرتها ولكثرة موضوعاتها وحدوث المستجدّات منها ممّا قد لا يبتلي بها الصحابي وهو في حضرة المعصوم عليه السلام ولا يسمعها منه .

سابعاً: لزوم تربية العالم - أعني المعصوم عليه السلام - لمجموعة من طلبة العلم ، وتعليمهم طرق الاجتهاد ، وقواعد الاستنباط لسدّ حاجة العمامة من الناس في رجوعهم إلى أهل الخبرة والعلماء ؛ وذلك لأغراض وأسباب :

١ - وجوب نشر العلم وبسطه ، وعدم جواز كتمان العالم علمه ؛ ولقولهم عليه السلام : « زكاة العلم نشره » .

٢ - إقامة الحجّة وإتمامها على العمامة من الناس .

٣ - عملاً بالتكليف ، وهو وجوب التعليم كفايةً . بيان ذلك : أنّ طلب العلم لما كان واجباً كفايةً على العمامة من الناس ، فإنّ وجوب التعليم على المعصوم عليه السلام واجب عيناً لحصره فيه عليه السلام وتوقّفه عليه .

ثامناً: وجوب التعلّم كفايةً على العامّة من الناس ، حتّى أنّهم يُؤثّمون جميعاً إن لم يتفرّغ جماعة منهم لطلب علم الشريعة؛ إذ وجوب التعلّم حينئذٍ يكون واجباً عينياً عليهم جميعاً بتركهم لهذه الفريضة العظيمة التي بها يكون قوام الدين وحفظه وبقاؤه.

تاسعاً: وجوب رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة والعلماء فيما يتبلى به من الأحكام والتكاليف.

والمحصل أنّ وجود الأحكام والمكلّفين ووجوب التعليم والتعلّم ووجوب رجوع الجاهل إلى العالم لا يختصّ بزمان دون زمان ، فالاجتهاد والتقليد على النحو المألوف الآن - أعني استنباط الأحكام من مصادر التشريع ، وإخراج الفروع من الأصول - كان في عصر المعصومين عليهم السلام وإن كان أكثر شفافية ، وأشدّ بدائية ممّا هو عليه اليوم؛ لأنّ عملية الاجتهاد شهدت تطوّراً ملحوظاً بعد عصر المعصومين عليهم السلام - منذ الغيبة الكبرى - ، وأصبحت أشدّ تعقيداً شُبّه الاجتهاد بمحاولة حفر جبلٍ صُلِبَ بإبرة الخياطة للتوصّل إلى عين الماء في بطن ذلك الجبل ، وشبّهوا المجتهد بمن يحمل بيده إبرةً يحفر بها جبلاً

صُلباً، بحثاً عن عين ماء صافية^(١).

هذا، فضلاً عن أدلة نقلية أخرى وروايات دالة وصریحة في دلالتها على تربية الأئمة عليهم السلام لأجيال ومجموعات من المجتهدين وتعليمهم إياهم طرق الاستنباط وعملية الاجتهاد في الفقه من مصادر التشريع، وحثهم إياهم على مباشرة استخراج الفروع والأحكام الجزئية من الأصول والقواعد الكلية كقولهم عليهم السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع»، وكثير من الأخبار والأحاديث التي أسردنا شيئاً يسيراً منها في الدرس الأوّل والثاني من هذه الحلقة.

بالإضافة إلى ما ورد في كتب الحديث والأخبار والرجال من ممارسة فعلية عملية للاجتهاد في عصر المعصومين عليهم السلام، بل في محضرهم وبحضورهم عليهم السلام أحياناً من غير ردع من الإمام عليه السلام، بل بتشجيع منه عليه السلام، هذا ناهيك عن دعوة الإمام عليه السلام للعامة من الناس، بل وأمره إياهم بالرجوع إلى بعض أصحابه، وبعض

(١) نسب هذا القول إلى بعض الأعظم من المتأخرين والمعاصرين، منهم المرحوم العلامة الفقيه المحقق والأصولي المدقق آية الله العظمى الشيخ أغا ضياء العراقي رحمته الله.

العلماء كقوله عليه السلام: «أما لكم من مفزع؟ أما لكم من مستراح تستريحون إليه؟ ما يمنعكم من الحارث بن المغيرة النصرى؟». وقوله عليه السلام لمسلم بن أبي حية حين سأله أن يزوده: «إئت أبان بن تغلب فإنه قد سمع مني حديثاً كثيراً، فما رواه لك فاروه عني»، ويكفيك ما أسردناه في الدرسين الأولين من الأدلة الدالة بالصراحة على هذا المدعى، وهذا يمكن تسميته «عاشراً».

فلم تكن وظيفة أصحاب الأئمة عليهم السلام والعلماء قبل عصر الشيخ الطوسي عليه السلام مجرد الرواية ونقل قول المعصوم عليه السلام، كما زعم البعض؛ لأننا نجد في كتب القوم استدلالاً واضحاً واستنباطاً بيئاً، كما في بعض كتب الشيخ الصدوق عليه السلام، والشيخ المفيد عليه السلام، والسيد المرتضى عليه السلام وأضرابهم، ويمكن تسميته بـ«الحادي عشر».

الثاني عشر والأخير: أما ما استشهدوا به من كلام لشيخ الطائفة الطوسي عليه السلام، وقد أوردناه بتفصيله فإنه لا يدل على ما زعموا، وأقصى ما يدل عليه قوله عليه السلام في تلك المقدمة أن علماء الطائفة أعلى الله مقامهم لم يكتبوا كتباً في القواعد الأصولية ولم يبادروا إلى تأليف كتاب استدلال في الفقه، وهذا أخص من المدعى، بل لا علاقة له بالمدعى - أعني لا علاقة له بدعوى عدم

كون الاجتهاد على النحو المؤلف في كتب الشيخ الطوسي وعلى وجه التحديد كتابه المبسوط -، ويظهر ذلك بأدنى تأمل في ما كتبه الشيخ أعلى الله مقامه الشريف.

ثم التأمل في قوله عليه السلام: «وينسبونهم إلى قلّة الفروع وقلّة المسائل ويقولون: إنهم أهل حشوٍ ومناقضة... الخ» صريح على بطلان هذا المدعى، وقوله عليه السلام: «وأما ما كثروا به كتبهم من مسائل الفروع فلا فرع من ذلك إلا وله مدخل في أصولنا... الخ» لأدلّ دليل على بطلان ذلك المدعى وصحة ما ذكرناه، وفي ذلك كلّه كفاية للناقد البصير، والمقام لا يحتمل أكثر ممّا بحثناه وأسردناه.

والحمد لله ربّ العالمين

الدرس الخامس من تأريخ الاجتهاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذن عملية الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية عملية عقلانية عقلانيّة ، جرى عليها حكم العقل أو سيرة العقلاء ، شأنها شأن الاجتهاد لذوي الاختصاص في كلّ فنّ من الفنون ، وعلم من العلوم ، وصناعة من الصناعات ، ولا يمكن أن يغلق باب الاجتهاد في الدين وأحكامه ما دام هناك من له أهلية الاجتهاد فيها ، وما دامت الدراسة لمعالم الدين وأحكامه موفورة ، والمحوزات العلمية بتربية ذوي الاختصاص والمجتهدين مشغولة ، وشأن المجتهد في علم الدين كشأن الدكتور في سائر العلوم والفنون ، كما أنّ شأن الاجتهاد في علم الدين وأحكامه شأن الاجتهاد في سائر العلوم ، فالحائز على رتبة الدكتوراه وشهادتها

في علم الطبّ مثلاً، أو الحقوق المدنية الوضعية، له نظريّاته وآراؤه، وله أن يصدر أحكاماً في المجال الذي تخصّص فيه والمسلك الذي انتهجه، وليس لغيره أن يمنعه من إيداء رأيه. نعم لنظائره من أهل الاختصاص أن يناقشوه في مبانيه والأصول التي بنى عليها آراءه وأنظاره، أو الرّدّ عليه في تطبيق المبنى والأصل وكيفيّة استنباطه لحكم جزئي من ذلك الأصل الكلّي، ولكن لا يحقّ لهم أن يمنعوه من الاستنباط طالما توقّرت فيه شروطه وشروط الاجتهاد، وهكذا الحال في علوم الشريعة طبق القدّة للقدّة، ومن السخافة والجهل بمكان أن يُمنع المجتهد من الاجتهاد، أو توصل أبواب الاستنباط، والقول بسدّ هذا الباب، وانسداده أشدّ سُخْرِيَةً وأدعى للجهل، بلى كانت هناك تدخّلات سقيمة ومحاولات فاشلة، وهي لا تنال، ممّن نزعوا جلباب الحياء، ومزّقوا حُجُبَ التقوى، فجلسوا مجلس الفتيا، ونزوا على منبر الاجتهاد، وتقمّصوا ثوب الاستنباط وهم ليسوا من أهله، بل بينهم وبينه ما بين المشرقين، إمّا لدوافع شخصيّة وطلباً للمكانة الاجتماعيّة والجاه الديوي الزائف الزائل، وإمّا لدوافع سياسيّة، وهذا القسم عمل تارةً لدنيا غيره، وخدمة للخليفة والسلطان،

وفي سبيل إيقائه ، وتبرير جرائمه وانحرافه عن الشريعة الغراء ، وقد وصفتهم الأحاديث بدو عاظ السلاطين تارة ، وبعلماء السوء تارة أخرى ، كما وصفهم عامة الناس والغيارى على الدين بفقهاء البلاط و علماء النظام ، وعمل تارة لندياه لأنه نصب نفسه خليفة لرسول الله ﷺ وحاكماً شرعياً على المسلمين ، وكان من أمجديات المحاكم الإسلامي النائب عن المعصوم ﷺ أن يكون فقيهاً عادلاً ، فاضطرّ لكيلا يقع موضع السخرية والاستهزاء بين مواليه ، فضلاً عن مخالفه ومعاديه ، إلى تقمّص هذه المرتبة وارتقاء منبر الافتاء ، ومن هنا برزت ظاهرة خطيرة للغاية هي ظاهرة الحكام المجتهدين الذين اتخذوا دين الله حِوْلاً ، وعباده حِوْلاً ، بتسييس الدين والتلاعب السافر بمصير المؤمنين ، وإذا بالخليفة والحاكم الذي لم يُوصف بالأمس إلا بالجهل ، أو لم يُنعت إلا بوصمة من العار ، ولا يفقه أيُّ طرفيه أطول ، وإذا به أصبح في عشيّة وضحاها ، وبقدرة قادر ، فقيهاً وحاكماً على المسلمين ينوب عن رسول الله ﷺ ، له من الصلاحيّات وبسط اليد ما لرسول الله ﷺ ، يجلس مجلسه ، ويحكم بالنيابة عنه ، بينما يتخبّط تحبّط السقيم في ما يصدره من الفتاوى المخالفة لضرورة الفقه والمذهب . والتأريخ

وكتب السير والحديث مليئة بمثالبهم ومطاعهم .

فقد كان من المفروض في شخص الخليفة والحاكم الذي نصب نفسه منصب المعصوم عليه السلام وقام مقامه أن يكون أعلم الناس ، وأحقّهم بمعرفة الأحكام وحقائق الشريعة وبواطن الكتاب وأسراره ، باعتباراه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وأميناً على تراثه ودينه ، فكان يرى في ذاته ونفسه الأهلية والجدارة والأحقية بالاجتهاد ، رغم علمه بجهله ، وأحياناً جهله بجهله - وهو الجهل المركّب - ، وعدم توفّر الرصيد الكافي ، والمؤهل اللازم للاجتهاد والاستنباط ، فكانت ولا تزال تطّعاته الدنيوية ، وميوله الخفية ، وأغراضه الدنيئة هي الحاكمة في نوعيّة الفتاوى الصادرة من فمه والخارجة من تحت جُبتّه ، بل هي مبانيه في استنباط أحكام الله تبارك وتعالى وأصوله التي يبني عليها آراءه . وتكمن الخطورة في أنّه لم يكن ليصدر أوامره وأحكامه من منطلق الحاكم السياسي ، وإنما بدعوى كونه حاكماً تتحدّد مسؤوليته في نقل إرادة السماء ، والرادّ عليه رادّ على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فما على الناس سوى السمع والطاعة ، وليس لأحد - وإن كان صحابياً جليلاً ، أو فقيهاً محنكاً - أن يناقشه في آرائه ، أو حتّى يبدي رأياً يخالف رأيه ، ولو في مجلس

درس ، أو مركز علمي ، كائناً مَنْ كان .

ثم إنَّ خلفاء بني العباس لأغراض سياسية عمدوا إلى حصر الاجتهاد في كلِّ زمان برجل واحد تختاره هي وترتضيه تبريراً لإجراءاتهم السلطوية التعسفية ، ومواقفهم الإجرامية ، ومن هنا فقد انحصرت المذاهب الفقهية لدى أهل السنَّة والعمامة على التوالي في الأئمة الأربعة ، وهم : أبو حنيفة ، والشافعي ، ومالك ، وابن حنبل ، وانتفعا كثيراً من ذلك ، حيث لم يتركوا مجالاً للرواية والفقهاء المخالفين للبلط الحاكم ليبرزوا رأياً مخالفاً لهم ، أو يفضحهم في ضلال من ضلالتهم ، أضف إلى ذلك سهولة تمرير أغراضهم السياسية ، وفرض مواقفهم المشؤومة على المسلمين عبر الفقيه الواحد ، وإن رأوا فيما بعد سدَّ باب الاجتهاد بمصراعيه والتوقّف على المذاهب الأربعة فحسب ، ولكن اختلف الأمر تماماً في المذهب الجعفري ، فقد كان أتباعه في منأى من سلطة الحكّام والخلفاء ، وعلى طرفي نقيضٍ معهم منذ أن قبض رسول الله ﷺ ، واغتصبت الخلافة من أهلها ، ولأنَّ تربية المجتهدين والرواية كانت من مهامِّ الأئمة المعصومين عليهم السلام والوظائف التي حملوها على عواتقهم ، ونقلوها من جيل إلى جيل ، فتوارثها

شيعتهم على أحسن وجهٍ وأكمله ، وكان الاجتهاد عندهم ملازماً للتقليد ، ومن هنا أصبحت عملية الاجتهاد والتقليد في العصور المختلفة ، لاسيّما العصور المتأخّرة عن عصور المعصومين عليهم السلام ، سمة من السمات المميّزة للمذهب الجعفري ، وأصلاً ثابتاً من أصول فقه الإمامية ، فلا يخضع الاجتهاد لرغبات الحكّام والخلفاء ، ولا يرضخ الفقيه المجتهد لرغباته وأهوائه ، فضلاً عن رغبات غيره وأهوائهم ، بل ينظر في مصادر التشريع بنظرة ثاقبة ، وإمعان لا نظير له ، ويصدر فتاويه في الهواء الطلق وبحريّة تامّة رغم قساوة الظروف الملمّة والأجواء السياسية المحيطة به .

والحمد لله ربّ العالمين

الدّرس السّادس

الاجتهاد بعد الغيبة الصغرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عملية الاجتهاد التي ظهرت وبرزت في العقد الثاني من بعثة النبي الأكرم ﷺ بعد الهجرة النبوية الشريفة، وبعد انتشار الإسلام واتساع رقعته ونطاق عمله ونشاطه، وتجلّت أكثر فأكثر في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه الصّلاة والسّلام، وترسّخت دعائمه كأصل فقهي ثابت في عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، واستمرّت دون انقطاع حتّى في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، هذه العملية وإن كانت طبيعية نابعة من عظمة الدين الإسلامي، وكانت من لوازم شموليّته وعموميّته وعالميّته، وكانت أيضاً مطلوبة بذاتها، كما تبدو في الوهلة الأولى، ولا خلاف في ذلك، يبيد أنّها كانت في الحقيقة مقدّمة في الوقت ذاته

وإمداداً غيبياً لتهيئة الأُمَّة وتوجيهها نحو الطريق الأُسلم والسبيل الأوضح في فترة الغيبة الكبرى، التي ستدوم طويلاً على ما كان يبدو، وسيكون الإمام المعصوم عليه السلام غائباً عن الأنظار، ويتعذّر الاتّصال بشخصه الكريم، ولهذا كان من الطبيعي أن لا يُفاجأ الشيعة بغيبة إمامهم، ولا يلاقوا صعوبةً في الرجوع إلى الفقهاء والرواة ممّن تأهلوا للفتيا واجتمعت فيهم شروط الافتاء، وبذلك لم يجدوا عُسراً ولا حرجاً في العثور على أحكام دينهم المبين، أعانهم على تحلّل فترة زمنية بين عصر الظهور وزمن الغيبة الكبرى، هي المنزلة الوسطى التي بين المنزلتين، كانت عاملاً مساعداً في غاية الأهميّة لنقله نوعية لا يحصى عنها، دامت هذه الفترة سبعين عاماً، وسمّيت بالغيبة الصغرى، وكانت كافية لأداء الأمانة وإبلاغ الرسالة إلى أهلها.

وأما كون هذه الفترة برزخاً بين الظهور الحقيقي والغيبة الحقيقيّة الحقّة، فلاّنها تميّزت بالنيابة الخاصّة عن الإمام أرواحنا فداه، وإمكان الارتباط الخاصّ بساحته المقدّسة الملكوتية، وعدم انقطاع أخباره عن شيعته ومواليه، وكان الوسطاء بينه وبين شيعته وأهل خاصّته نواباً أربعة، هم: الشيخ الجليل، والعالم الثقة،

أبو عمرو عثمان بن سعيد العُمريّ، ويقال له: الأَسدي؛ لأنّه من قبيلة بني أسد، ويلقّب أيضاً بالعسكري؛ لأنّه كان من عسكر سامراء، وكان من خواصّ أصحاب الإمامين عليّ الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، وكان وكيلاً لهما، مبسوط اليد بين شيعتها، وهو الذي تولّى تكفين الإمام العسكريّ، وتحنيطه، ودفنه، وحضر تغسيله، والصلاة عليه^(١)، وقد توفّي عام ٢٥٧هـ.ق.

ثمّ انتقلت النيابة الخاصّة إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العُمريّ، وقام هو مقام أبيه (رضوان الله تعالى عليهما) بنصّ من أبيه، وفيه توقيع الإمام الحجّة المنتظر عجل الله فرجه الشريف يزكيه لنيابته وسفارته، ولما توفّي عام ٣٠٥ هجرية استخلف بعده الشيخ الأجلّ أبا القاسم الحسين بن روح بن أبي بختر النوبختي، الذي نهض بهذه المهمّة، وتحمل أعباء النيابة الخاصّة، وتوفّي عليه السلام

(١) «أنّه لما مات الحسن بن عليّ عليهما السلام حضر غسله عثمان بن سعيد رضي الله عنه وأرضاه، وتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وتقبيره مأموراً بذلك؛ للظاهر من الحال التي لا يمكن جعلها ولا دفعها» الغيبة للطوسي: ٣٥٦، ح ٣١٨.
وهكذا في البحار والأنوار البهية.

عام ٣٢٦هـ. ق، وقد أوصى قبل وفاته إلى العالم الجليل أبي الحسن علي بن محمّد السّيمري - أو السّمرّي -، وهو آخر النّوَاب الأربعة وخاتمهم الذي بوفاته عام ٣٢٩هـ جرية انقطعت النّيابة الخاصّة وانتهت فترة الغيبة الصغرى لتبدأ صفحة جديدة من حياة المؤمنين هي فترة غياب حجّة الله تعالى عن الأعيان، وانقطع الاتّصال به بالوسائط الخاصّة مدّة لا يعلم مداها إلا الله تبارك وتعالى، كما ورد في الكتاب الموقّع من الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف إلى نائبه الأخير، وفيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليّ بن محمّد السّيمري أعظّم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين سنّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة النّائمة (الثانية)، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً... الخ»^(١).

(١) كمال الدين - الصدوق: ٥١٦. الغيبة - الطوسي: ٣٥٩. الاحتجاج - الطبرسي ٢: ٢٩٦. بحار الأنوار ٥١: ٣٦١. كشف الغمّة - الأربلي ٣: ٣٣٨.

فهؤلاء النوّاب الأربعة رضوان الله عليهم كانوا يقومون بمهمّة إرشاد الرعيّة والشيعيّة ، ويتولّون التصديّ لشؤونهم الدينية من بيوتهم ومساكنهم في مدينة بغداد ، ممّا جعل من هذه المدينة مركزاً روحياً للشيعيّة وعلمائهم ، وتجمّعاً علمياً لتأليف وتكوين النواة الأساسيّة للمرحلة القادمة التي انطلقت منها فكرة إنشاء مركز علمي ، وانبثقت فيها تطّاعات وآمال زعماء الطائفة بتأسيس حوزة علميّة تتكفّل بتربية العلماء والمجتهدين ، ورعاية الشيعيّة في البلاد المجاورة والمناطق النائية ، كما تصدّى للذبّ عن معالم المذهب بالردّ على عبث العابثين ، ومن تسوّّل له نفسه للنيل من حقائق هذا الدين ، بالمضيّ على سيرة المعصومين عليهم السلام .

والحمد لله ربّ العالمين

الدّرس السّابع

الاجتهاد والتقليد في الغيبة الكبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبذلك ظهرت أهميّة المنهجين العقلي والعقلاني اللّذين أرشد إليهما الشارع المقدّس منذ أمدٍ بعيدٍ بوضع أسسه ودعم ركائزه، وبرز للعيان مدى حاجة الناس إلى الاجتهاد والتقليد بحكم العقل وسيرة العقلاء، فأرجع المعصوم عليه السلام المؤمنين إلى حكم العقل بوجوب الاجتهاد كفايةً، وحيث لا يتسنّى لكلّ الناس التخصّص في علوم الشريعة، ولا يوفّق كلّهم لبلوغ مرتبة الاجتهاد فقد دعى عامّة الناس إلى ما تسالم عليه العقلاء، وما جرت عليه سيرتهم العمليّة من لزوم رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة والعلماء، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ﴾، أي ليس من المعقول أن يتفرّغ كلّ واحد من الناس لطلب علوم الشريعة

ويتخصّص فيها ، فليس الوجوب في الاجتهاد عينياً بل هو فرضٌ كفايةٍ بحكم العقل أو بسيرة العقلاء ، ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ﴾ ، فالتفقه في كافة علوم الشريعة ممدوح لذاته ، وإن كان في العلوم العمليّة كالتفقه في الأحكام الشرعيّة وفروع الدين وعلم الأخلاق مطلوباً لغيره أيضاً ، أي طريقاً للعمل ، ولعلّ هذا القسم من العلوم طريقاً مطلقاً لا مطلوبية ذاتية له أصلاً ، ﴿ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ ، فإذا وجب الإنذار والتبليغ على المجتهد وجب القبول والتقليد على المكلف غير المجتهد ، ويؤيده قوله تعالى أخيراً: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَخْذَرُونَ ﴾ (١) .

نعم ، لما كان التقليد عند العقلاء ليس مطلوباً بذاته بل مطلوب لغيره فهو طريق للتوصل إلى حكم الشرع ليس إلّا ، فغير المجتهد مخير بين التقليد والاحتياط ولا ثالث لهما ؛ إذ كما أنّ التقليد طريق إلى امتثال حكم المولى تبارك وتعالى عند العقلاء ، فالاحتياط أيضاً طريق عندهم ، وإذا كان التقليد لا يفيد سوى الحجية

(١) التوبة: ١٢٢ .

الظاهرية أو المعدّرية والمنجزية ، فالاحتياط إحراز للواقع وموصّل إلى الحكم الواقعي وتنجز قطعيّ ، إلاّ أنّ تحقيق الاحتياط والعمل به غير ممكن لكلّ الناس ، فالأفضل ، بل المتعيّن عند عدم تمكّنهم من الاحتياط ، أن يرجعوا إلى فقيه جامع للشرائط وأخذ الأحكام منه بالتقليد .

بيان ذلك : أنّه كان يتعيّن على عامّة الناس بعد انقطاع صلّتهم بإمامهم المعصوم عليه السلام مباشرة وبالواسطة ، أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة ومصادر التشريع ليستخرجوا أحكام دينهم ويعملوا بما علموه من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والحديث الشريف ، لكنّ الأمر ليس بهذه السهولة ، وليته كان كذلك ؛ لأنّ الإسلام دين الخاتم والشريعة الخالدة ، ليس بعده تشريع ، والحياة متغيّرة ، في كلّ يوم جديد موضوع جديد وموضوع مستجدّ يبحث المكلف عن حكمه ، ولهذا كان لا بدّ من وجود شريعة وتشريع يمكن أن يتكيّف مع الظروف ويلائم المتغيّرات رغم ثوابته غير القابلة للتغيّر والتغيير ومحورية أصوله وقواعده ، ولهذا كان الفقه الإسلامي فقهاً يعالج مشكلات الحياة ويجيب عن تساؤلات المكلفين ويردّ على إشكالاتهم على مدى القرون والأعصار .

ومن هذا المنطلق كانت آيات الأحكام وأحاديثها تأسيسات في معظمها لأحكام كلية تشتمل على العامّ والخاصّ، والمجمل والمبيّن، والمطلق والمقيّد، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والحقيقة والمجاز، والظاهر والأظهر، والكناية والتصريح، والمفهوم الموافق والمفهوم المخالف، وما شابه ذلك من قواعد اللغة والأدب التي تجعل الكلام قابلاً للحمل على مرادفات مختلفة ومعانٍ متعدّدة.

بالإضافة إلى منع كتابة الحديث قرابة مئة عام بأمر من الخليفة أبي بكر وعمر بن الخطّاب^(١) حيث ساعد كثيراً على وقوع الخطأ والتصحيح في كتابتها بعد مئة عام، كما ساعد على إضاعة وضياح الكمّ الهائل من الأحاديث والروايات الصحيحة الصريحة، وكان

(١) كشف اليقين: ١١. سنن الدارمي - باب من رخص في الكتابة من المقدّمة: ١٢٥. سنن أبي داود - باب كفاية العلم: ١٢٦. مسند أحمد ٢: ١٦ و ٢٠٧ و ٢١٦. مستدرک الحاکم ١: ١٠٥ و ١٠٦. تذكرة الحفّاظ بترجمة أبي بكر ١: ٢ و ٣. جامع بيان العلم وفضله ٢، باب ذكر من ذمّ الاكثار من الحديث دون التفهّم له: ١٤٧. منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٤: ٦٤. طبقات ابن سعد: ١٤٠. تذكرة الحفّاظ ١: ٧. كنز العمّال ٥: ٢٣٩، الطبعة الأولى.

هذا المنع عاملاً رئيسياً في ظهور الكذابين والوضّاعين الذين برزوا في تلك الفترة وبعدها، وأكثروا من الكذب والافتراء على رسول الله ﷺ، ووضع الحديث ونسبته إلى النبي ﷺ، ولم يسلم مذهب الحقّ الجعفريّ من هذه المآسي والابتلاءات، بل كان من أشدّ الطوائف تضرراً.

فلم تكن عملية استخراج وفهم الأحكام الشرعية أمراً سهلاً يمكن أن تناله الأيدي العامة والأذهان الساذجة؛ لتوقّف ذلك على معرفة جملة من الأمور والتخصّص في شطر من المعارف والعلوم والصناعات والفنون، كعلم معرفة أحوال الرواة المسمّى بعلم الرجال، المتكفّل بمعرفة أحوال الرواة من أي طبقة هم، وفي أي مرتبة من مراتب الحسن والضعف، والمعلومية والمجهولية، والوثاقة والمقبولية يمكن تصنيفهم، حيث يتوقّف عليه تصنيف الخبر طبقاً لمستوى رجاله الذين وردت أسماؤهم في طريقه وسنده وصدوره، هل هي رواية صحيحة أم موثوقة - موثقة - أو مقبولة، أو منكرة أو ضعيفة أو حسنة أو مرسلّة أو مسندة، وما شابه ذلك، وعلم معرفة الحديث من قبيل فقه الحديث المتكفّل بالبحث في دلالة الحديث ومعرفة مضامينها ومرادات المعصوم ﷺ، والتمييز

بين رأي الراوي وقول المعصوم عليه السلام فيما كان قول المعصوم عليه السلام مشوباً بكلام صدر من الراوي على نحو البيان والتفسير، أو على أيّ نحو من الأتحاء، فظنّ السامع أو القارئ أنه من كلام المعصوم عليه السلام، فالتمييز بين القولين مما يتوقّف عليه معرفة المراد والمطلوب، فلا يحيص دونه.

وكالتخصّص في التفسير ومعرفة الآيات وشأن نزولها، وإتقان اللغة العربية وعلوم اللغة من النحو والصرف والتصريف والمعاني والبيان والبديع، ومعرفة بعض الأصول والقواعد الفلكية والحساب بالإضافة إلى شيء من علمي المنطق والفلسفة والكلام وبعض صناعاتها الدخيلة في معرفة المعاني والمفاهيم الشرعية ومقاصد الفقهاء والأصوليين المتقدمين والمتأخّرين والمعاصرين. فكان الطريق الأسلم والمنهج الأقوم هو العمل بحكم العقل بالاجتهاد لمن فيه أهليّة الاجتهاد، والرجوع إلى سيرة العقلاء بالتقليد لمن ليس مؤهلاً للاجتهاد، وهم الغالبية العظمى من الناس في كلّ عصر ومصر، فالاجتهاد والتقليد هو النهج السليم الواضح الذي ارتسمه الشارع المقدّس المتمثّل في أمّتنا الأطهار عليهم السلام، ليكون صراط نجاة، ودليل حقّ، ومصباح هداية

يسير عليه ، وتحت ضوءه وضيائه وفي كنفه شيعتهم حتى يأتي
الصبح والفرج إن شاء الله تعالى ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾^(١).

والحمد لله ربّ العالمين

(١) هود: ٨١.

الدّرس الثامن

تاريخ الحوزات الشيعية - ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدأت حوزاتنا العلميّة ودروس الاجتهاد بشكل منظم في العهد العباسي ، منذ أن وجدت لها نافذة على الحرية وموطئ قدم في مدينة بغداد عاصمة العباسيين حينذاك ، بعدما اطمئنوا من وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي كانوا قد شدّوا عليه الرقابة ، وضيّقوا عليه الخناق ، حتّى يقضوا على المهدي المنتظر عليه السلام المرتقب أن يولد من صلب أبي محمّد العسكري عليه السلام ، لكن توفي أبو محمّد عليه السلام ولم يُخلف في نظرهم ولداً ، ولا ترك وريثاً ذكراً ، فاطمئنوا أن لأساس لوجود المهدي المنتظر عجل الله فرجه - على حدّ زعمهم - ، وكيف كان فقد تنفّس المذهب وأهله لاسيّما علماءه الصعداء ، واستنشقوا الهواء العذب إلى حين ، بعد قرون من الظلم

والاضطهاد، والعمل في الخفاء خوفاً من الملاحقة والسجن والقتل والتشريد.

وكان ذلك في عصر الشيخ المفيد أعلى الله مقامه الشريف، حيث استقلّ كثير من بلاد المسلمين عن الدولة الإسلامية الكبرى والمخلافة الأمّ المتمثّلة آنذاك في الحكم العبّاسي، وظهرت الدويلات والإمارات الإسلامية التي حكمها الأمراء وملوك الطوائف بعيداً عن السّلطة المركزيّة يومئذٍ، فانقسمت الدّولة الإسلاميّة إلى مجموعة بلاد إسلاميّة، ومن هنا قد تجسّدت بعض آمال الشيعة وتحقّقت بعض أمانهم حيث انعقدت نطفة أوّل دولة شيعيّة وانطلقت للعيان لفكرة إنشاء أوّل مدينة إسلاميّة على نهج أهل البيت عليهم السلام بعد عصر المعصومين عليهم السلام، وفي زمن الغيبة الكبرى متجسّدة في الدولة البويهية التي أنشأها الأمير عضد الدّولة البويهي من ديلمّة الفرس؛ إذ كان له عليه السلام قصب السبق في نصرة التّشيع، واليد الطولى في نشر المذهب، وبسط معاله، وترسيخ دعائه، وتثبيت أركانه؛ وذلك بفضل استعانته بشيخ مشائخ الطائفة وزعيمها على الإطلاق، أعني مولانا الشيخ المفيد أعلى الله مقامه الشريف، وتلبية رغباته جميعاً، وتحقيق أوامره بعد أن

أكرمه أشدّ تكريم، وتمثّل لأوامره بإنشاء أوّل حوزة شيعيّة وأفضل مدرسة علميّة إماميّة في بغداد عاصمة البويهيين بعد طول غيبة للحريّات وطول هجران لهذا المذهب من قبل الحكّام والخلفاء بالحرب الإعلاميّة والتصفيّات الجسديّة التي مارسوها على المذهب الحقّ وأهله وكافة المنتسبين إليه، فالتحق بها المتعطّشون إلى العلم والمعرفة والفضيلة وتخرّج منها جمع غفير من علماء الطائفة وأعلام المذهب كالعلمين السيّدين المرتضى والرّضويّ وشيخ الطائفة الطّوسيّ أعلى الله تعالى مقاماتهم، الذي انتقل فيما بعد إلى النجف الأشرف ووضع الحجر الأساس واللبننة الأولى لتأسيس الحوزة العلميّة في مدينة النجف الأشرف بعد أن نجحت مؤامرات الأعداء في إسقاط الدولة البويهيّة والقضاء عليها وصار الشيخ مستهدفاً من قبل الغزاة، ولهذا كانت بغداد معقلاً لأوّل جامعة دينية في عصر غيبة المعصوم عليه السلام، كما كانت في تلك الحقبة الزمنية مركزاً للعلوم والفنون المختلفة لكافة المذاهب والتوجّهات الإسلاميّة، فوجد الفكر الإسلامي فيها مجالاً خصباً للنمو وتبادل الآراء والأنظار، ومقارعة الحجج والبراهين، والرقّيّ والتكامل والانتشار، وإن لم يخلُ ذلك من جوانب سلبية أدّت إلى نشر بعض

الأفكار الباطلة والمذاهب الضالّة.

وبعد أن ضاقت الخلافة العبّاسية ذرعاً، لاسيّما بفعل الدسائس والفتن التي بثّها بعض علماء المذاهب المناوئة للمذهب الجعفري، مارس الخليفة وأزلامه ظفوطاً شديدة على علماء المذهب وأجبروهم على الرحيل إلى مدينتي الريّ وقم الفارسيّين منذ الأعوام الأولى من الغيبة الكبرى بحثاً عن الأجواء الآمنة والظروف الملائمة، وإن كانت هاتان المدينتان مقرّاً لجمع غفير من الشيعة منذ أمدٍ طويل، وكان قد برز فيها بعض أعلام الطائفة من الفقهاء والمحدّثين منذ الغيبة الصغرى كالمرحوم الشيخ الكليني أعلى الله مقامه الشريف مصنّف أبرز كتب الحديث، أعني الكافي، وهو أحد أشهر الكتب الأربعة في المذهب الإمامي الاثني عشري، وهكذا الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه الشريف، مصنّف الكتب العديدة، لاسيّما كتاب فقيه من لا يحضره الفقيه، وهو من الكتب الأربعة أيضاً، وهكذا ابن بابويه القمّي والد الشيخ الصدوق، وكذلك أخوه، حيث سُمّي الشيخ الصدوق وأخوه بالصدوقين، وكلّهم من أجلاء الأصحاب وأعلام الطائفة، لكنّ جميع هؤلاء الأعلام تلقّوا علومهم في بعض مدن العراق لاسيّما

العاصمة بغداد.

إلا أن هذه النقلة لم تدم طويلاً، وعادت الدراسة الدينية والنشاطات العلمية الشيعية إلى بغداد في الفترة الأخيرة من الحكم العباسي بفضل الجهود التي بذلها شيخ الطائفة أعلى الله مقامه الشريف، والظروف التي أحدثت بالنظام العباسي فزلزلت حكمهم، وقلّصت من سلطتهم، وأضحت بغداد، وبالتحديد في جانب الكرخ من هذه المدينة، تعجّ بطلبة العلوم الدينية وعشاق المعارف الإلهية الصادرة من النبع الصافي والفكر الأصيل لأهل بيت العصمة والطهارة عليهم أفضل صلوات المصلين، وكان الشيخ الطوسي (قدّست نفسه الزكية) محلّ احترام وتقدير لدى كافة علماء المسلمين وإن كانت عظمة شأنه وجلالة قدره لم تشفع له عند المبغضين وناصبي العداة لأهل البيت عليهم السلام ولشيعتهم، فلاقى منهم ما لاقى أهل البيت عليهم السلام من أسلافهم.

ومع الغزو البربري التركي السلجوقي على العراق والبلاد الإسلامية جمعاء، لاسيّما غزوهم لبغداد العاصمة بسبب الصراعات الداخلية والخلافات الشديدة التي عاشتها الحكومة المركزية، والانشقاق والتمزّق وضعف الإدارة لدى مركز الخلافة

العُبّاسية ، واشتغال الخليفة بالأُمور الهامشية ، والانغماس في الملذّات والشهوات ، واتّساع الهوّة بينه وبين الرعية بتسليط الأتراك على رقاب المسلمين ، لهذه الأسباب وغيرها ممّا لا مجال إلى سردها في هذه الوجيزة رحل العلم وأهله من بغداد ، وشدّت الجامعة العلمية الشيعية رحالها إلى مدينة الحلة الشهيرة في العراق ، فحطّت وأناخت برحلهها هناك ، وقامت المعاهد والمدارس والمراكز العلميّة الإمامية على قدم وساق مزدهرة بملقات الدروس ، مكتنّزة مزدحمة بأهل العلم وطلّابه ، وتطوّرت دراسة الفقه والأصول ومباني الاجتهاد في بغداد ثمّ الحلة تطوُّراً كبيراً ، وظهرت منهجيّة في غاية الدقّة والاتقان ، سيّما بعد أن ظهر فطاحل الفقه والأصول وأساطينها ، كالمحقّق الحليّ صاحب الشرائع ، والعلامة الحليّ صاحب المصنّفات العظيمة ، وابنه فخر المحقّقين صاحب المعالم ، والشهيد الأوّل صاحب اللمعة الدمشقية ، وابن ورام صاحب مجموعة ورام ، والسيد ابن طاووس ، وأمثالهم من الأعاظم والفقهاء ، واستمرّت الحركة العلمية في الحلة حتّى مع تأسيس حوزة النجف ، وظلّت ناشطة لمُدّة مديدة رغم وجود الحوزة العلمية التي أنشأها شيخ الطائفة الشيخ الطوسي

أعلى الله مقامه الشريف .

وأما النجف الأشرف فنزد أن حلّ بها شيخ الطائفة لمع نجمها في سماء العلم والفضيلة ، وصارت مأوى العلم والعلماء وملجأ طلاب العلم والفضيلة يشدّون إليها الرحال ، ويعلّقون عليها الآمال ، فاستقرّت الزعامة الدينية والقيادة العلمية والمرجعية الفقهية في هذه المدينة المقدّسة طيلة القرون والأعصار المتتالية ، فكانت مصدر الخيرات ومنبع البركات لمذهب أهل البيت عليهم السلام منذ نشأتها إلى يومنا هذا ، وكيف لا وفيها ضريح مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ، فقد تخرّج منها أقطاب الإمامية وأعلامها ، وأساطين الفقه وأعاضمه ، وفحول الأدب والشعراء ، ونوابغ المتكلّمين ، وأعاضم الحكماء والفلاسفة ، وأعمدة المفسّرين ، بالإضافة إلى فطاحل في علم الرياضيات والحساب والهندسة والجبر والطبّ والفلك والعلوم الغربية . كالجفر وعلم حروف الجمل ، ناهيك عن أصحاب القلم والمفكرين الإسلاميين والخطباء المفوّهين ، فضلاً عن الزعماء الدينيين والفقهاء المجاهدين الذين بفضل جهودهم وجهادهم وحسن تقديرهم وحنكتهم السياسية وفتاواهم الصارمة وشجاعتهم

الدرس الثامن

الحيدرية وبطولاتهم في ميادين التصدي وال دفاع والمجاهد ظلّت
راية الحقّ ومعاله خفاقة ترفرف تحت ظلّ العناية العلوية ورعاية
بقية الله الأعظم أرواحنا فداه رغم أنوف المعاندين والمكابرين .

والحمد لله ربّ العالمين

الدّرس التّاسع

تاريخ الحوزات الشيعية - ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في القرن الرابع الهجري ، وفي ظلّ الحكم الشيعي الذي سيّده البويهيون في العراق وبعض البلاد المجاورة أُقيم أوّل محفل علمي في مدينة كربلاء إلى جوار مرقد سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ، بفضل العالم الجليل والمحدّث القدير صاحب التصانيف الكثيرة ، وراوي أكثر الأصول الشيعية الأربعة ، الشيخ حميد بن زياد النينوي ، فكان أوّل نواة لتأسيس وإنشاء مركز علمي وحوزة شيعية علمائية ، ثمّ انتقل إليها الفقيه المكنى بأبي حمزة ، من تلامذة المرحوم شيخ الطائفة ، وشهدت هذه الحوزة ازدهاراً كبيراً ، وحفلت بكبار الفقهاء والمجتهدين في فترات عديدة وعصور مديدة ، وتخرّج منها العديد من الأجيال حتّى أنّها صارت في

بعض الفترات مركزاً دون منافس للزعامة الدينية والمرجعية الشيعة ، ومن أهمّ البارزين فيها ، أو الراحلين إليها والنازلين بها ، من أعيان الطائفة يمكن تسمية الشيخ ابن فهد الحليّ أعلى الله مقامه ، والفقير الأخباري الكبير الشيخ يوسف البحراني رحمته ، والعلامة محمدباقر الملقّب بالوحيد البهبهاني قدّس الله روحه ، الذي أحدث ثورة في أصول الفقه الجعفري ، ونهض بأعباء الذبّ عن معالم الأصول الشيعية في تصديّه لهيمنة الفكر الأخباري ، وإلحاق الهزيمة بمشايخهم في عقر دارهم ، فظهر على يديه ، وترعرع في أحضان حلقات درسه المفعمة بالإيمان ، والمشيدة على أسس راسخة من العلم والبرهان ، جيل عظيم من أساطين العلم وقادة المذهب ، كالمرحوم السيّد مهدي بحر العلوم ، والمرحوم الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والمولى مهدي التراقي ، وغيرهم من الأعلام أعلى الله مقامهم ، ممّن كانوا مصاييح في سماء العلم والفضيلة ، وأعياناً للمذهب الحقّ يقتدي بهم طلاب الحقّ والفضيلة ، كما برز فيها أيضاً المرحوم الميرزا محمدتقي الشيرازي قائد ثورة العشرين وزعيم الطائفة في عصره ، وهكذا برز المرحوم الحاج آقا حسين القمي قدّس الله روحه ، وغيرهم كثيرون .

كما احتضن الجنوب اللبناني، وعلى وجه التحديد منطقة جبل عامل، أحد المراكز الشيعية والحوزات العلمية بعدما هاجر منها العديد من الشباب الغياري ومحبي المعارف العلوية والعلوم الجعفرية إلى العراق وغيرها من الحوزات العلمية والمراكز الشيعية طلباً للعلم والمعرفة من نبعها الصافي ثم عادوا إلى ذويهم يحملون سلاح العلم والمعرفة يبتئونه هنا وهناك، ويذودون به عن الشريعة الغراء، بدءاً بالمحقق العلامة الكراچكي، والمحقق العلامة الكركي، الملقب بالمحقق الثاني، والعلامة الشيخ البهائي ووالده، والعلامة المحدث الشيخ الحرّ العاملي المشهور بصاحب الوسائل، وهكذا المجلسيين أعني العلامة المحدث الشيخ محمدتقي المجلسي، ونجله العلامة المحدث الشيخ محمد باقر المجلسي المعروف بصاحب البحار، والعلامة الفقيه الشهيد الثاني، وانتهاءً بالعلامة السيّد عبدالحسين شرف الدين، والسيّد محسن الأمين وأضرابهم كثيرون.

هذه أبرز وأشهر الحوزات العلمية والجامعات الشيعية الإمامية، لكنّ انتشار العلم والفضيلة لم يقتصر على هذه المراكز بل انطلق العلماء منها إلى مختلف البلاد وشتّى أرجائها، والمواقع

الشيعة ومدنهم المقدّسة حيث أنشأوا فيها الحوزات، وأقاموا فيها المدارس العلمية، وتخرّج منها الكثير من العلماء والأساتذة والفضلاء والخطباء، كما وقع ذلك في حوزة الكاظمية في العراق، وحوزة سامراء أيضاً في العراق، حيث أسّسها وانتقل إليها المرحوم الميرزا محمّد حسن الشيرازي الكبير، وجمع غفير من تلامذته وعلماء عصره، وحوزة إصفهان، لاسيّما في المعهد الصفوي، حيث وجد العلماء فيها ضالّتهم، فوفدوا إليها زرافات زرافات بعد أن دعى حكّام الصفويين كبار علماء الطائفة وفحول فقهاؤها للزّوج إلى هذه المدينة، وإقامة مركز علمي شيعي فيها، فأقبل إليها المرحوم الشيخ البهائي العالمي، والمرحوم المحقّق الثاني -الكركي العالمي-، والشيخ الحرّ العالمي صاحب وسائل الشيعة، والمرحوم محمّد تقي المجلسي، ونجده محمّدباقر المجلسي صاحب البحار، وأضرابهم من أهل العلم والفضيلة، وهي مستمرة إلى يومنا هذا، وفي حوزة قم المقدّسة التي تعدّ من المراكز الشيعية الأمّ منذ عهد المعصومين عليهم السلام، حتّى ورد ذكرها في بعض الأخبار والروايات، وأثنى عليها وعلى أهلها أمّتنا الأطهار عليهم الصلاة والسلام، فإنّها كانت حافلة منذ الغيبة الصغرى بفقهاء الطائفة

الحقّة ومحدّثيها وخيارها، وكان الأمر فيها على هذه الحال إلى بعد الغيبة الكبرى بقرن كامل تقريباً، أي كانت مزدهرة ناشطة طيلة مئة وسبعين عاماً تقريباً؛ لأنّها كانت في أحلك الظروف وأقساها، مأمناً للمؤمنين، وملجئاً آمناً لهم، يلوذون إليها من جور الجبابة، وظلم المعاندين المخالفين، وسرّ عظيمها المكنون فيها أنّها تحتضن باباً من أبواب الرحمة الإلهيّة، وشفيعه في الدرجات العليّة، والمقامات العالية من الجنّة، وكريمة أهل البيت التي إلى جودها وكرمها يلجأ أهل الحقّ فلا تردّ أحداً من باب جودها، وإلى كرمها تنتهي المكارم، ألا وهي سيّدتنا ومولاتنا سميّة جدّتها، فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليها وعلى آبائها وأخيها آلاف التحيّة والثناء، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

وقد اشتهرت هذه الحوزة العلمية، وزاد صيتها، وارتفع رصيدها من جديد، في عهد مؤسّسها أو مجدّدها المرحوم الشيخ عبدالكريم الحائري، والمرحوم السيّد آقا حسين البروجردي قدّس الله روحهما، وهي بعد الثورة الإسلاميّة المباركة بزعامه الإمام الخميني قدّس الله روحه معقل التشييع،

وملجأ المؤمنين ، وملاذ المجتهدين ، ومن هذه الحوزة انتشر النور إلى أقصى العالم وأدناه ، ولا تزال منبعاً للفضيلة ، ومصدراً للخيرات والبركات ، يتهافت إليها طلاب العلم والفضيلة من أقاصي البلاد ، ويعودون بالزاد الذي حملوه عن أهل البيت عليهم السلام على أيدي فحول العلم وأصحاب المعرفة ، ويقطنها أكثر مراجع الطائفة وفقهاء الإمامية ممن تلقوا علومهم في حوزة النجف الأشرف ، أو تلمذوا على أيدي علمائها ، وهي حوزة مزدهرة بالعلوم والمعارف وكثرة المكتبات ومليئة بالأنشطة الدينية والثقافية والمدارس ومراكز التحقيق ودور النشر ، وناشطة في مجال التأليف والطباعة والنشر .

كما ينقسم فيها المنهج التعليمي إلى المنهج التقليدي القديم ، والتقليدي المشوب بالتحديث ، والمنهج الحديث الذي يمنح طلابه شهادات تعادل الشهادات الجامعية المعاصرة ، وتتمتع بإدارتين مستقلتين ، إدارة خاصة بالطلبة الايرانيين ، وإدارة أخرى خاصة بالطلبة غير الايرانيين ، وإن كانت تلتقي في مديرية واحدة مشتركة .

وأخيراً الحوزة العلمية بمدينة مشهد المقدسة ، وهي أيضاً

كانت منذ القدم ولا تزال حوزة ناجحة ، ناشطة ، مزدهرة بالعلماء والمحققين وطلبة العلوم الدينية ، كما لا تخلو مدينة شيعية أو بلدة يقطنها عالم شيعي أو بعض علماء الطائفة إلا وتجذ فيها مدرسة علمية أو حوزة مصغرة ينتفع بها طلاب العلم وعشاق الفضيلة ، كما هو الحال في معظم المدن الإيرانية ، وبعض المناطق اللبنانية والبحرينية والحجازية والسورية ، وعلى وجه التحديد في بلدة الزينية ، حيث مرقد العقيلة الهاشمية سيدتنا زينب الكبرى عليها الصلاة والسلام ، وهي تزدهر بالنشاطات العلمية وحلقات الدروس في المدارس والمراكز العلمية ، ومن قبل في حلب وغيرها ، وأشهر من برز فيها المرحوم السيد ابن زهرة ، والشهيد الأول عليه السلام ، وهكذا .

كما ظهرت بعض المراكز العلمية الشيعية في فترات متقطعة قصيرة في بعض البلاد والمدن الإسلامية ، ثم اختفت وأغلقت واندرست آثارها ، كما هو الحال في نيسابور وقزوين وهمدان والأهواز وغيرها .

والحمد لله رب العالمين

الدّرس العاشر

أشهر علماء الشيعة - ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في الوقت الذي نجد الشباب الشيعي يحفظ أسماء كثير من علماء الطوائف والمذاهب والأديان الأخرى ، وكثيراً من أسماء علماء العلوم والفنون المختلفة من المسلمين ، وحتى غير المسلمين ، لا سيّما علماء الغرب والفلاسفة الملحدين ، فضلاً عن أسماء الرياضيين والممثلين والمثلات والمطربين والمطربات وأهل اللهو والباطل ، بل ويحفظ الكثير عن حياتهم ، وتفاصيل عن آرائهم وأفكارهم ، فإنهم يجهلون أسماء أعلام الطائفة الحقّة والسلف الصالح منهم ، حتى الأحياء ممن خلفهم ، فضلاً عن الإحاطة بحياتهم ، ومعرفة آرائهم وأنظارتهم ، وهذا لا يليق بشبابنا الذي ينبغي أن يعتزّ بماضيه وتاريخه ، ويتأسى بعلمائه وعظمائه ،

وبما أنّ التفاخر بالشيء والاعتداء بأهله يتوقّف أولاً وبالذات على معرفة الماضي وأبطاله الذين صنعهم وصنعه، والاعتزاز بالعظمة فرع معرفتهم، وأداءً لحقّهم الذي علينا وفي أعناقنا، ولئلا يقول غداً قائل من أبناء الطائفة الإمامية أو يحاججنا بأننا ما قمنا بأداء هذه الرسالة، وتقاوسنا عن القيام بمهمّة الإبلاغ والإرشاد، وكنمنا الحقّ بكمّاننا لحياة السلف الصالح صانعي الأجداد، ولكي لا أكون من المقصّرين في هذا الجانب رأيت من الضرورة بمكان أن أنتهز هذه الفرصة وكتابة هذا الكراس المتواضع للتعريف المختصر اللائق بشأن الكاتب والمكتوب، وإن كان لا يليق بشأن المكتوب عنه والمعرف به، في هذه الوجيزة، لعلّها تكون هادية لشبابنا المؤمن إلى طريق الخير للتشمير عن ساعد الجدّ بالبحث والتحقيق في الكتب المفصّلة، وبمراجعة أهل العلم لمعرفة المزيد عن هؤلاء الصفوة ممّن لهم حقّ الحياة علينا وعلى آبائنا وأبنائنا، وأستميحهم عذراً كما أستميحكم عذراً على هذا المختصر الوجيز: «إنّ الهدايا على مقدار مُهدّيها»، «وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح»، فالإيكم هذه النبذة المختصرة عن عظمتنا:

١ - ثقة الإسلام، وشيخ المحدثين، والفقيه المتبحّر، الإمام

محمد بن يعقوب الكليني أعلى الله مقامه الشريف ، من أهمّ تصانيفه: أصول الكافي ، فروع الكافي ، وروضة الكافي .

ولد في كَلَيْن من ضواحي فشابويه التابعة لمدينة الرّيّ ، التي تعدّ الآن من توابع مدينة طهران عاصمة جمهورية ايران الإسلامية ، توفّي في بغداد ودفن فيها بباب الجسر ، وقبره معروف حتّى يومنا هذا .

٢ - شيخ مشايخ الطائفة ، المحدث الجليل ، والفقير النبيل ، والرجاليّ الناقد ، أبو جعفر محمد بن أبي الحسن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ ، الملقّب بالشيخ الصدوق أعلى الله مقامه الشريف ، من أهمّ تصانيفه: فقيه من لا يحضره الفقيه ، علل الشرائع ، ثواب الأعمال ، عقاب الأعمال ، التوحيد ، العقائد ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ، وتفسير القرآن الجامع الكبير .

ولد في مدينة قم المقدّسة ، وتوفّي في مدينة الرّيّ من ضواحي العاصمة طهران ، ودفن بجوار مرقد السيّد عبدالعظيم الحسيني رضوان الله عليه .

٣ - شيخ المحدثين ، وأستاذ الفقهاء والمتكلمين ، ورئيس الملة والديسن ، مولانا أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان

الحارثي البغدادي، المعروف بابن المعلم، والملقب بالشيخ المفيد أعلى الله مقامه الشريف. قال عنه ابن حجر العسقلاني: «وبرع في مقالة الإمامية، حتى كان يقال: له على كل إمامي مئة»، كان بارعاً في المناظرة والكلام والفقه والمجدل، وكثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصيام، واشتهر بكثرة التصانيف، أشهرها: المقنعة في الفقه، الأركان في دعائم الدين، الفرائض الشرعية، كتاب في المتعة، النكت في مقدمات الأصول، وجوه إعجاز القرآن، النقض على ابن جُنيد في اجتهاد الرأي، نهج البيان، المسألة المقنعة في إمامة أمير المؤمنين، تفضيل الأئمة على الملائكة، تفضيل أمير المؤمنين على سائر الصحابة، الايضاح في الإمامة، العهد في الإمامة، كتاب في الغيبة والتواريخ الشرعية.

ولد في بلدة «عكبرا» في ناحية بغداد على بُعد عشرة فراسخ، وتوفي في منطقة الكرخ ببغداد، ثمّ دفن في داره هناك، وكانت زعامته الدينية إيّان حكم الدولة البويهيّة الشيعية التي حكمت العراق وبين النهرين أثناء ضعف الحكومة المركزية في عهد الخلافة العبّاسية وفي الفترة التي كثرت فيها حكومات

أمراء الأقاليم وملوك الطوائف .

٤ - نقيب الطالبين ، إمام أئمة العراق ، سيّد الفقهاء والمحدّثين ، شيخ الحكماء والمتكلّمين ، مجدّد المذهب الشيعي الإمامي ، ومؤسس جملة من قواعد علم الأصول ، وأستاذ المفسّرين ، والأديب النابغة أبو القاسم عليّ بن أحمد الحسين بن موسى بن محمّد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، المعروف بالمرتضى ، والملقّب بعلم الهدى وذو المجددين . أهمّ مصنّفاته وأشهرها: الشافي في الإمامة ، تقريب الأصول ، جمل العلم والعمل في الفقه ، طبيعة الإسلام ، الخلاف في أصول الفقه ، شرح مسائل الخلاف ، مسألة قتل السلطان ، فنون القرآن ، الذريعة في الأصول ، الحدود والحقائق ، شرح الخطبة الشقشقيّة ، تنزيه الأنبياء والأئمة ، دليل الموحّدين ، أقوال المنجمين ، وتحقيق المتعة .

ولد في بغداد ، وحظي برعاية خاصّة من الشيخ المفيد ، ثمّ توفّي ودفن في مدينة كربلاء إلى جوار جدّه الإمام الحسين عليه السلام .

٥ - شيخ الفقهاء والمحدّثين ، علامة الأدب والكلام ، جامع المعقول والمنقول سلار بن عبدالعزيز الديلمي أعلى الله

مقامه الشريف .

٦ - العالم الكبير ، والفقير الجليل ، والمتكلّم الخبير ، اللغوي المتبحّر ، والنحوي الحرير ، والمنجم الفلكي ، المحدث الطبيب ، أبو الفتح محمد بن عليّ بن عثمان الكراچكي .

ولد في جبل عامل ، وتوفّي في مدينة صور اللبنانية ، له مؤلّفات كثيرة أشهرها : كنز الفوائد ، التعجّب من أغلاط العامّة في مسألة الإمامة ، وجوب الإمامة ، تهذيب المسترشدين ، معارضة الأضداد باتّفاق الأعداد ، البرهان على صحّة عمر صاحب الزمان (عج) ، الاستطراف ، المنهاج في معرفة مناسك الحاجّ ، الاستنصار في النصّ على الأئمّة الأطهار عليهم السلام ، تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام ، الايضاح عن أحكام النكاح ، والإبانة .

٧ - زعيم الإماميّة على الإطلاق ، الفقيه المجدّد ، والأصولي المدقّق ، العالم الحرير ، والرجاليّ الخبير ، جامع المعقول والمنقول ، الطبيب الحاذق ، والفلكي النسيه ، والأديب الوجيه ، مؤسس حوزة النجف الأشرف ، شيخ الطائفة الحقّة ، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بـ الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه الشريف ، صاحب المؤلّفات العديدة والمصنّفات الكثيرة ،

أهمّها وأشهرها: التهذيب، والاستبصار - وهما من الكتب الأربعة -، أصول العقائد، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، الآمالي، التبيان في تفسير القرآن، النهاية، والخلاف، والمبسوط. ولد في مدينة طوس الايرانية، وتوفي في النجف الأشرف، ودفن في داره التي صارت مسجداً بعد ذلك.

٨ - الشيخ الشهيد السعيد، الحبر الفقيه الفريد، الفاضل، العالم، المفسّر، الفقيه، المحدث، الجليل، الثقة، الكامل، النبيل، فخر العلماء الأعلام، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الرضوي أعلى الله مقامه الشريف، الملقّب بأمين الإسلام، من أشهر تصانيفه: مجمع البيان في تفسير القرآن.

ولد في طبرستان الايرانية التي تسمّى الآن مازندران وتقع في شمال ايران على بحر خزر، كما توفي بمدينة مشهد، ثمّ دفن فيها.

٩ - الفقيه الأصولي، والفاضل العالم، الثقة الجليل الشريف، السيد أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الإسحاقني الحلبي أعلى الله مقامه الشريف، الملقّب بابن زهرة، والمشهور بالشريف الطاهر، ينتهي نسبه إلى الإمام الصادق عليه السلام، من أشهر تأليفاته: مسألة في نيّة الوضوء، مسألة في الردّ على المنجّمين،

الدّرس العاشر

المسألة الشافية، النكت في النحو، غنية الزروع إلى علمي الأصول والفروع، نقض شبه الفلاسفة، وقبس الأنوار في نصرة العترة الأطهار.

ولد في مدينة حلب السورية، كما توفي في حلب أيضاً، ودفن في مقابر بني زهرة، وقبره معروف إلى يومنا هذا.

والحمد لله ربّ العالمين

الدرس الحادي عشر

أشهر علماء الشيعة - ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نكتفي هنا بذكر الأسماء وإيراد أهم مصنفاتهم ، وأشهر مؤلفاتهم :

رشيد الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن شهر آشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش السروي المازندراني أعلى الله مقامه الشريف ، المعروف بابن شهر آشوب .

أهم مصنفاته : الأسباب والنزول ، أعلام الطرائق ، مثالب النواصب ، بيان التنزيل ، متشابه القرآن ، الإنصاف ، المثال في الأمثال ، الأوصاف ، الأربعين في مناقب سيّدة نساء العالمين ، معالم العلماء ، والمنهاج .

السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن

أحمد بن محمّد بن أحمد بن أبي عبد الله محمّد الطاووس أعلى الله مقامه الشريف ، من ذرّيّة الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

أشهر مصنّفاته: الإقبال بالأعمال ، السعادات بالعبادات ، مهج الدعوات ، أسرار الصلاة ، إغاثة الداعي ، الدرود الواقية ، روح الأسرار ، الطرائف ، فرج المهموم ، والملهوف على قتلى الطفوف .

أبو جعفر محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي ، الملقّب بالمحقّق الطوسي ، والمشتهر بخواجة نصير الدين الطوسي ، أو الخواجة الطوسي ، ترك ما يقارب من مئة كتاب معظمها في الرياضيات والحساب والهندسة والفلك والكلام ، وأهمّها:

جامع الحساب ، رسالة في علم المثلثات ، تحرير كتاب معرفة مساحة الأشكال البسيطة والكروية ، رسالة في انعطاف الشعاع وانعكاسه ، ثلاثون فصلاً في الهيئة والنجوم ، رسالة في الحساب والجبر والمقابلة ، مئة باب في معرفة الاسطرلاب ، المخروطات ، ترييع الدائرة ، ترجمة صور الكواكب ، تحرير اقليدس ، تحرير المجسطي ، تحرير ظاهرات الفلك ، ديباجة الأخلاق الناصرية ، واقعة بغداد ، جواهر الفرائد في الفقه ، الصبح الكاذب في

الجغرافيا ، تعليقة على قانون ابن سينا في الطبّ ، آداب المتعلّمين ،
أساس الاقتباس في المنطق ، وتجريد الاعتقاد .

أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن
الحسن بن سعيد الهزلي الحلّي ، الملقّب بالمحقّق الحلّي .

أشهر مصنّفته : شرائع الإسلام ، المسلك في أصول الدين ، نهج
الوصول إلى معرفة علم الأصول ، المعارج ، المسائل المصرية ،
المسائل العزية ، نكت النهاية ، والمعتبر في شرح المختصر .

الشيخ جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن محمّد بن
مظهر الحلّي ، المعروف بالعلامة الحلّي .

أهمّ تصنيفاته وتأليفاته : تلخيص المرام في معرفة الأحكام ،
منتهى الطلب في تحقّق المذهب ، تحرير الأحكام ، قواعد
الأحكام ، تهذيب النفس ، مبادئ الوصول إلى علم الأصول ،
تهذيب طريق الوصول ، منتهى الوصول إلى علمي الكلام
والأصول ، النكت البديعة في تحرير الذريعة ، نهج العرفان في علم
الميزان (في المنطق) ، الأسرار الخفية في العلوم العقلية ، شرح حكمة
الإشراق ، القواعد والمقاصد (في المنطق والطبيعيّات والإلهيات) ،
القواعد الجليّة (في المنطق) ، كاشف الأستار ، كشف الخفا من

كتاب الشّفا ، القول الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، نهج الإيمان في تفسير القرآن ، الدرّ والمرجان في الأحاديث الصحاح ، استقصاء الاعتبار ، الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة ، أنوار الملكوت في شرح الياقوت ، منهاج الهداية ومعراج الدراية ، كشف الفوائد ، التذكرة والنهاية والمختلف (في الفقه) والألفين .

الشيخ أبو عبدالله شمس الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين المكي ابن الشيخ شمس الدين محمد بن حامد بن أحمد المطلبي العاملي الجزيني ، الملقّب بالشهيد الأوّل .

أهمّ مصنّفاتّه : اللّعة الدمشقية ، القواعد والفوائد ، غاية المراد في شرح الإرشاد ، الدروس ، الرسالة الألفيّة ، الدرّة الباهرة ، شرح أربعين حديثاً ، وكتاب المزار .

الشيخ جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن فهد ، الشهير بابن فهد الحلّي .

الشيخ نورالدين أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عبدالعال الكركي ، المعروف بالمحقّق الثاني .

أشهر مؤلّفاته : شرح وحاشية على ألفيّة الشهيد الأوّل ، جامع المقاصد ، رسالة صنع العقود والايقاعات وأسرار اللاهوت ،

نفحات اللاهوت في الجبوت والطاغوت ، رسالة الجمعة ، رسالة في العدالة ، قاطعة اللجاج في حلّ الخراج ، ورسالة في تعريف الطهارة .

الشيخ زين الدين بن عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ بن جمال الدين بن تقّي بن صالح بن مشرف العاملي الجبعي ، الملقّب بالشهيد الثاني .

أهمّ مصنّفاته: الروضة البهيّة في شرح اللمعة دمشقيّة ، المقاصد العليّة في شرح الرسالة الألفيّة ، مسالك الأفهام ، تمهيد القواعد الأصوليّة والعربيّة ، رسالة في أسرار الصلاة ، منظومة في النحو ، ورسالة الاقتصاد والإرشاد إلى طريق الاجتهاد .

المولى أحمد بن محمد الأردبيلي ، الملقّب بالمقدّس ، أو المحقّق الأردبيلي أعلى الله مقامه الشريف .

أهمّ مصنّفاته: زبدة البيان في شرح آيات الأحكام ، حديقة الشيعة ، شرح إلهيات التجريد ، مجمع الفائدة والبرهان ، إثبات الإمامة ، وإثبات الواجب تعالى .

العلامة الشيخ بهاء الدين الحارثي الهمداني العاملي ،

المعروف بالشيخ البهائي أعلى الله مقامه الشريف .
أشهر مصنّفاته: تشریح الأفلاك ، الرسالة الإسطرلابيّة ،
خلاصة الحساب ، الفوائد الصمدية ، الحبل المتين في أحكام
الدين ، مشرق الشمسین وإکسیر السعادتین .
العلامة الشيخ فخر الدين الرماحي النجفي ، الملقّب بالشيخ
الطريحي .

من أهمّ مصنّفاته: كنز الفوائد ، الضياء اللامع في شرح مختصر
الشرائع ، الاحتجاج في مسائل الاحتياج ، النكت الفخرية ،
الفخرية الكبرى ، تحفة الوارد ، الاثنا عشرية (في الأصول) ،
النكت اللطيفة في شرح الصحيفة السجّادية ، إيضاح الحساب ،
كشف غوامض القرآن ، جواهر المطالب ، مستطرفات نهج
البلاغة ، جامعة الفوائد ، وجامع المقال .

العلامة المولى محمّد تقي المجلسي أعلى الله مقامه الشريف ،
صاحب كتاب روضة المتّقين .

العلامة المحقّق المحدث المولى محمّدباقر المجلسي ، الملقّب
بالعلامة وبصاحب البحار .

من أشهر مصنّفاته: بحار الأنوار ، في أحوال الأنبياء ، في

أحوال أمير المؤمنين عليه السلام ، في أحوال الزهراء والحسين عليهما السلام ، في أحوال السجّاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام ، في أحوال الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام ، في أحوال المهدي وما ورد في الرجعة ، وملاذ الأخيار .

العلامة الشيخ مهدي الفتوني العاملي النجفي أعلى الله مقامه الشريف .

أهمّ مصنّفاتِه : نتائج الأخبار .

الفقيه المحدث الشيخ يوسف الدرازي البحراني ، الملقّب بصاحب الحدائق .

أهمّ مصنّفاتِه : الحدائق الناضرة ، لؤلؤة البحرين ، النفحات الملكوتية ، أعلام القاصدين ، معراج البنية ، جليس الحاضر وأنيس المسافر ، وسلاسل الحديد ، والكشكول .

العلامة المحقق والأصولي المدقّق الشيخ محمّدباقر البهبهاني أعلى الله مقامه الشريف .

من أشهر مؤلّفاتِه : رسالة في الاجتهاد والتقليد ، رسالة في الجبر والاختيار ، رسالة في شرح المفاتيح ، الفوائد العتيقة ، الفوائد الجديدة ، وتعليقة على منهج المقال .

العلامة الفقيه السيّد مهدي البروجردي بحرالعلوم
الطباطبائي أعلى الله مقامه الشريف.

من أشهر مؤلفاته: المصاييح ، الدرّة النجفيّة ، مشكاة الهداية ،
الفوائد ، كتاب الرجال ، الدرّة البيّة ، وتحفة الكرام .

العلامة المحقّق والفقيه المدقّق الشيخ جعفر الجناحي
النجفي ، الملقّب بالشيخ الأكبر ، وكاشف الغطاء أعلى الله مقامه
الشريف .

من أهمّ مصنّفاته: كشف الغطاء ، العقائد الجعفرية ،
شرح قواعد العلامة ، الحقّ المبين ، وبغية الطالب .

المحقّق الفهامة السيّد عليّ الطباطبائي الحائري أعلى الله
مقامه الشريف .

أشهر مصنّفاته: رياض العلماء .

العلامة المدقّق السيّد جواد العاملي ، صاحب مفتاح الكرامة .
الفقيه المحقّق الشيخ محمّد حسن النجفي ، المعروف
بصاحب الجواهر أعلى الله مقامه الشريف .

آية الله في العالمين الفقيه الأصولي المحقّق الشيخ مرتضى
الذرفولي الأنصاري النجفي ، الملقّب بالشيخ الأعظم أعلى الله

مقامه الشريف ، صاحب المكاسب والرسائل .

الإمام الأكبر والزعيم الأوحد الميرزا محمد حسن الحسيني
الشيرازي ، المعروف بالميرزا الشيرازي والمجدد الشيرازي أعلى
الله مقامه الشريف .

الأصولي المحقق والفقير المجدد الشيخ المولى محمد كاظم
الهروي الخراساني النجفي ، الملقب بصاحب الكفاية أعلى الله
مقامه الشريف .

الفقير التحرير آية الله السيد محمد كاظم الكسنوي النجفي
الطباطبائي ، المعروف بالسيد الزدي وصاحب العروة أعلى الله
مقامه الشريف .

الزعيم الأكبر آية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي الحائري ،
الملقب بالميرزا الشيرازي ، زعيم ثورة العشرين ضد القوات
الانجليزية المحتلة للعراق أعلى الله مقامه الشريف .

آية الله الشيخ فتح الله النمازي الشيرازي الغروي ، المعروف
بشيخ الشريعة الإصفهاني أعلى الله مقامه الشريف .

آية الله العظمى الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني النجفي ،
الملقب بالميرزا النائيني أعلى الله مقامه الشريف .

آية الله العظمى الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي القمي أعلى
الله مقامه الشريف ، مؤسس أو مجدد الحوزة الصليبية بمدينة قم
المقدسة .

آية الله العظمى السيد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني النجفي
أعلى الله مقامه الشريف .

آية الله العظمى السيد الحاج آقا حسين القمي أعلى الله مقامه
الشريف .

آية الله العظمى السيد آقا حسين الطباطبائي البروجردي أعلى
الله مقامه الشريف .

آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم أعلى الله
مقامه الشريف .

آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي أعلى الله مقامه
الشريف .

آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي المصطفوي ،
المعروف بالإمام الخميني أعلى الله مقامه الشريف . بالإضافة إلى
عشرات ، بل الألوف ، من العلماء والعباقرة منذ العصور الأولى
من غيبة الإمام المنتظر المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

وإلى يومنا هذا.

قد اكتفينا بإيراد هذه المجموعة منهم لاعلى سبيل المحصر، راجياً من الله تبارك وتعالى أن يجعله سبيلاً لهداية الجيل المؤمن الصاعد والأجيال القادمة، وإرشادهم إلى معرفة علمائهم الأعلام، الذين بفضلهم اهتدينا، وعلى أيديهم ظلّت شجرة الإيمان مخضرة مثمرة إلى يومنا هذا، ﴿ تُوْتِي أ كُلَّمَا كَلَّ حِينِ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾^(١).

والحمد لله ربّ العالمين

(١) سورة إبراهيم: ٢٥.

الدّرس الثّاني عشر التكليف وأهمّيته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التكليف في اللغة: هو الإلزام والمشقة.

التكليف في اصطلاح الشرع المقدّس هو الأوامر والنواهي الإلهية التي يتمّ إبلاغها من قبل الله تعالى بواسطة الأنبياء والرسل ﷺ إلى الناس.

والتكاليف الإلهية من الواجبات والمحرمات الصادرة بصيغة الأوامر والنواهي ما هي إلاّ نوع من التكريم والتشريف من الله تعالى للإنسان، وهي توحى أنّ الإنسان بما يملك من جوهر العقل والإدراك العقلي يتميّز عن سائر الخلائق والمخلوقات من حيث أنّ هذه الجوهرة الثمينة تؤهّله لحمل الأوامر والنواهي السماوية، وتمكّنه من توجّه الخطاب إليه من الله تعالى، فهو قادر على حمل

رسالة السماء في سبيل التكامل الروحاني والتنامي النفساني ليلج بذلك مدارج الكمال ويرقي ثم يرقى حتّى يتجاوز مرتبة الملائكة المقرّبين ، ويزداد قرباً ودرجة عليهم ، فيتباهى الله تعالى بهم ، ويباهي بهم ملائكته المقرّبين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١).

عن عبدالله بن سنان ، قال : سألت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فقلت : الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟ فقال : « قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل ، وركّب في بني آدم كليهما ، فن غلب عقله شهوته فهو خيرٌ من الملائكة ، ومن غلب شهوته عقله فهو شرٌّ من البهائم » (٢).

ومن هنا وبملاحظة ما تقدّم من التكريم الإلهي للإنسان المسلم وقرب منزلته منه كان حريّاً بالإنسان أن يهتمّ بزمان

(١) سورة الأحزاب : ٧٢ .

(٢) وسائل الشيعة ١١ : ١٦٤ .

التكليف وأهميته

بلوغه ، وهكذا بلوغ عياله ، ويشوقهم إلى بلوغ سنّ التكليف ويكرمهم بعد البلوغ أشدّ إكراماً ممّا كان يصنع بهم قبله ، ويعاملهم من منطلق قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾^(١) ، ويحتفل بعيد بلوغه الشرعي ، كما يحتفل أيضاً ببلوغ أولاده سنّ التكليف ؛ لأنه اليوم الذي استحقّ فيه التكريم من السماء بتوجيه الخطاب إليه وحمل الأمانة الإلهية من الواجبات والمحرمات على عاتقه ، ليكون أفضل من الملائكة الذين قال تعالى عنهم : ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾^(٢) .

والدين الإسلامي الحنيف لأنه دين الحياة الدنيا والحياة العقبى ، ولأنه دستور حياة ونظام للفرد والمجتمع ، كفيل بسعادة البشرية ، الدنيوية منها والأخروية ، يُعالج مشكلاته الجسمانية مثلما يعالج مشكلاته الروحانية والنفسانية ، ويعتني بجانبه المادّي كما يعتني تماماً بجانبه المعنوي ، لما كان الإسلام هكذا ، كان حاكماً وقاضياً في كلّ شؤون حياة الإنسان ، وكانت له تكاليف في كافة ما يصدر من الإنسان من أفعال الجوارح وحتى أفعال القلب

(١) سورة الاسراء : ٧٠ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٦ و ٢٧ .

والنوايا الصادرة من الجوانح ، فلاتخلو حركة من حركاته ، ولاسكون من سكناته عن تكليف النهي ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : «يا كميل ، ما من حركةٍ إلّا وأنت تحتاج إلى معرفة»^(١) ؛ ولهذا أوجب على كافّة الناس أن يلبّوا نداء الفطرة ويستجيبوا لحكم العقل ، فيبحثوا ويتفحصوا عن تكاليفهم وأحكامهم التي تكون مورد ابتلائهم في حياتهم اليومية ، سواء في جانب العبادات أو جانب المعاملات ، وفي حال التقصير يستحقّون العقوبة الإلهية على عدم التفحص وتركهم للتعلّم وعزوفهم عن طلب المعرفة ؛ لأنّ العقل السليم والفطرة السليمة يهديان الإنسان إلى وجود أحكام إلهية ولو على نحو الاحتمال أو العلم الإجمالي بضميمة الأدلّة النقلية التي وصلتنا بواسطة الرسل والأنبياء ؛ لأنّ الحكيم لا يفعل لغواً ، ولا يصنع عبثاً ، وهو إذ خلقنا لزم بالضرورة أن يكون قد خلقنا لغرض ، وكلّ غرض عقلائي لا يتمّ إلّا بوضع الأحكام والقوانين ، فاحتمال وجود هذه القوانين يكفي عقلاً للحكم بوجوب التفحص عن هذه الأحكام والقوانين ، ويكفي

(١) بحار الأنوار ٧٧ : ٢٧٦ .

لكي يصدر العقل حكمه بوجوب التفحص ، وبما أنّ العقل حجة باطنة فالتخلف عن هذا الحكم عن علم وعمد يستوجب استحقاق العذاب ، ولهذا جاء في الخبر الصحيح أنّ العبد يُسئل يوم القيامة عن تركه العمل فإذا قال معتذراً: لم أعلم ، قيل له: «هَلَّا تَعَلَّمْتَ؟!»^(١).

وقال المرحوم اليزدي رحمته الله في العروة الوثقى: «بل يجب تعلّم حكم كلّ فعل يصدر منه ، سواء كان من العبادات أو المعاملات أو العاديّات»^(٢).

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لَوَدِدْتُ أَنْ أَصْحَابِي ضُرِبَتْ رُؤُوسُهُم بِالسَّيَاطِ حَتَّى يَتَفَقَّهُوا»^(٣).

قال أبو عبدالله عليه السلام: «لَيْتَ السَّيَاطُ عَلَى رُؤُوسِ أَصْحَابِي حَتَّى يَتَفَقَّهُوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»^(٤).

(١) الكفاية - الآخوند الخراساني: ٣٧٥. كتاب الصلاة - السيّد الخوئي رحمته الله: ٤٤٤: ٣.

(٢) العروة الوثقى: ج ١، في التقليد، مسألة ٢٩.

(٣) أصول الكافي: ج ١، باب فرض العلم، الحديث ٨.

(٤) بحار الأنوار ١: ٢١٣.

الدرس الثاني عشر

س: ذكرتم الأحكام الإلهية فإلى كم قسم تنقسم هذه الأحكام؟

ج: إلى خمسة أحكام، هي: الوجوب كالصلاة، والمحرمة كشرب الخمر، والاستحباب كصلاة الليل، والكراهة كالنوم جنباً، والإباحة كشرب الماء.

والحمد لله رب العالمين

الدّرس الثالث عشر

معرفة التكاليف - ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال أبو عبدالله عليه السلام: «حديث في حلال وحرام تأخذه من صادقٍ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها من ذهبٍ أو فضةٍ»^(١).
أولاً: لأنّ الذهب والفضة مادّية زائلة، ومعرفة الحلال والحرام من الأمور المعنوية الباقية، والمعنى خير من المادة كما أنّ الباقي خير من الزائل.

ثانياً: الذهب والفضة مال، ومعرفة الحلال والحرام علم، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم خير من المال، العلم يحفظك وأنت تحفظ المال»^(٢).

(١) وسائل الشيعة ١٨ : ٧٠.

(٢) الخصال: ١٨٦. نهج البلاغة: باب المختار من حكم

ثالثاً: معرفة الحلال والحرام تجعلك في مأمنٍ من كسب الذهب والفضة عن طريق الحرام، وتُعينك على الكسب الحلال، بل من دون المعرفة يستحيل الكسب الحلال إلا نادراً من باب الصدقة، وأما العكس فغير صحيح؛ إذ طلب العلم والمعرفة لا يتوقف على وجود الذهب والفضة.

رابعاً: الفقر المادي لمن لا يملك الذهب والفضة ليس عيباً عند العقلاء، بينما الفقر المعنوي لمن هو جاهل بما يجب معرفته عيب، بل قبيح عندهم.

خامساً: الغنى بالعلم أفضل عند العقلاء من الغنى بالمال.

سادساً: العلم والمعرفة سلاحان لكسب الذهب والفضة بالقطع واليقين، وأما الذهب والفضة ليسا كذلك بالقطع واليقين.

سابعاً: معرفة الحلال والحرام مقدّمة للعمل والتطبيق ليفوز الإنسان بذهب دائم وفضة خالصة لا تنفد، ومن غير المعرفة لا يكون الكسب حلالاً لئتمكّن صاحبها من صرفهما في سبيل الفوز بالنعيم الدائم الأبدي أو لا يعرف كيف يصرفهما في ذلك.

◉ أمير المؤمنين عليه السلام ومواعظه - من كلام له عليه السلام لكميل بن زياد النخعي، رقم ١٤٧.

ثامناً: الذهب والفضة ينتقلان إلى الورثة ولا يأخذ صاحبهما منها شيئاً إلى الآخرة إلا إذا كان أنفق شيئاً منها في سبيل الله تعالى، وأما معرفة الحلال والحرام فإنها ترافق الإنسان في قبره وتنفعه في وحشته ويوم القيامة.

تاسعاً: قال الشاعر، وقد ورد في الديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام:

ليس اليتيمُ مَنْ قد مات والده

إنَّ اليتيمَ يَتيمُ العلم والأدبِ

عاشراً: ولأنَّ من لا يعرف الحلال والحرام يعاقب يوم القيامة على تركه للتعليم والمعرفة، وأما من لا يملك الذهب والفضة فإنه لا يُحاسب على ذلك.

وقد مثل الإمام عليه السلام بالفضة والذهب لخير الدنيا، واختار من جميع خيراتها مجرد الذهب والفضة لأنهما أفضل ما في الدنيا كلها، وما من شيء أفضل منهما عند أهل الدنيا وطالبيها.

ثم إنه عليه السلام اختار في هذا الخبر وفي الذي قبله الحلال والحرام من بين الأحكام الخمسة؛ لأنهما الأساس في الإسلام، وبهما ينجو

العبد من العذاب ويفوز بالجنة ، وأما المستحبّ والمكروه فإنّ الإتيان بالمستحبّات ، وترك المكروهات ، ليس تكليفاً بالمعنى الخاصّ الذي مخالفته توجب استحقاق العقاب ؛ لأنّهما من كمال الدين وتكامل المسلم واستحقاقه درجات أرفع وأسمى ، نعم هي تكاليف بالمعنى الأعمّ لكن المعنى الأعمّ غير مراد لدى الإمام هنا ، فيكون الحلال حينئذٍ بمعنى الأعمّ من المباح والواجب ليشمل العبادات والمعاملات ، ويكون معنى الحديث : حديث في حلال وحرام ، أي معرفة المباح والحرام من المعاملات ، ومعرفة الواجب من العبادات والمعاملات خيراً من الدنيا وما فيها... الخ .
 والحاصل : أنّه إذا كان الحديث الواحد في حلالٍ واحد وحرام واحد يستحقّ كلّ هذا الأجر والثواب ليكون أفضل من الدنيا وما فيها من ذهب وفضّة فما حال من وقّف حياته معتكفاً على معرفة الحلال والحرام ؟ ! هذا حال من تعلّم فقط ولم يعمل بعد ، فكيف حال من تعلّم وعمل بعلمه أيضاً ؟ !
 وأمّا الأضرار المترتبة على الجهل بالتكاليف الشرعية والأحكام الإلهية فهي كثيرة نذكرها باختصار :
 أولاً : الوقوع في مآزق شرعية يصعب التخلص منها ، مثلاً

لو جهل الإنسان أنّ الإفطار المتعمّد لليوم الواحد يوجب قضاء ذلك اليوم، وكفّارته ستون يوماً من الصيام أو إطعام ستين مسكيناً أو كسوتهم، أو جهل أنّ الإفطار المتعمّد على المحرام كفّارته الجمع بين صيام ستين يوماً وإطعام ستين مسكيناً وكسوتهم، بالإضافة إلى قضاء ذلك اليوم، هذا كلّه لليوم الواحد، فإذا أمضى فترة من عمره على هذه الحال وقع في مآزق كبير قد يموت دون أن يوفّق لقضاء ما عليه من الصيام، وهذه المشكلة قد تجري وتحدث له في جميع الفرائض لجهله بالأحكام، وإذا به يجد نفسه في مآزق ولا ينتبه إلا بعد فترة طويلة من الجهالة والتخبط، مثلاً ينتبه بعد بلوغه الأربعين أو الخمسين أو أكثر بأنّه كان يغتسل خطئاً، أو يتوضأ خطئاً، أو يصليّ خطئاً، أو حجّه كان باطلاً، أو جميع أعماله كانت باطلة وعليه إعادتها جميعاً، أو أنّ كسبه كان حراماً، وفي ذمته أموال لعشرات بل مئات من الناس، وقد لا يعرف بعضهم، أو لا اتّصال بينه وبينهم، ولا يعرف لهم أثراً، وما شابه ذلك من حقوق الله تبارك وتعالى، أو حقوق الناس ممّا يصعب بل قد يستحيل أداؤها.

ثانياً: إيقاع الآخرين في المآزق الصعبة والمشكلات المعقّدة،

مثلاً لو جهل الإنسان - لاسيّاً المرأة - أحكام الرضاعة فإنّه سيقع في مشاكل ويوقع غيره في مشاكل ولو بعد ثلاثين أو أربعين سنة ، فيتزوَّج الرجل ابنة عمّه وإذا بها أخته في الرضاعة لا يجوز له نكاحها ، أو جهله بأحكام البيع أو القرض قد يوقعه في الكسب الحرام أو الربا الذي هو من أشدّ المحرّمات فيكون في صفّ المحاربين لله تعالى ؛ لأنّ القرآن يقول عن آكلي الربا: ﴿ فَأَذْنُوبًا مِّنَ اللَّهِ ﴾ (١) ، وتكون النتيجة أنّه يأكل الحرام ويطعم أولاده وأهله من المال الحرام ومن الربا فيؤثّر في تربيتهم ويحول دون هدايتهم ، وقد يصبحون من المحاربين للدين كما هو الحال في كثير من المسلمين المعادين للشرعية الغرّاء ، كما أنّ الجهل بالأحكام قد ينتج عنه إيقاع الآخرين في مشاكل كثيرة من حيث يريد أو لا يريد ، وقد يتسبّب في جلب المشقّة للغير كما لو مات على جهله بالأحكام الشرعيّة ، فيتحمّل وريثه الابن الأكبر تبعات قضاء واجباته التي تركها أو كانت باطلة في حياته ، وهكذا الوفاء بما في ذمّته من الحقوق الماليّة والمظالم .

(١) سورة البقرة: ٢٧٩ .

ثالثاً: الإضرار بالنفس والغير، مثلاً لو جهل بحرمة النكاح والمواقعة في الحيض، فأتى زوجته فيها، قد يؤدي ذلك إلى انعقاد نطفة في الحيض، فيكون الولد ظالماً قاسياً مريقاً للدماء، ولو جهل حكم الزنا فقد يؤخذ وتثبت في حقه فيستحق الحدّ، وهو إضرار بالنفس، وقد تتعقد منها نطفة فهو إضرار بمولود يولد من الزنا؛ لأنّه يُحرم من الإرث في الدنيا ويعيش في عقدة اجتماعية لشذوذه الفطري والخلقي بين الناس، هذا بالإضافة إلى حرمانه من الإيمان والهداية، بل من المعاصي ما يضرّ بالطبيعة والحياة كالزنا فإنّها آثاراً سلبية حتّى على الطبيعة، فهي ظلم كبير لأنها إضرار بالنفس وبالغير حتّى بالطبيعة والمجتمع وخرق للقوانين الطبيعية والأنظمة الاجتماعية والحقوق العامّة والمخصّصة، وهذا معنى قولهم ﷺ: «لا يزني الزاني وهو مؤمن»^(١)، ومعنى قوله ﷺ: «أنّ العرش يهتزّ بفعل الزاني»، ومن هنا تتضح أهمّية معرفة الأحكام الشرعية.

رابعاً: الإنحراف والضلال، روى بشير الدهان، قال: قال

(١) بحار الأنوار ٦٦: ١٤١.

أبو عبدالله عليه السلام: « لا خَيْرَ فيمن لا يتفَقَّهُ من أصحابنا . يا بشير ،
إنَّ الرجلَ منكم إذا لم يَسْتَفِنِ بفقهِه احتاج إليهم ، فإذا احتاج إليهم
أدخَلُوهُ في باب ضلالتهم وهو لا يعلم »^(١) .

قال علي عليه السلام: « علِّموا صبيانكم ما ينفعهم الله به لا يغلبُ عليهمُ
المرجئةُ برأيها »^(٢) .

قال أبو عبدالله عليه السلام: « العاملُ على غيرِ بصيرةٍ كالسائر على غير
الطريق ، ولا يزيده سرعة السير من الطريق إلا بُعداً »^(٣) .

والحمد لله رب العالمين

(١) بحار الأنوار ١ : ٢٢٠ .

(٢) بحار الأنوار ٢ : ١٧ .

(٣) بحار الأنوار ١ : ٢٠٦ .

الدّرس الرّابع عشر

معرفة التكاليف - ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خامساً: غضب الشارع المقدّس على من يعزف عن التعلّم ،
ففي الحديث الشريف قال رسول الله ﷺ: «أَفَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ
لَا يَجْعَلُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا يَتَفَقَّهُ فِيهِ أَمْرَ دِينِهِ وَيَسْأَلُ عَن دِينِهِ» (١).
سادساً: استحقاق العقاب الديني لمن لا يتعلّم أحكام دينه ،
ففي الخبر.

قال أبو عبدالله وأبو جعفر عليهما السلام: «لو أُتيتُ بشابًّا من شباب
الشيعة لا يتفقّه لأدبته» (٢).

سابعاً: بطلان الأعمال في كثير من الحالات بل في أكثرها ،

(١) بحار الأنوار ١: ١٧٦.

(٢) المصدر المتقدم: ٢١٤.

بيان ذلك: أنّ الجاهل بالأحكام إن كان مقصراً غافلاً غير ملتفت فأعماله صحيحة بشرطين:

١- إذا كانت مطابقة للواقع، أو كانت مطابقة لفتوى المجتهد الجامع للشرائط الذي يجب تقليده.

٢- إذا كان يصحّ منه قصد القربة مع الغفلة، في الأعمال العباديّة التي يشترط في صحّتها قصد القربة.
وإن كان مقصراً ملتفتاً فإنه يتصوّر بوجهين:

١- فإمّا أن تكون أعماله مخالفةً للواقع فهي باطلة إلا في موردین فإنّها تصحّ على فتوى أغلب الفقهاء:

الأول: في الجهر والإخفات كأن يكون قد صلى الظهرين مثلاً جهراً، أو يكون قد صلى الصبح أو المغربين مثلاً إخفاتاً، فإنّها صحيحة في صورة الجهل بالحكم، لكن إذا كان متمكناً من الإتيان بها بقصد القربة.

الثاني: إذا كان جاهلاً بوجود القصر مثلاً في السفر، فصلّى تماماً، أو كان جاهلاً ببطلان الصوم في السفر، فصام، فإنّ صلاته تماماً في مورد القصر أو الصوم في السفر مثلاً صحيحان مع الجهل بالحكم، ولا إعادة عليه في الوقت أو القضاء خارجه.

نعم لو كان عالماً بالحكم فنسي وصلى تماماً أو صام في السفر فإنَّ صلاته وصيامه باطلان ، يجب إعادة الصلاة في الوقت قصراً وقضاء الصلاة والصوم خارج الوقت .

٢- الوجه الثاني لصحة عمل الجاهل المقصر الملتفت أن تكون أعماله مطابقة للواقع ، وهو على قسمين أيضاً :

الأول: أن لا يكون العمل عبادياً أي كونه غير مشروط بقصد القربة كالمعاملات والتوصلات مثل البيع والشراء والتطهير وما أشبه فهو صحيح .

الثاني: أن يكون عملاً عبادياً ، كالصلاة والصيام والحج وما أشبه ذلك ، فإن لم يكن قد قصد القربة فعمله باطل ، وإن كان قاصداً للقربة ، فإن بعض الفقهاء ذهبوا إلى بطلانه أيضاً ، وبعضهم ذهب إلى التفصيل ، أي قال لو كان قد أتى بعمله بقصد إدراك الواقع ورجاء مطابقة الواقع وتبيين فيما بعد موافقته للواقع أو لفتوى المرجع الجامع للشرائط الذي يجب عليه تقليده أو كان يجب عليه تقليده فهو صحيح ، وإلا لو كان عمله خالياً عن قصد إدراك الواقع ورجاء المطابقة

فإنه باطل فاسد^(١).

والحاصل أنه بناءً على ما تقدّم تكون كثير من أعماله فاسدة
لاسيما العبادية منها.

وأما الجاهل القاصر فحكه - أي حكم أعماله - كالجاهل
المقصر الغافل - غير الملتفت -، وقد يتناه مفضلاً.

س: ما هو ملاك الجاهل المقصر، وما الفرق بينه وبين الجاهل
القاصر؟

ج: الملاك هو الالتفات واحتمال البطلان أو الشك في صحّة
العمل وعدم صحّته، بمعنى أنه لو احتتمل بطلان عمل خاصّ
- بعينه - وشكّ في صحّته، ولم يسأل أو يتفحص رغم تمكّنه من
السؤال فهو جاهل مقصر، ولا يكون معذوراً حينئذٍ، وأمّا إذا
لم يكن ملتفتاً ولم يتوجّه إلى جهله ولم يحتمل البطلان، فهو جاهل
قاصر، ويكون معذوراً.

(١) العروة الوثقى، ج ١، في التقليد، مسألة ١٦، وفي أحكام القراءة، مسألة
٢٢، وفي أحكام المسافر، مسألة ٣ و ٤ و ٥، مدارك العروة ١: ١٢١،
أجوبة الاستفتاءات ١: ٧، س ٦، مع تصرّف وتوضيح وتعبير من
المؤلف.

ثامناً: المحاسبة يوم القيامة .

عن مَسْعَدَةَ بنِ زيَادٍ، قال: سمعتُ جعفرَ بنَ محمدٍ رضي الله عنه، وقد سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ قَلِيلٌ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ ^(١)، فقال: «إنَّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي كنتَ عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا عَلِمْتَ بما عَلِمْتَ؟ وإن قال: كنتُ جاهلاً، قال: أفلا تَعَلَّمْتَ حتَّى تعمل؟ فيخصمه، فتلك الحجة البالغة» ^(٢).

تاسعاً: استحقاق العذاب الأخروي.

عن أبي عبد الله رضي الله عنه أنه قال: «لستُ أُحِبُّ أن أرى الشابَّ منكم إلّا عادياً في حالين: إمّا عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فَرَطَ، فإن فَرَطَ ضَيَّعَ، فإن ضَيَّعَ أُنِمْ، وإن أُنِمْ سكن النار، والذي بعثَ محمداً بالحقِّ» ^(٣).

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الأنعام: ١٤٩.

(٢) تفسير الميزان: ٧: ٣٩٣.

(٣) بحار الأنوار: ١: ١٧٦.

الدّرس الخامس عشر

شرائط التكليف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التكاليف الإلهية - كما ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه السلسلة - مبنية على المصالح والمفاسد التي قد يشير الشارع المقدّس إلى بعضها ، وقد يدرك العقل أيضاً لوحده بعضها لكن ليس من الضرورة أن يدرك كنه ذاتها وحقيقتها ؛ لأنّ التكاليف في الحقيقة مبنية على التعبّد المحض للشارع المقدّس ، أي عبوديّة خالصة من العبد ، وتعبّد محض منه لمخالقه الحكيم ، وفي العبودية والتعبّد تكمن أسرار عظيمة ، بل هما السرّ الأعظم من التكاليف السماوية ؛ لأنّ الشارع الحكيم في كثير من أوامره ونواهيه يلاحظ مدى امتثال العبد ومستوى طاعته واستعداده للرضوخ أمام أوامره ونواهيه ، وبمقدار ما له من الاستعداد للطاعة والامتثال

يظهر إيمانه وتظهر منزلته عند الله تبارك وتعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١)، وأعظم المصالح تكمن في هذه
العبودية وهذا التعبّد، ﴿ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^(٢)،
فأصل التكليف مبني على اختبار العبد لمعرفة مستوى عبوديته
لمولاه الحكيم، وبهذا يميّز الخبيث من الطيّب، وإن كانت هناك
مصالح أخرى للعبد قد لاحظها وراعاها الشارع المقدّس.

س: ما هي شرائط التكليف؟ وبعبارة أخرى: ما هي الشرائط
التي يجب توفرها في العبد - الإنسان - حتى يصير مكلفاً؟
ج: أولاً: البلوغ الشرعي، وهو البلوغ الذي له علامات
خاصة، وقد عدّه الشارع المقدّس أوّل شرط لتوجّه التكليف
الإلهية إلى العبد، ويكون أوّل شرائط صيرورته مكلفاً.

س: ما هي علامات تحقّق البلوغ الشرعي؟
ج: يتحقّق البلوغ في الذكر بإحدى العلامات الثلاث:
الأولى: إنبات الشعر الخشن في العانة - القسم الأسفل من البطن،
وعلى أطراف الجهاز التناسلي -، وقيل: تحت الإبطين أيضاً يكفي.

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة هود: ٧.

شروط التكليف

الثانية: خروج المني من الذكر، سواء في النوم أو اليقظة.
الثالثة: إتمام خمس عشرة سنة هجرية قريية.
وأما الإناث فيتحقق فيهنّ البلوغ بإحدى العلامت الثلاث
التالية:

الأولى: إنبات الشعر الخشن على العانة كالذكور.

الثانية: خروج المني كالذكور أيضاً.

الثالثة: إكمال تسع سنوات هجرية قريية.

ومعنى ذلك أنه لو ظهرت إحدى العلامتين قبل العلامة الثالثة، سواء في الذكور أو الإناث، فقد تحقّق البلوغ ودخل سنّ التكليف وتجب عليه كافة التكاليف. نعم، التكاليف المشروطة بشروط خاصة كالحجّ المشروط بالاستطاعة فإنها لا تجب إلا بعد تحقّق تلك الشروط الخاصة أيضاً، وعليه فالذكور قد يبلغ بعضهم قبل إكمال خمس عشرة سنة قريية، كما قد يبلغ بعض الإناث قبل إكمال تسع سنوات قريية، فإذا لم تظهر إحدى العلامتين الأوليين يكون البلوغ بالعلامة الثالثة ويتحقّق بها التكليف، ولهذا فسّنّ التكليف لا يتجاوز عند الذكور -الصبيان- الخامسة عشرة، وسنّ التكليف لدى الإناث -الفتيات- لا يتجاوز التاسعة.

س: هناك بعض الأولاد ممن تظهر عندهم إحدى هذه العلامات لكنهم لضعف بناهم الجسدية يعجزون عن القيام بالتكاليف الموجهة إليهم كالصلاة والصيام ، لا سيما شيوعه في أوساط الإناث ، فما هو الحل ؟

ج: أولاً: الشارع المقدس حكيم لطيف بعباده لا يكلفهم بما لا يطيقون ؛ إذ الصلاة والصيام مثلاً مما يحتاجان إلى بعض التمرين ، ولهذا أمر الشارع المقدس باستحباب أن يُعوّد الوالدان أولادهما على الصلاة والصيام بالتمرين والممارسة المحفوفتين بالتشجيع منذ السابعة للذكور وأن يفرض ذلك عليهما ولو بالضرب والتخويف والعقوبة المناسبة لحال الصبيان -أو الصبي- ، وهي العقوبة التأديبية فحسب ، إذا بلغوا العاشرة من العمر ، وأمر باستحباب ذلك للبنات أيضاً منذ السابعة ، وهذه العملية كفيلة بتحصيل الاستعداد وتحقيقه لديهم لامتنال التكاليف الشرعية منذ الوهلة الأولى من البلوغ .

ثانياً: يمكن في بعض التكاليف كالصيام مثلاً أن يتمسكوا بالرخص الشرعية في التهرب من الصيام -مثلاً- ، إن كان شاقاً على الأولاد ، كأن يبعثوهم إلى السفر فيصدق عليهم عنوان

شروط التكليف

المسافر، وحينئذٍ يسقط عنهم التكليف بالصيام، لكن يحرصون على قضاء تلك الأيام خلال عامهم إن أمكن، سيما إذا كان ذلك في فترة الشتاء وعلى نحو متقطع.

والحمد لله رب العالمين

الدّرس السّادس عشر

المكلّف وبقية شرائط التكليف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثانياً - العقل، ثاني شرائط التكليف: العقل، أي لزوم كون الإنسان عاقلاً، وإلا فلا تكليف على المجنون الدائم المجنون، ولا يعدّ مكلّفاً، لأنّ العقل هو الجوهرة التي بها يستحقّ الإنسان التكريم الإلهي بالتكليف، وعليها تتوقّف حقيقة العبوديّة. ولهذا قيل: «أخذ ما وهب، سقط ما وجب».

س: هناك البعض ممن يطرؤ عليه الجنون أحياناً، ويسمّى جنوناً أدوارياً، أو لا يكون مجنوناً وإنّما في عقله شيء من القصور، أي نقص في عقله، ويسمّى ناقص العقل، فما هو تكليفهم؟

ج: أمّا المجنون الأدواري فحكمه أنّه في غير حال الجنون

- أي عند تعقله - حاله حال سائر المكلفين ، وأما في حال طرؤ الجنون عليه فإنما يتصوّر بوجهين : الأوّل - أن يكون جنونه الطارئ يحدث له من أوّل وقت التكليف بالواجب إلى آخر وقته ، كأن يحدث له الجنون من قبل دخول وقت صلاة الظهرين إلى دخول الليل ، فإنّ صلاة الظهرين تسقطان عنه ، أو من أوّل شهر رمضان إلى آخره ، فإنّ صيام الشهر يسقط عنه ، أو من قبل طلوع الفجر الصادق حتّى دخول الليل ، فإنّ صوم ذلك اليوم يسقط عنه ، أو من الوقت بحيث يستوعب الفترة التي يمكن بها إدراك ولو أقلّ الواجب أو الوقت الاضطراري للواجب ، كما لو طرأ عليه الجنون من التاسع من ذي الحجّة بحيث لم يقدر على الوقوف الاضطراري بالمسعر الحرام ، وفاته إدراك هذا الوقوف ، فإنّ الواجب يسقط عنه . نعم ، في هذه الصورة الأخيرة يحتاج إلى استطاعة أخرى ليتوجّه إليه التكليف بالحجّ ، وقس على هذه الصور مشابهاها ، وفي جميع هذه الصور لا يجب عليه القضاء أصلاً .

الثاني : أن لا يكون جنونه مستوعباً للوقت كلّه ، بل وقع في جزء من الوقت ، كأن يحدث بعد زوال الشمس مثلاً بمقدار إتيان

ولو ركعة واحدة واستمرّ جنونه إلى المغرب ، فإنّ قضاء صلاة الظهر يجب عليه ، أو أفاق من جنونه قبل خروج الوقت بمقدار ركعة واحدة من آخر الوقت ، فإنّ صلاة العصر تجب عليه . ولو قضاءً ، أو أنّه أدرك دخول الفجر الصادق من يوم شهر رمضان ، ثمّ طرأ عليه الجنون إلى الليل ، فإنّه يكون مكلفاً بصوم ذلك اليوم ولو قضاءً فيما بعد ، أو أفاق قبل دخول الليل وجب عليه الإمساك إن لم يأت بمفطر في ذلك اليوم ، وينوي الصيام ، وهو لا يجزيه فيجب عليه القضاء ، وأمّا إذا أفاق قبل الظهر ولم يأت بمفطر قبله نوى وصحّ صومه وأجزأه ذلك ، أو أنّه استفاق قبل انتهاء الوقوف الاضطراري بالمشعر الحرام بحيث أمكنه إدراك ذلك الوقوف ، وجب عليه الحجّ وصحّ منه ويعمل بوظيفته المبيّنة في كتاب الحجّ ، وأجزأه ذلك الحجّ ، وإذا قصر لم يسقط عنه وجوب الحجّ ، بل تعلق في ذمّته ووجب عليه في العام القادم بأيّ وجه كان من غير حاجة إلى استطاعة جديدة ، وحكم المغمى عليه حكم المجنون الأدواري على نحو ما تقدّم .

وأما ناقص العقل أو ضعيفه إذا كان بحيث يدرك معنى التكليف ، ومعنى الحلال والحرام ، ويميّزها ، فحكمه أن يتمّ تعليمه

ويؤمر بها أو يُنهى عن المحرّمات ، وتجب عليه تلك التكاليف
وتصحّ منه بالوجه الذي يطبق ، ويسعه الإتيان به .

ثالثاً: القدرة ، وهي شرط في التكاليف المشروطة بالقدرة .
كالحجّ والصوم والجهاد وغيرها ، وهي ما عدا الصلاة ، فإنّها
غير مشروطة بها ؛ لأنّها مشروطة بالبلوغ والعقل لا غير .

ملاحظة: حقوق الناس مضمونة لا تسقط بالصغر أو الجنون
أو سلب الاختيار ، فلو سرق الطفل أو المجنون أو المكرّه ، أو أتلف
شيئاً لأحد ، فالضمان على وليّه إن كان طفلاً أو مجنوناً إن علم
الوليّ ، فإن جهل الولي أو علم ولم يضمن - أي لم يؤدّ الحقّ -
في حينه ، بقي الضمان ، فإذا كبر الطفل وجب عليه الضمان .
وإذا استفاق المجنون وجب عليه أيضاً ، وإلا بقي على وليّه ، وينتقل
من وليّ إلى آخر حتّى يدفعه أحدهم ، وأمّا المكرّه فإنّه يضمن
بمجرّد ارتفاع الإكراه عنه وعودة الاختيار إليه ، ولعلّ الضمان على
المكرّه فحسب .

س: ما هي أنواع التكليف ؟

ج: التكاليف على ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: التكاليف الاعتقادية - أصول الدين - وقد أفردنا

المكلف وبقيّة شرائط التكليف

للبحث عنها الحلقة الأولى من هذه السلسلة .
النوع الثاني: التكاليف العمليّة - وهي الأحكام والفروع - .
وهي مورد بحثنا هنا وفي بعض الحلقات القادمة إن شاء الله تعالى .
النوع الثالث: الكمالات المعنوية من الأخلاق والفضائل
الخلقية ، والسجايا النفسانية ، وستأتي في الحلقة الأخيرة إن شاء
الله تعالى .

والحمد لله ربّ العالمين

الدرس السابع عشر التكاليف والمكلفون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: من هم المكلفون؟ وهل تتوجه التكاليف العملية الإلهية إلى غير المسلمين؟ أم أنها مختصة بهم؟ وعلى فرض عدم الاختصاص بالمسلمين فهل تصح أو تقبل منهم؟ ولماذا؟

ج: الظاهر من الأدلة توجه التكاليف إلى الجن والإنس ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وعدم اختصاصها بالمسلمين منهم أيضاً، وهذا مذهب المشهور من فقهاءنا العظام وعلمائنا الأعلام ومختارهم، لكنها لا تصح من غير المسلمين؛ لأن من شرائط الصحة - أي صحة الأعمال العبادية -

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

هو الإسلام والإيمان ، وقصد القربة ، وقصد القربة لا يتمشى مع الشرك ، ولا يتأتى من غير المسلم ، وأما القبول فهو متوقّف على صحّة العمل أولاً ، وعلى التقوى ثانياً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ^(٢) ، والتقوى هو الإسلام والإيمان .

س : ما هي التكاليف العمليّة - فروع الدين - في الإسلام ؟

ج : هي كثيرة ، أهمّها وأصولها عشرة :

١ - الصلاة ، وهي العبادة الواجبة في كلّ زمان ومكان على البالغ العاقل ، وفي جميع الظروف ، لا تسقط عنه في حال من الأحوال ؛ لأنّها ارتباط دائم وتعلّق مستمرّ للعبد بمولاه الخالق الكريم والربّ الرحيم ، وهي حاجة دائمة للإنسان في حركته الفرديّة والاجتماعية نحو الغنيّ القويّ المطلق بالذات ، من الفقير الضعيف المقيّد بالذات .

٢ - الصوم ؛ إذ سعادة الإنسان وفوزه في الدارين رهينة تقواه ، والصوم تمرين وممارسة لاكتساب التقوى ، بل هو التقوى بعينه ،

(١) سورة المائدة : ٢٧ .

(٢) سورة آل عمران : ٨٥ .

لكنّه تمرين لجعله ملكة راسخة في نفس صاحبه ، ولهذا قال تعالى في الحديث القدسي : « الصوم لي وأنا أجزي به »^(١) أو « عليه » . أي جزاء الصائم عندي ، والصحيح أن يُقرأ « الصوم لي وأنا أجزي به »^(٢) ، أو « عليه » ، أي جزاء الصوم لذة معرفة الله ومحبة الله ورضى الله والتودّد إلى الله ، والتقرب من الله ، والتوكّل على الله ، والاستعانة بالله ، والرضا بقضاء الله وقدره ، والإخلاص لله ، وتوحيد الله ، والاستغناء بالله ، واللجوء إلى الله ، والاستعاذة بالله ، وأن لا يرجون سوى الله تبارك وتعالى ، ليشعر بحقيقة قوله تعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٣) ويدركها بكلّ وجوده ؛ لأنّه رياضة روحانية وجهاد نفساني - جهاد أكبر - يقوّي الإرادة ويزيد في القدرة على مخالفة الشيطان ومقارعة الأهواء النفسانيّة ، وطاعة الرحمن جلّت قدرته ، هذا في الجانب الفردي ، وأمّا في الجانب الاجتماعي فهو ينظّم الحياة الاجتماعية ، ويحسن حركة المجتمع ، ويلين النفوس

(١) وسائل الشيعة ١٠ : ٤٠٠ . الكافي ٤ : ٦٣ . من لا يحضره الفقيه ٢ : ٧٥ .

(٢) مشرق الشمسيين - البهائي : ٣٦٩ . الحدائق ١٣ : ٨ . الرياض ١ : ٣٢٥ .

(٣) سورة الحديد : ٣ .

ويهدّباها كي تستعدّ لتلقّي الأحكام الإلهيّة ، واجتناب المعصية ، وعدم الخروج أو التحايل على القانون ، ويدفعها إلى الرأفة والرحمة وصلة الأرحام وإعانة الفقراء والمساكين والرأفة بالمحتاجين وقضاء حوائجهم وعمل الخير ، وقلة الجرائم ، لتسود المجتمع روح التعاون والاخوة والاحساس بالمسؤولية ونبذ الشرّ ، وبذلك تتحقّق المدنيّة الإسلاميّة ، على طريق المجتمع المثالي والمدينة الفاضلة .

٣ و ٤ - الخمس والزكاة ، وهما عبارة عن إخراج سهم معيّن على ما سنّيته في محلّه إن شاء الله تعالى ، قسم منه سهم الإمام عليه السلام ليقوم بأعباء الإمامة وتبليغ الرسالة ، وقسم منه سهم السادة من بني هاشم إكراماً لهم من الله تبارك وتعالى ، وقسم منه يدفعه إلى الإمام عليه السلام أو نائبه ليصرفه في وجوهه ومصارفه التي ستأتي إن شاء الله تعالى ، من رفع حوائج المساكين والفقراء وذوي الحاجة في المجتمع الإسلامي ، ونشر الإسلام وإحياء تراثه ، وسدّ حوائج بيت المال ، والقيام بشؤون الدولة الإسلاميّة ، والذبّ عن بيضة الإسلام ، والتصديّ لأعدائه .

٥ - الحجّ ، هو الاجتماع الشعبي والتجمّع الجماهيري العظيم

الذي يُمثّل تظاهرة إسلاميّة وملتقى المسلمين في كلّ عام صفّاً واحداً يتعارفون خلاله ويمارسون أسلوب التعايش السلمي رغم ما بينهم من بُعد المسافة المكانيّة واختلاف في الآراء والأفكار وحتى المذاهب وبعض المعتقدات، تجمعهم وحدة المعبود، وحدة البيت الذي يطوفون حوله، ووحدة النبي ﷺ، ووحدة الغاية والمصير. عبادة تجمع مجمل العبادات، وتتألف من جملة منها، فيها الصلاة. وفيها الغُسل، وفيها الوضوء، وفيها الإمساك، وفيها الصدقة. وفيها الجهاد الأكبر، وفيها صور من الجهاد الأصغر، وفيها صور ومشاهد من يوم القيامة والحشر والنشر، حيث يخرج الحجاج وما عليهم من الثياب والستر إلاّ الأكفان البيضاء، في الحجّ منافع دنيويّة للمسلمين ومنافع أخروية وترويض نفس وتزكية. وعزوف عن الدُّنيا وزينتها، وإعراض عن الأهل والأولاد. وخروج من الديار والأوطان، توكلّ على الله تعالى، وانقطاع تامّ إليه، وهو سفر ورحلة من الخلق إلى الخالق، ومن عالم الكثرات الماديّة إلى عالم الوحدة والبساطة الحقيقيّة، وحركة تكاملية نحو الكمال المطلق بالعبوديّة المطلقة وحقيقة العبوديّة. والحاصل أنّه عبارة عن تطبيق عملي للدروس النظرية التي نادى

بها ودعا إليها الإسلام ونطقت به الشريعة المحمدية السمحاء ؛ لأنه ملتق خير زمانٍ في أفضل مكان لتجلي أصول الدين ، وفروعه ومكارم الأخلاق ومحاسنه والآداب الإسلامية ، وامتزاج بعضها ببعض .

٦ - الجهاد ، وهو أعمّ من الدفاع والتصديّ ، والهجوم والقتال ضدّ الكفّار ومن حذى حذوهم وسار في ركبهم : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، والفتنة هي الكفر ، والدفاع أو القتال - الهجوم - كلّ واحد منهما قد يكون حرباً حارّة أي قتالاً بالأجساد وحرباً أو دفاعاً بالأسلحة المادّية ، وقد تكون حرباً باردة - كما يطلق عليها اليوم - ، أي بوسائل الإعلام من الأسلحة العقليّة والبراهين ، وبالقلم واللسان والجدال والتي هي أحسن وبالمحوار ومقارعة الحجّة بالحجّة ودحض الحجج الباطلة ، فالجهاد إمّا بالأبدان والأرواح والأسلحة المادّية ، أو بالعلم والقلم والبيان والإعلام والأسلحة المعنوية ، والنوعان مطلوبان بالوجوب كفايةً ، والإسلام كسائر الأديان والشرائع السماوية

(١) سورة البقرة: ١٩٣ .

لا يخبذ النوع الأوّل من الجهاد ولا يبادر إليه إلا إذا اضطرّ إلى ذلك ولم يبق سبيل للهداية أو دفع شرّ العدوّ سواء ، وهو حينئذٍ لا يلجأ إلى الحرب والقتال إلا مع المعاند الذي نصب العداء رغم إتمام الحجّة والبرهان عليه ، ولا يرضخ للحقّ ، أو يحول دون بلوغ الحقّ إلى الناس ؛ إذ الإسلام دين العقل والفطرة يبتني على الفضيلة . ويهدف إلى تطهير الأرض من الجاهلية والشرك والظلم والردّيلة بجميع ألوانها وأشكالها ، وما كانت هذه غايته لا يحتاج إلى القتل والقتال ، بل يهدف إلى قطع دابر هذه الحروب ، بالإضافة إلى كونه غنياً بالحجج والبراهين والأدلة العقليّة الكفيلة بترسيخ دعائه وإقناع الخصوم والمخالفين ، وحينئذٍ لا يبقى مع المعاند المحارب المكابر سوى استعمال القوّة الماديّة التي لا تنفع مع أهل المادّة سواها على طريقة المقولة الشهيرة: «آخر العلاج الكيّ» ، وكلّ من ادّعى خلاف ذلك فهو إمّا جاهل غافل فيجب تعليمه وتوضيح الحقيقة له ، وإمّا معاند فليلقم حجراً وليُحْتَى في وجهه التراب .

والحمد لله ربّ العالمين

الدّرس الثامن عشر

أقسام التكليف وأحكام المكلفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: جاء في الدرس السابق عن الجهاد أنّ الإسلام لا ينتشر ولا يُبلّغ إلاّ بالعلم والبرهان ، وإنّما يلجأ إلى استعمال القوّة دفعاً لأخطار الأعداء وتصدياً لمحاولاتهم في النيل من الدين وأهله . أو لرفع الموانع التي يكيدها ويخلقها المعاندون في طريقه بعد إتمام الحجّة عليهم ، لكن الإشكال الذي يرد هنا ، أنّنا نجد كتب التاريخ والمعقيدة مليئة بما يفيد أنّ الإسلام قد انتشر بغير ذلك ، وأنّ كثيراً من المعارك والحروب والفتوحات الإسلاميّة التي انتشر بها الإسلام لم يسبقها التبليغ الكامل وإتمام الحجّة ، بل جاء بعضها من دوافع عدائيّة وانتقامات عرقيّة أو عنصريّة أو دينيّة أو طائفية أو منطلقات سياسيّة وحزبيّة وحتى شخصيّة .

أضف إلى ذلك الخبر المتواتر المروي عن رسول الله ﷺ: « ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة، وسيف علي بن أبي طالب »^(١) وهو نص صريح يخالف مزاعمكم، فما الجواب؟
ج: أولاً: قلنا هذا شأن الإسلام، ولا يصحّ تحميل الإسلام أخطاء بعض المسلمين أو المنتسبين إليه.

ثانياً: كلُّ ما وقع من الأخطاء وانتهى باسم الإسلام بل انعكست سلبياته على الإسلام والمسلمين لم تخلُ من إحدى هذه الأسباب والعوامل:

١ - عدم مراعاتهم لأوامر المعصوم في فترة حكومتهم - عن عمد أو سهو - وهم الرسول الأكرم ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والإمام الحسن المجتبي عليه السلام، حيث لم يتصدَّ للحكومة معصوم سواهم.

٢ - عدم مراعاة الشؤون الإسلاميّة والأحكام الشرعيّة من الأوامر والنواهي، إمّا جهلاً من الخلفاء والقادة والمسلمين بها، أو تعمداً منهم في مخالفتها.

(١) شجرة طوبى ٢: ٢٣٣. تنقيح المقال ٣: ٧٧، وقد ادّعى المرحوم المامقاني التواتر فيه.

٣- غضب الخلافة وسلبها من أهلها ، أعني سلب الخلافة من أهل بيت العصمة والطهارة ، وتصدي من ليس بأهل للخلافة ؛ لضعف إيمانه وعقيدته ، ولجهله بالأحكام والقوانين الإسلامية ، ولوهنه في القيام بأعباء الخلافة وإدارة الدولة الإسلامية ، وضعفه في تطبيق الشؤون والقوانين الإسلامية ، إذ فاقد الشيء لا يعطيه .

ثالثاً: لانقبل هذه الدعاوى على إطلاقها وسعتها ؛ لأنها من مزاعم الأعداء وقام بتحويلها وتعظيمها المستشرقون في كتبهم ، وإن كنا نذعن بوقوعها ولاننكر أيضاً كثرتها وسوء دواعيها وفساد دوافعها وعواملها ولاقبحها ؛ لأنها أضرت كثيراً بالدعوة الإسلامية ، وصارت مادة لطعنات أعداء الإسلام ، وسبباً في تأخر المسلمين .

وأما الخبر المروي عن رسول الله ﷺ فإنه إخبار عما وقع ، وعن الحقيقة ، لا إنشاء عما يجب أن يكون . وبعبارة أوضح: أما مال خديجة فإنها قدّمت في هذا الحديث لأنها تقدّمت في الزمان ، حيث أنّ النبي الأكرم ﷺ لم يترك طريقة ولا أسلوباً للهداية إلا مارسها وعمل بها في مكة المكرمة لتبليغ الرسالة ونشر الدعوة الإسلامية متحملاً في سبيل ذلك أشدّ العذاب وأقساه من

المشركين ، ولم يألُ جهداً في سبيل الهداية بالطرق العقليّة والبرهانيّة والاستدلاليّة والوعظ والإرشاد ثمّ تجاوز ذلك حتّى توَسَّل بالمعجزة وأكثر من الإتيان بها طيلة ثلاث عشرة سنة ، ولم يغيّر مسلكه في ذلك قيد شعرة ، ولا عدل عن طريقته تلك قيد أنملة بعدما انتقل إلى المدينة المنوّرة وهاجر إليها واستقرّ فيها ، وحتّى بعد أن فتح الله له وعليه وأقام أوّل دولة إسلاميّة نموذجيّة ، وأوّل حكم عادل مثالي وخضعت له الرقاب ، وذلت له الأعناق ؛ إذ كانت سيرته العمليّة والنظريّة هي الدعوة والنصح والموعظة والإرشاد والمجدال بالتي هي أحسن ، وإقامة الحجج والبراهين ، والاحتجاج بالمعاجز والكرامات ، من غير التجاء إلى قوّة اليد وضربة السيف ، بل ازداد تواضعاً ورأفةً ورحمةً وشفقةً كلّما ازداد قوّة وصوله وحكماً وسطةً ونفوذاً ، يكفيك ما صنعه ﷺ بمشركي قريش وصناديد الكفر عندما أظفره الله تعالى بهم في فتح مكّة وهي آخر عام من حياته. غير أنّ أهل العناد والتضليل والإلحاد أبوا إلّا أن يشهروا سيوف الشرك والإلحاد في وجه رسول الله ﷺ ، ويستجمعوا قواهم وجنودهم ، فيهبّون لحربه والنيل منه ومن الشريعة الغراء ، لكي يثدوا صوت الحقّ في مهده ، وينكسوا

أقسام التكليف وأحكام المكلفين

رايته قبل أن يرفرف على قم هذه المعمورة ، حتى تعود الجاهلية الجهلاء ، وترجع للشيطان الكثرة بعد الفرة ، وإذا كان في مكة حينذاك لم ينفع الدين شيء في ديموميته وبقائه كمال خديجة عليها السلام ، فإن ما فرضته الظروف بعد الهجرة وإقامة الدولة الإسلامية من إعلان المشركين الحرب على الإسلام والمسلمين ، ثم أهل الكتاب ومن جرى في فلکهم ، - هذه الظروف - فرضت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المواجهة الصارمة والردّ بالمثل ، وحينئذ لم ينفع الإسلام شيء في ديموميته بقاءه واستمراريته وحياته كسيف علي بن أبي طالب عليه السلام ، فالخبر المروي المذكور لا يعني سوى ما ذكرناه ، بل يؤكد ما أكدناه .

٧ و ٨ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما الساقان والقدمان اللذان يعتمد عليهما الدين ، لاشك أن القانون مهما كان عظيماً ومهما أوتي من دقة فإنه لا يكون ضامناً للسعادة إلا بعد التطبيق ، ثم إن مجرد التطبيق حدوداً وأنا لا يكفي ، بل لا بدّ لتحقيق السعادة الدائمة من ديمومة التطبيق ودوام العمل ، ودوام الحال محال إلا بديمومة التذكير والتذكُّر والمواجهة والتصدي ، وهي التي عبر عنها الإسلام بالأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، ذلك أنّ الإنسان طبع على النسيان واتباع الهوى والشهوات، وهي تصدّه عن العمل بالقانون، فلا جرم من ردعه ونهيه عن المنكر إن أتى به، أو أمره بالمعروف إن تركه وأعرض عنه، بالنصح والتذكير إن نفعاً، وبالتهديد والتخويف إن لم ينفعاً، وأخيراً بقوة القانون الذي خالفه واعتدى عليه، وإلاّ بقي القانون حبراً على ورق.

٩ و ١٠ - التوّلّي لأولياء الله تعالى، والتبرّي من أعدائهم، وهما الجناحان اللذان يطير بهما المؤمن؛ إذ المؤمن في عروج دائم، يهوى الصعود وال الطيران نحو الكمال، وكلّ ما يأتي به من فرائض أو نوافل إنّما يريد بها نيل العلى والمعالي، لكنّها جميعاً لا تفي إلاّ بوجود الجناحين وهما التوّلّي والتبرّي في الشريعة؛ إذ لا يقبل عمل إلاّ بهما، فلا عروج إلاّ بهما، ولهذا قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، وقدّم هنا التوّلّي لئلاّ يظنّ بعض السّدّاج من الناس أن لاداعي ولا حاجة إلى التبرّي، وإنّما المهمّ هو التوّلّي كما يزعم

(١) سورة الفتح: ٢٩.

أقسام التكليف وأحكام المكلفين

بعض المنتسبين إلى الطائفة الحقّة من المنقصة والعوام؛ إذ لا تتحقّق للنفس التحلية بالمحاسن والفضائل إلّا بعد تخلّيتها من المفسد والرذائل، ولا تتمّ التحلية إلّا بنبذ الرذائل والبراءة منها وإعلان الحرب عليها، والتولّي لأولياء الله تحلية للنفس متفرّع على التبرّي، أي التخلية، وهو لا ينافي قوله ﷺ: «وما نُودِيَ بشيءٍ كما نُودِيَ بالولاية»^(١).

والحمد لله ربّ العالمين

(١) مستدرک سفینه البحار ٥: ١١٣ و ٦: ١٦٤.

الدرس التاسع عشر

أقسام الأحكام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قسّموا الأحكام في تقسيمة كُليّة إلى قسمين:

الأول: الأحكام التكليفية - وهي الأحكام التي تبيّن وظيفة الإنسان وتكليفه بالنسبة إلى أعماله وأفعاله -، بيان ذلك: أن أفعال الإنسان لا بدّ أن تندرج تحت أحد الأحكام الخمسة، ولا بدّ أن تتّصف وتعنون بواحدٍ منها؛ لأنّها لا تخلو من كونها إمّا واجبة كالصلاة، أو محرّمة كالغيبة، أو مستحبّة كالوضوء قبل النوم، أو مكروهة كالقهقهة، أو مباحة كالأكل والشرب الاعتياديين.

وقد يعبر عن الحرمة بالحرمة التكليفية ويراد بها استحقاق العقاب الأخرى والديوي في بعض الصور كالسرقة والزنا وشرب الخمر، أو استحقاق العقاب الأخرى فقط مثل الكذب والغيبة.

الثاني: الأحكام الوضعية - وهي الأحكام التي تحدّد وضع الأشياء وكيفيّتها في ارتباطها بأعمال الإنسان وأفعاله ، مثل صحّة الصلاة ، وبطلان الصوم ، وطهارة ماء المطر ، ونجاسة البول وهكذا .

وقد يعبر عن الحرمة بالحرمة الوضعية ، ويراد بها الآثار الخارجية التي تترتب على الفعل ، مثل بطلان العمل ، فقولهم بيع حرام أي لا تترتب عليه آثار البيعة والملكية وهي تلك الثمن للبائع وتملك المثلث للمشتري ، وبطلان الصلاة الذي يعني عدم إجرائها وعدم سقوط التكليف بها ، بل وجوب إعادتها أو قضائها .

لِلوَأَجِبِ وَالْوَجُوبِ أَقْسَامُ :

الأول: الواجب أو الوجوب العيني ، وهو الذي يكون مطلوباً من جميع المكلفين ومن آحادهم بحيث لا يسقط عن البعض إذا أتى به البعض الآخر . وبعبارة أدقّ: فإنّ قيام جماعة من المكلفين بالواجب العيني لا يسقطه عن بقية المكلفين ، كالصلاة والصوم والحجّ .

الواجب أو الوجوب الكفائي ، وهو الواجب الذي يسقط

أقسام الأحكام

وجوبه عن سائر المسلمين بمجرد قيام من به الكفاية منهم ،
كالجهاد فإنه فَرَضُ كفايةٍ إذا قام به جماعة كافية بحيث يتحقق بهم
غرض الدفاع أو التبليغ فإنه يسقط عن الباقيين ، ومثل طلب العلم
فإنه فَرَضُ كفايةٍ على المسلمين .

الثاني : الواجب التعيني ، وهو الفعل الخاص المطلوب من
المكلفين بعينه ولا بدليل له يقوم مقامه وينوب منابه كفرضي
المغرب والعشاء .

الواجب التخيري ، وهو الفعل المطلوب لا على نحو التعيين
والتحديد والمحصر ، بل على نحو التخير بين فعلين أو أكثر .
فهو عبارة عن وجود فعلين أو أكثر قد خُيرَ المكلف بينهما أو بينها .
بحيث يختار واحداً منها وجوباً ويأتي به ، كما في التخير
بين صلاتي الجمعة والظهر يوم الجمعة - عند القائلين بالإجزاء
والتخير - ، وكالتخير بين عتق رقبة وإطعام ستين مسكيناً
وكسوتهم لمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً من غير عذر
شرعي .

يكون العثور على فتاوى الفقيه وأحكامه بإحدى الطرق الأربع :
١ - السماع من المجتهد .

- ٢- السماع من شخصين عادلين.
- ٣- السماع مَمَّن يوثق بصدق كلامه ، ولا يُظَنُّ خلافه ، أو كان مَمَّن يُطمئن إلى صدقه.
- ٤- الأخذ من رسالة المجتهد إن كان يطمئن إلى نسبتها إليه وصحة ما ورد فيها.

والحمد لله رب العالمين

الدّرس العشرون الاجتهاد والمجتهد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاجتهاد في اللغة هو بذل الجهد واستفراغ الوسع ، وفي اصطلاح الفقهاء هو استنباط الأحكام والمسائل الشرعيّة من مصادر التشريع الأربعة .

والمجتهد في الفقه عبارة عمّن له القدرة على استنباط الأحكام الشرعيّة من منابعها الأصيلة .

المجتهد إمّا مجتهد مطلق ، وهو الذي له القدرة على استنباط الأحكام في جميع أبواب الفقه من الطهارة - بل من التقليد - إلى الديات .

وإمّا مجتهد متجزّي ، وهو الذي تقتصر قدرته على الاستنباط في بعض أبواب الفقه لأكملها .

والمجتهد إمّا فعليّ الاجتهاد، أي له فتاوى واستنباطات عمليّة. أو مجتهد بالقوّة، وهو الذي يتمكّن من الاستنباط لكنّه لم يطبّق قدرته هذه فليست له فتاوى. ويعبّرون عنه بمن له ملكة الاستنباط لكن لم يعملها.

والمجتهد لا يجوز له أن يقلّد أحداً، أي لا يجوز له أن يعمل بفتوى غيره من المجتهدين، فيحرم عليه الرجوع إلى مجتهد آخر. مقدّمات الاجتهاد هي:

١ - العلوم العربيّة من الصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع واللغة.

٢ - المنطق: ويسمّى صناعة المنطق، وهو العلم الذي ينظّم حركة العقل والفكر؛ لأنّه فنّ ترتيب المقدّمات الصحيحة للتوصّل إلى النتيجة الصحيحة، وموضوعه المعرفّ والحجّة، وواضعه أرسطو طاليس، ولهذا سُمّي بالمنطق الأرسطوني.

٣ - أصول الفقه: وهو علم استنباط الأحكام الشرعيّة من أدلّتها التفصيليّة، وموضوعه الأحكام الخمسة.

٤ - الرجال: وهو علم معرفة أحوال الرواة، وفنّ بحث الأسانيد.

٥ - دراية الحديث: وهو علم معرفة معاني الأحاديث ومفاهيمها، وتشخيص الدلالات الصحيحة من السقيمة، والتعرّف على قصود المعصومين عليهم السلام.

٦ - علوم القرآن، كالنفسير، وشأن نزول الآيات، بالإضافة إلى مراعاة أمور أخرى دخيلة في الاستنباط وهي:

أ - معرفة المحاورات العرفية والمفاهيم اللغوية المتداولة لدى المخاطبين بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، أي في صدر الإسلام.

ب - معرفة أقوال وآراء المتقدمين والعلماء الماضين، لثلا يقع في محذور مخالفة الشهرة أو الإجماع، وإن كان البعض لا يرى أنّ في مخالفة الشهرة بأساً لكنّ البعض لا يخالف، ولكن بالنتيجة ليست الشهرة من الأدلة إلا إذا أفادت اطمئناناً شخصياً للفقهاء.

ج - مراجعة الفتاوى والروايات المعتمدة لدى أهل السنة، سيما في موارد تعارض الأخبار والأمارات.

د - السعي الحثيث والعمل الدؤوب للاستنباط واستخراج الأحكام، وتقوية القدرة على الاستنباط بالتمرين والممارسة، حتّى ينال ملكة الاجتهاد.

مصادر التشريع الإسلامي:

مصادر التشريع التي يعتمد عليها الفقيه لمعرفة الأحكام
واستنباطها أربعة:

الأول: الكتاب، وهو القرآن الكريم، كتاب الله الصامت الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^(١)، الذي قال عنه تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٢)، وهو النزول الدفعمي الجمعي الذي قال عنه تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٣)، وفي بعض الأحاديث أنّ النزول الجمعي كان في ليلة القدر إلى البيت المعمور، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ﴾^(٤) عن الإمامين الباقر والصادق عليها الصلاة والسلام أنّها قالوا: «وهي ليلة القدر، أنزل الله عزّ وجلّ القرآن فيها إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثمّ من البيت المعمور على رسول الله ﷺ في طول عشرين

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٣ و ١٩٤.

(٣) سورة القدر: ١.

(٤) سورة الدخان: ٣.

سنة»^(١)، ثم أنزله الله تعالى نزولاً تدريجياً على مدى ثلاثٍ وعشرين سنة متوالية متتالية.

وهو الكتاب المأمون الذي لم ولن تطاله يد التحريف ولا بالزيادة ولا النقصان، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، وهو الهادي المهدي، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، وفيه شفاء من كل داء لاسيما الأمراض النفسانية، قال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً﴾^(٥)، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾^(٦)، ولهذا أمرنا الله تعالى بتلاوته فقال: ﴿فَاقْرَأُوا

(١) بحار الأنوار ٩: ٢٣٧ و ٩٤: ١٢.

(٢) سورة الحجر: ٩.

(٣) سورة الإسراء: ٩.

(٤) البقرة: ١ و ٢.

(٥) سورة الإسراء: ٨٢.

(٦) سورة يونس: ٥٧.

مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ ﴿١﴾ ، بل أمرنا أن نقرأه حق تلاوته: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ﴿٢﴾ ، وحقّ التلاوة هو التلاوة طبقاً للآداب الإسلامية التي أفصح عنها الكتاب نفسه والسنة الشريفة ، وهي:

١- التلاوة مع التأمل والتدبر والتفكير ، قال تعالى:
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿٣﴾ .

٢- التلاوة مع التأني وحسب القواعد العربية في علم التجويد ، قال تعالى:
﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ ﴿٤﴾ .

٣- التلاوة الحزينة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْحُزْنِ فَاقْرَأُوهُ بِالْحُزْنِ» ﴿٥﴾ .

٤- الابتداء بالاستعاذة ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ﴿٦﴾ .

(١) سورة المزمل: ٢٠ .

(٢) سورة البقرة: ١٢١ .

(٣) سورة النساء: ٨٢ وسورة محمد ﷺ: ٢٤ .

(٤) سورة المزمل: ٤ .

(٥) الكافي ٢: ٦١٤ . شرح أصول الكافي ١١: ٤٤ و ٤٥ .

(٦) سورة النحل: ٩٨ .

٥ - تذكّر الجنة والنار والتفكّر فيهما، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ^(١)، فقال عليه السلام: «الوقوف عند ذكر الجنة والنار» ^(٢).

٦ - الطهارة والوضوء حال القراءة، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ^(٣).

٧ - السواك قبل التلاوة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نظّفوا طريق القرآن»، قيل: يا رسول الله، وما طريق القرآن؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أفواهكم»، قيل: بماذا؟ قال: «بالسواك» ^(٤).

٨ - الإنصات والاستماع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ^(٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من استمع حرفاً من كتاب الله عزّ وجلّ من غير قراءة كتب الله له حسنةً، ومحي عنه سيئةً، ورفع له

(١) سورة البقرة: ١٢١.

(٢) مستدرک الوسائل ٤: ٢٣٨. بحار الأنوار ٨٩: ٢١٤.

(٣) سورة الواقعة: ٧٩.

(٤) الحدائق ٥: ٥٦٧.

(٥) سورة الأعراف: ٢٠٤.

درجة»^(١)، وعن النبي الأكرم ﷺ: «يدفعُ اللهُ عن مستمعِ القرآنِ بلاءَ الدنيا»^(٢).

٩- أن نختم القرآن في شهر رمضان أو نكثر من تلاوته، عن أبي جعفر ﷺ قال: «لِكُلِّ شَيْءٍ رِيعٌ، وَرِيعُ الْقُرْآنِ شَهْرُ رَمَضَانَ»^(٣).

١٠- التلاوة كل يوم، عن عليّ ﷺ: «من قرأ كلَّ يومٍ مائةً آيةٍ في المصحف بترتيلٍ وخشوعٍ وسكونٍ، كتب اللهُ له من الثواب بمقدار ما يعملُه جميعُ أهلِ الأرض»^(٤)، وقال رسول الله ﷺ: «يا سلمان، عليك بقراءة القرآن، فإنَّ قراءته كفارةٌ للذنوب، وسترٌ من النار، وأمانٌ من العذاب، ويُكتب لمن يقرؤه بكلِّ آيةٍ ثوابٌ مائةً شهيدٍ، ويُعطى بكلِّ سورةٍ ثوابٌ نبيٍّ مرسلٍ، وينزل على صاحبه الرحمة ويستغفر له الملائكةُ، واشتاقَت إليه الجنةُ، ورضي عنه المولى... الخ»^(٥).

(١) الكافي ٢: ٦١٢. بحار الأنوار ٨٩: ٢٠١.

(٢) تفسير مجمع البيان ١: ٤٤.

(٣) شرح أصول الكافي ١١: ٧٥.

(٤) بحار الأنوار ٨٩: ٢٠. مستدرک الوسائل ٤: ٢٦٥.

(٥) مستدرک الوسائل ٤: ٢٥٧.

١٠ - القراءة في المصحف ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :
« قراءة القرآن في المصحف تُخَفِّفُ العذاب عن الوالدين ولو كانا
كافِرَيْنِ »^(١) ، بالإضافة إلى استحباب الدعاء قبل التلاوة
وبعدها ، وجوب احترام القرآن وحرمة الإتيان بكل ما ينافي
حرمة القرآن الكريم .

وأخيراً استحباب ختم التلاوة بقولنا : « صدق الله العليُّ
العظيم » ، ويستحبُّ حفظ القرآن وتعليمه وتعلُّمه ، قال رسول
الله صلى الله عليه وآله : « خياركم من تعلَّم القرآن وعَلَّمَهُ »^(٢) .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتَّى
يتعلَّم القرآن أو يكون في تعلُّمه »^(٣) ، بل لا يبعد وجوب الحفظ
والتعليم والتعلُّم كفاية .

وعن معاذ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ما من رجل
علَّم ولده القرآن إلا تَوَجَّحَ اللهُ أبويه يومَ القيامةِ بتاجِ الملكِ ،

(١) الكافي ٢ : ٦١٣ . وسائل الشيعة ٦ : ٢٠٤ .

(٢) كشف الغطاء ٢ : ٢٩٩ . وسائل الشيعة ٦ : ١٦٧ . بحار الأنوار
٨٩ : ١٨٦ .

(٣) الكافي ٢ : ٦٠٧ . كشف الغطاء ١ : ٢٩٩ .

وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمُنَاقَاةُ وَمَنْ يَتَذَكَّرْهُ فَعَسَىٰ أَمْرُهُ أَن يُصْلِحَ وَلَا يَتَذَكَّرْهُ فَعَسَىٰ أَمْرُهُ أَن يُسْوِءَ ﴿١٥٦﴾^(١) ، وَأَنْ يَهْتَمَّ بِعِلْمِ الْقُرْآنِ فَيَتَعَلَّمُ وَلَوْ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِهِ وَتَنْزِيلِهِ ، وَأَنْ يَكُونَ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ الْمُسَبِّحِ وَتَطْبِيقِهِ فِي حَيَاتِهِ بِاتِّبَاعِ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ وَالْعِبْرَةَ بِمَا فِيهِ .

والحمد لله ربّ العالمين

(١) وسائل الشيعة ٦ : ١٦٨ و ٤ : ٨٢٥ .

الدرس الحادي والعشرون

تتمّة مصادر التشريع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثاني: السنة الشريفة، وهي عبارة عن قول المعصومين عليهم السلام وهم رسول الله صلى الله عليه وآله والصديقة الطاهرة سيّدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، والأئمّة الإثنا عشر خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وأفعالهم وتقريراتهم.

أما قول المعصوم عليه السلام فهو عبارة عن كلّ ما صدر من أقوالهم عليهم السلام، ويعبر عنها بالأحاديث والروايات والأخبار الواردة عنهم، فإذا صحّ نسبتها إلى المعصوم عليه السلام كانت حجّة على الفقيه، ودليلاً يستند إليه في استنباط الأحكام الشرعيّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١)،

(١) سورة النجم: ٣ و ٤.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١)، وهذه الآية وإن كانت تعني رسول الله ﷺ إلا أنّها غير مختصة بشخصه الكريم، وإنما يشمل خلفاءه الراشدين، وهم الأئمة الطاهرون، بأدلة قطعية كثيرة؛ لأنّ لهم ما لرسول الله ﷺ بالتام والكمال إلا الوحي، فإنّه خاصّ به ﷺ، فلا يوحى إليهم، ولا يشاركونه في هذه الخاصّة من خصائصه ﷺ، وقد أثبتنا ذلك في محلّه في الجزء الأوّل - الحلقة الأولى - من هذه المجموعة عند بحثنا لأصول العقائد مبحث الإمامة، وعليه فالآية شاملة للأئمة الأطهار عليهم السلام لعموم المعنى والدلالة لا بخصوص اللفظ، وخصوص اللفظ غير مانع من التمسك بعموم المعنى.

ويكفي الاطمئنان، وحتى الظنّ الخاصّ التعبدّي، الحاصل من وثاقة الراوي في استدلال المجتهد بالرواية المنسوبة إلى المعصوم عليه السلام، ويترتب على حجّية قول المعصوم عليه السلام أن يتعلّم الفقيه مقدمات لا بدّ منها في معرفة صحّة الحديث وعدم صحّته في نسبته إلى المعصوم عليه السلام، وفي معرفة كونه حجّة أو غير حجّة.

(١) سورة الحشر: ٧.

والمقدّمات اللازمة هنا أوردناها في الدرس الماضي من علوم العربية والمنطق والأصول... لكن أهمّها علم معرفة الرجال ومعرفة أسانيد الأخبار، وهو علم معرفة حال رواة الأحاديث، بالإضافة إلى علم الدراية وهو علم دراية الحديث؛ إذ الفقيه يبحث أولاً في سند الرواية ثمّ ينتقل إلى المعاني والمفاهيم والدلالات التي في الرواية.

أما فعل المعصوم عليه السلام فهو عبارة عن كلّ ما يصدر منه عليه السلام من الأفعال والأعمال، كما لو ورد الخبر الصحيح أو المتواتر أو الموثوق أو المعبر أو الحسن أو المقبولة مثلاً أنّ المعصوم عليه السلام أتى بالفعل الكذابي مثلاً أنّه عليه السلام توضّأ فغسل يده المباركة من المرفق إلى رؤوس الأصابع، فإنّه حجّة علينا وعلى الفقيه الذي يستند إليه في الفتوى إن لم يكن فعل المعصوم عليه السلام نابعاً من التقيّة وليس في فعله احتمال التقيّة، كما أنّه اشترط في حجّية أفعالهم عليهم السلام إثبات عدم اختصاصها بالمعصوم عليه السلام وإثبات كونها مطلقة؛ إذ لا دليل على إفادة الإطلاق في أفعالهم بخلاف أقوالهم التي تتمسك بظواهرها وهي حجّة وفيها إطلاق لفظي، وتثبت حجّية أفعالهم عليهم السلام بعد تحقّق إطلاقها وعدم التقيّة فيها بنفس الدليل الذي أثبتنا

به حجّية قوله عليه السلام.

وأخيراً تقرير المعصوم عليه السلام، لَمّا كان النهي عن المنكر ومنع الناس عن ارتكاب الخلاف والوقوع في الخطأ أو الجريمة من وظائف المعصوم عليه السلام - إلا في موارد التقيّة - فإذا صدرت بعض الأفعال في محض المعصوم عليه السلام، بل كلّ فعل يصدر في مرني ومسمع منه عليه السلام، وحاز على تأييد منه عليه السلام، أو لم ينه المعصوم عليه السلام عنه ولم يعرض عنه - مع إحراز عدم كونه عليه السلام في حال التقيّة - فهو دليل على إمضاء الشارع وتقريره له، أي مجرد عدم ردع المعصوم عليه السلام وعدم منعه إقرار منه عليه السلام ودليل على شرعية الفعل المأقبي به، وهو ملاك ومصدر آخر لاستنباط الحكم الشرعي لدى الفقيه.

ثمّ كتب الحديث المصدرية المهمة عبارة عن الأصول الأربعة المروية بواسطة أصحاب الأئمة عليهم السلام، وقد تلف أكثرها. نعم حاول بعض المحدثين أعلى الله مقامهم أن يجمعها، كما صنع صاحب وسائل الشيعة وصاحب البحار عليه السلام، وكيف كان فأهمّ كتب الحديث في الوقت الراهن هي الكتب الأربعة، أعني الكافي للمرحوم الكليني، ومن لا يحضره الفقيه للمرحوم الشيخ الصدوق، والتهذيب والاستبصار للمرحوم الشيخ الطوسي،

وإنما سُمّيت بالكتب الأربعة لأنّها أشهر كتب الحديث وأكثرها اعتباراً، بالإضافة إلى بحار الأنوار للمرحوم العلامة المجلسي، ووسائل الشيعة للمرحوم الحرّ العاملي، ومستند الشيعة للمرحوم المولى أحمد الزاقي، ومستدرك الشيعة للمرحوم المحدث النوري، والأنوار البهيّة للمرحوم الشيخ عباس القمي، والمحاسن للمرحوم البرقي.

الثالث: العقل، متى ما عجز الفقيه من العثور على الدليل من الكتاب والسنة لاستنباط حكم ما، وأعياه الدليل النقلي، انتقل إلى العقل ونظر في الأحكام العقلية المسلمة، فإذا استطاع أن ينتفع بحكم العقل ويستفيد من أحكامه فيما يرمي إليه، ولم يكن مخالفاً لحكم الشرع؛ إذ كل ما حكم به العقل حكم به الشرع، إذا تمّ ذلك فإنه يستند إليه ويعده حجة ودليلاً في استنباط الحكم الشرعي؛ لقوله ﷺ: «إنّ الله على الناس حجّتين، حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأما الظاهرة فالرّسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»^(١) كإنقاذ النفس المحترمة على المشهور.

(١) الكافي ١: ١٦. تحف العقول: ٣٨٦. وسائل الشيعة ١٥: ٢٠٧ و ١١: ١٦٢. بحار الأنوار ١: ١٣٧ و ٧٥: ٣٠٠ و ١٠٨: ١٦.

الرابع: الإجماع، وهو آخر وسيلة وطريق يلجأ إليه الفقيه لاستنباط المحكم الفقهي، وهو يعدّ حجة على الفقيه في بعض الصور والحالات؛ لأنّه عبارة عن إجماع واتّفاق الفقهاء جميعاً، على حكم واحد في مسألة ليس لها مدرك ولا دليل، ويسمّى الإجماع المحصّل شريطة أن يكون إجماعهم هذا كاشفاً عن رأي المعصوم واندراج رأيه بينهم؛ إذ حجّية الإجماع متوقّفة على كاشفيّته ومشروطة بإفصاحه عن رأي المعصوم عليه السلام.

والحمد لله ربّ العالمين

الدرس الثاني والعشرون

التقليد وأحكامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقليد - كما تقدّم - عبارة عن العمل المستند إلى فتوى الفقيه الجامع لشرائط التقليد ، وإذا كان الاجتهاد - كما تقدّم - مستنداً إلى حكم العقل أو سيرة العقلاء وماخوذاً منها ، فالتقليد مستند كذلك إلى حكم العقل أو سيرة العقلاء وماخوذ منها أيضاً ، وهو أمر عقلي أو عقلاني .

س : على من يجب التقليد ؟

ج : على كلّ مكلف ، وهو البالغ العاقل الذي ليس بمجتهد ولا يريد العمل بالاحتياط ، أو كان عاجزاً عن العمل بالاحتياط .

س : كيف يتم التقليد ؟

ج : أن يستعلم المسائل والفتاوى التي وردت في الرسالة

العملية المعتمدة لدى الفقيه والمختومة بخاتمه الشريف بقصد العمل بها ، وقال آخرون: إنّ التقليد مجرد الالتزام بالفتوى وإن لم يعمل بها ، واشترط بعضهم العمل بها ، كما اشترط آخرون الالتزام بالعمل بها .

س: في أي شيء يجب التقليد؟

ج: يجب التقليد في جميع المسائل التي يبتلي بها المكلف أو يحتمل ابتلاءه بها ، ولا يختصّ التقليد بالواجبات والمحرمات ، بل يجب في الأحكام الخمسة كلّها ، أي حتّى في المستحبّات والمكروهات والمباحات .

س: من هو الفقيه الجامع لشرائط التقليد؟

ج: الفقيه الذي يجب تقليده هو الذي توفّرت فيه الشرائط التالية:

١- الاجتهاد .

٢- العقل .

٣- البلوغ .

٤- العدالة .

٥- الذكورة - أن يكون رجلاً .-

التقليد وأحكامه

٦- الحياة - أن يكون حياً ..

٧- طهارة المولد.

٨- أن يكون إمامياً اثني عشرياً.

٩- الأعلمية - بأن يكون أعلم أهل زمانه من الفقهاء ..

وإن كان الشرط الأخير مبنياً عند أكثر الفقهاء على الاحتياط
الواجب أو المستحبّ.

س: ما معنى العدالة المطلوبة في مرجع التقليد ، وما هي
حدودها ؟

ج: العادل هو الذي حاز على ملكة العدالة ، والعدالة حالة
نفسانية ، أو صفة نفسانية ، تدفع صاحبها إلى التقوى ، أي تمنعه
وتصدّه عن ارتكاب المعاصي الكبيرة والإصرار على المعاصي
الصغيرة .

س: كيف نعرف العادل ، وما هو ملاك العدالة ؟

ج: إعلم أن حُسنَ الظاهر كاشف تعبدي ، فإذا كان حَسَنَ
الظاهر في أخلاقه وأفعاله بحيث إذا سُئل الجيران أو أهل البلدة التي
يقطنها أو أصحابه وعشيرته عن حاله تكلّموا عنه خيراً ،
وأخبروا عن حُسن حاله وسلوكه الديني ، كان عادلاً .

وأما ملاك العدالة فهي الإلتزام بالواجبات وترك المحرّمات بأن لا يأتي بكبيرة، ولا يصترّ على الصغيرة، فيتجنّب كبائر الذنوب ولا يصترّ على صفاتها.

س: من هو الأعلّم؟

ج: قيل هو الأعرّف بقواعد المسائل ومداركها، وأن يكون أكثر اطلاعاً من غيره بنظائرها وبالأخبار والأحاديث، وأن يكون أفضل فهماً للأخبار، والحاصل أن يكون أفضل من غيره في استنباط الأحكام، وهذا الأمر لا يشخصه وجداناً إلاّ من كان من أهل الخبرة، أي من العلماء والفضلاء المتخصّصين في علمي الفقه والأصول والعلوم الحوزوية.

س: هل يجوز تقليد الميّت؟

ج: لا يجوز تقليد الميّت ابتداءً، وأمّا البقاء على تقليد الميّت فهو جائز إذا كان في مستوى الأحياء في علمه، وأمّا إذا كان أعلّم من جميع الأحياء فيجب البقاء على تقليده، وقال بعضهم: يجب البقاء على تقليده احتياطاً، كما قال آخرون يستحبّ البقاء على تقليده احتياطاً، ويعمل بفتاواه كما كان يصنع في حياته.

وأما إذا كان في الأحياء من هو أعلّم منه فلا يجوز البقاء على

التقليد وأحكامه

تقليده، بل يجب العدول إلى الحيّ الأعلم. والمسألة خلافة فيجب أن يرجع كلّ مقلّد إلى فتوى المرجع الذي يقلّده.

س: ما معنى التقليد الابتدائي؟

ج: التقليد الابتدائي عبارة عن التقليد الحدوثي الذي لم يكن مسبقاً بتقليد، مثلاً لو بلغ الصبي العاقل فوجب عليه التقليد لأوّل وهلة، ووجب عليه التقليد للمرّة الأولى، فعليه أن يقلّد المجتهد الحيّ، وهكذا لو كان كبيراً ولم يكن مقلّداً لأحدٍ من قبل، ثمّ أراد التقليد، فإنّ تقليده للمرّة الأولى يكون ابتدائياً إحدائياً، ويجب عليه حينئذٍ تقليد المجتهد الحيّ الأعلم.

ملاحظة:

وبعبارة أدقّ: في مسألة جواز تقليد الميت يجب تقليد المجتهد الحيّ الأعلم، ولا يجوز البقاء على تقليد الميت إلاّ بإذن من المجتهد الحيّ الأعلم، مثلاً لو كان يقلّد مجتهداً فات، ثمّ أراد البقاء على تقليد نفس المجتهد، فعليه أن يسأل ويتفحص هل المجتهد الحيّ الأعلم يبيح البقاء على تقليد الميت، وما هي شروطه في جواز البقاء، فإذا وجد الأعلم أو من فيه شبهة الأعلميّة يبيح البقاء على تقليد الميت، وكانت الشروط متوفرة في الميت الذي يريد أن يبقى

على تقليده ، عمل بهذه الفتوى وبقي على تقليده ، وإلا فلا يجوز له البقاء على تقليده .

ملاحظة :

- ١ - يجب تقليد الأعم في مسألة جواز وعدم جواز البقاء على تقليد الميت ، ولا يكفي تقليد غير الأعم فيها .
- ٢ - في المسائل التي لم يكن للميت فتوى فيها أيام حياته ، وكذا في المسائل المستحدثة المستجدّة ، يجب أن يقلّد فيها المجتهد الحيّ الأعم .

والحمد لله ربّ العالمين

الدّرس الثالث والعشرون

مسائل التقليد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س: كيف نعرف المجتهد أو الأعلّم؟

ج: يعرف المجتهد والأعلّم بأحد الطرق والوسائل التالية:

١- بالاختبار والوجدان، وهذا لا يمكن إلا لمن كان فاضلاً
قضى شطراً من عمره في دراسة الفقه والأصول حتى صار من
أهل الخبرة.

٢- بالشهرة المفيدة للعلم، أي أن يشتهر في الحوزات العلميّة
أو بعضها - أي بين أهل العلم والعلماء -، أنّه مجتهد أو أعلّم،
بحيث يكون مفيداً للعلم واليقين.

٣- قيام البيّنة، أي شهادة عدلين، أي عادلين، من أهل
الخبرة، بشرط أن لاتعارضها شهادة عدلين آخرين على

خلافهما ، كأن يقولوا : إنه ليس بمجتهد أو ليس هو الأعلم .
ملاحظة :

١ - يجب على المكلف لكي يعرف المجتهد الأعلم أن يفحص
ويسأل أهل الخبرة عنه .

٢ - إذا تساوى اثنان من المجتهدين أو أكثر في الأعلمية
- كما لو اختلف أهل الخبرة فيما بينهم ، فمنهم من قال : هذا أعلم ،
ومنهم من قال : ذاك أعلم ، ومنهم من قال : فلان أعلم - ، بحيث
انحصرت شبهة الأعلمية فيهم ، أي احتملنا أن يكون كل واحدٍ
منهم أعلم ، لو صار الأمر هكذا تخير المقلد في تقليد أيّ منهم ،
كما أنه يمكنه التبويض .

س : ما هو التبويض ؟

ج : التبويض هو أن يقلد هذا في جملة من الأحكام ، ويقلد ذاك
في جملة أخرى منها ، مثلاً يقلد أحدهما في أحكام العبادات ،
ويقلد الآخر في أحكام المعاملات .

س : ما هي العبادات ، وما هي المعاملات ؟

ج : إعلم أن كل رسالة عملية تتألف من قسمين من الأحكام :
الأول - العبادات وأحكامها ، أو أحكام العبادات .

الثاني - المعاملات وأحكامها ، أو أحكام المعاملات .

س : ما معنى العبادات ، وكم عددها ؟

ج : الأمور العبادية هي الأمور التي يحتاج في مقام الإتيان بها إلى قصد التقرب ، وهي تنقسم إلى قسمين : واجبات ومستحبات : كالصلاة ، والصيام ، والحج ، وسائر فروع الدين التي تقدمت ، وهي جميعاً عشرة ، وفي قبالها أمور تسمى بالتوصليات كغسل اليد المتنجسة وغسل الثوب المتنجس للصلاة مما لا يحتاج في صحتها إلى قصد القربة .

س : ما هي المعاملات ، وكم عددها ؟

ج : المعاملات جمع المعاملة ، وهي الأفعال الكثيرة التي تصدر من الناس يومياً في حياتهم الاجتماعية وعلاقاتهم المدنية ، وهي كثيرة جداً ، نذكر بعضها على نحو التمثيل لا الحصر ، كالبيع والشراء والنكاح والسفر والإجارة والقرض والتعليم والتعلم والقضاء والصيد والذباحة والحدود والديات وما أشبه .

س : ما الفرق بين العبادات والمعاملات ؟

ج : أولاً : في صحة العبادة يشترط أن يأتي العبد بالفعل متقرباً به إلى الله تعالى ، فيشترط في صحتها قصد القربة ونية

التقرّب إلى الله تعالى .

وأما في صحّة المعاملات فلا يشترط قصد القربة ، أمّا التعبّدي فثلاً لو صلّى من غير أن يقصد القربة والتقرّب إلى الله تعالى بطلت صلاته؛ لأنّ قصد القربة ونيتها من أركان كلّ عمل عبادي ، كالصلاة فإنّها عبادة ، فالنية ركن من أركانها تبطل الصلاة بتركها سهواً أو عمداً ، وأمّا التوصلّيات فإنّها تصحّ من غير قصد القربة ، فقصد القربة ليس من أركانها ، مثلاً لو غسّل يده المنتجّسة أو ثوبه المنتجّس بحيث أزيلت عين النجاسة في النهر ، طهرت يده أو الثوب ، وإن لم ينو التطهير أصلاً ، فضلاً عن نية القربة . نعم ، في المعاملات التي تعدّ من العقود أو الايقاعات - وسيأتي البحث عنها إن شاء الله تعالى في محله - مجرد قصد الفعل شرط في صحّتها ، ولا يكفي الإتيان بها من غير قصد إلى الفعل أصلاً ، نعم لا يشترط في صحّتها قصد التقرّب إلى الله تعالى .

فالأعمال على ثلاثة أقسام :

القسم الأوّل : ما لا يصحّ إلا أن يؤقّ به بقصد القربة إلى الله تعالى بأن يقصد الفعل الخاصّ أولاً ويقصد التقرّب به إلى الله تعالى ثانياً ، كالصلاة وبقية فروع الدين من الواجبات

والمستحبات، وهي العبادات.

القسم الثاني: ما لا يصحّ إلا بالقصد إلى الفعل وتبيته مع إجراء الصيغة الخاصّة بها؛ لأنّها عقود أو إيقاعات، والعقود تتبع القصد، ولا يحتاج إلى أن يقصد القربة إلى الله تعالى، كالبيع والزواج، فالبايع يجب أن يقصد البيع في قوله: بعته أو في فعله، وإلا لم يتحقّق البيع، فإذا قال: بعته هذا بهذا ولم يقصد البيع أو مستلزمات البيع لم يقع البيع، أو مثلاً باع وهو غافل أو نائم أو مغمى عليه بحيث لا يمكن وقوع قصد البيع منه، فإنّ هذا البيع لا يقع أيضاً، وتسمّى بالمعاملات.

القسم الثالث - ما لا تقف صحته على قصد أصلاً، ولا يحتاج في صحته لا إلى قصد الإتيان بالفعل ولا قصد القربة، بل يصحّ من المكلف كيفما أتى به، كتطهير اليد، أو تطهير المسجد وما شابه ذلك، وتسمّى التوصلّيات.

ملاحظة:

١ - إعلم أنّ الإنسان لا يستحقّ الثواب على شيء إلا إذا أتى به بنية التقرب إلى الله تعالى، وخالصاً لوجهه الكريم، فجميع الأعمال - من الأقسام الثلاثة المتقدّمة كلّها - يمكن أن ينوي فيها

العبد التّقرب إلى الله تعالى ليستحقّ عليه الأجر والثواب ، حتّى في المباحات كشرب الماء والنوم وغيرهما إذا قصد بها عنواناً عبادياً محبوباً للمولى كاللّقويّ على العبادة مثلاً ، فإذا نوى الإتيان بها بقصد القربة للّقويّ على العبادة والطاعة أو للّقويّ على دفع الباطل أو الوسوسة النفسانية والشيطانية وما شابه ذلك ، فهو يستحقّ الأجر والثواب من الله تبارك وتعالى .

٢ - قصد القربة واستحقاق الثواب لا يتنافى مع أخذ الأجرة على العمل ، فمثلاً لو أخذ المال على تطهير المسجد أو حفظه وحراسته أو على سائر الأفعال ، ونواها قربة إلى الله تعالى لاستحقّ الأجر والثواب إن لم يكن الداعي من عمله هو الأجر الدنيوي بحيث يترك الفعل إن منعوا عنه الأجر الدنيوي .

والحمد لله ربّ العالمين

الدّرس الرّابع والعشرون

أحكام العبادات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثانياً - أي الفرق الثاني الذي بين العبادات والمعاملات هو أنّ العبادة لكونها مشروطة بقصد القربة فإنّه يجب أن يكون فيها جهة رجحان، ووجه يرجح إتيانها على تركها، وهذا الرجحان ذاتيٌّ، كالنذر مثلاً، فإنّه ينعقد شرعاً بقولك: «الله عليّ كذا وكذا»، إن لم يكن مشروطاً، أو بقولك: «الله تعالى عليّ كذا وكذا»، إن أعطاني الله ولداً ذكراً» مثلاً، وهذا نذر مشروط - وسوف يأتي النذر بتفاصيله في محله إن شاء الله تعالى، وكيف كان فإنّ النذر لا ينعقد ولا يصح ولا يجب الوفاء به إلا إذا كان له وجه من الرجحان على تركه، مثلاً كأن يقول: «الله تعالى عليّ أن أتترك الفعل القبيح مثل القهقهة والصّراخ، أو الفعل المضرّ كالتدخين،

أو المحرام كالكذب والغيبة ، فإنّ نذره شرعي إذا تحقّق شرطه وجب الوفاء به - إن كان مشروطاً - ، وإلّا وجب الوفاء به مطلقاً .
 وأما لو نذر الإتيان بفعل قبيح أو مضرّ أو حرام فإنّ نذره لا ينعقد ولا يجب الوفاء به وإن تحقّق شرطه - في النذر المشروط - ، وهكذا حكم اليمين والعهد وغيرهما من الأفعال العباديّة .

س : ما معنى قصد القربة ، وكيف يتمّ ؟

ج : قصد القربة معناه أن يكون العمل الذي يأتي به خالصاً لوجه الله تعالى ، فيأتي بالصلاة - مثلاً - قربة إلى الله تعالى ، أي لكي يتقرّب بها إليه تعالى ، وهذا لا ينافي - كما ذكرنا - أخذ الأجرة على العمل ، بأن يأخذ الأجرة إن أعطي ، ولكن لا يكون الدافع والمحرك والباعث له نحو الفعل هي الأجرة والمال أو التقرب إلى الناس ، بل يأتي به خالصاً مخلصاً لوجه الله تعالى ، بل لا يجوز له أن يشرك مع الله تعالى أحداً في عمله ، كأن يأتي بالصلاة مثلاً قربة إلى الله تعالى ، ولكي يمدحه الناس ، وإن أتى بها هكذا ، بطلت صلاته .

س : هل التقليد عبادة ؟

ج : ليس التقليد عملاً عبادياً بذاته ، أي ليس عبادة قد شرّعها

الله تعالى كالصلاة ونظائرها، ولما لم يكن عبادة في ذاته فلا تتوقف صحته على قصد القربة، ويكفي أن يقلد وإن لم يكن لوجه الله تعالى. نعم، لو نوى وقصد التقرب به إلى الله تعالى باعتبار الإتيان بالعمل العبادي صحيحاً قد يحصل على الأجر والثواب، بل لعله يستحقه.

ملاحظة:

١ - هناك فرق بين معنى العادة والعبادة ومفهومهما، بكون العادة في الخير أو العادة الحسنة عبارة عما يصدر من الإنسان من أفعال محبوبة عند الله تعالى لا يريد بها وجه الله تعالى والتقرب إلى ذاته المقدسة، بل يأتي بها كثيراً واعتاد عليها، وأما العبادة فهي تلك الأعمال التي اعتاد الإتيان بها قاصداً بها وجه الله تعالى، أو قل إن العبادة هي تلك الأعمال التي فيها مطلوية ورجحان ذاتيين بقصد التقرب إلى الله تعالى، وأما عادة الخير فنفس تلك الأفعال مع خلوها من قصد القربة إليه تعالى.

ويمكن جعل العادة الحسنة عبادة بكل سهولة ويسر، فبإضافة قصد القربة إليها، تصير العادات الحسنة عبادات، وينتاب عليها فاعلها بعد أن كان يأتي بها عبثاً لا ثواب فيها، وهي عبث،

وإن كان يحصل من خلالها على منافع دنيوية كبيرة ، وخسارة لا تعوّض ، إلا إذا صارت عبادات واستحقاق فاعلها الأجر والثواب الأخرين؛ إذ كلّ منفعة دنيوية مهما عظمت لا تقاس بمنفعة أخروية صغيرة جزئية فكيف بالأجر العظيم ، وكلّ منفعة دنيوية خالية من المنفعة الأخروية - الأجر والثواب - فهي خسارة بالغاً ما بلغت .

س : ما معنى الصحة والقبول ، وما الفرق بينهما ؟

ج : إعلم أنّ أعمال الإنسان وأفعاله ذوات جهتين ، جهة صحّة العمل ، وجهة قبول العمل ، أمّا جهة صحّة العمل فهي الجهة والكيفيّة الخاصّة التي إذا أتى بالفعل على نحوها سقط عنه التكليف ولا يعاقب على تركه؛ لأنّه لم يتركه ، بل أتى به مطابقاً لشروط الصحّة فقط ، وستأتي تلك الشروط في محلّها إن شاء الله تعالى ، وهي المذكورة في جميع الرسائل العمليّة .

وأما جهة قبول العمل فهي الجهة والكيفيّة التي إذا أتى بالفعل على طبقها قبِلَ منه الفعل ، وإذا قبِلَ منه الفعل استحقّ الأجر والثواب .

فالعمل قد يكون صحيحاً إذا جيء به على طبق الأحكام

والموازين الفقهية ، ولكن لا يلزم من صحّة العمل أن يكون مقبولاً عند الله تعالى ، فلا يستلزم استحقاق الأجر والثواب؛ إذ القبول مشروط بأمور أحدها الصحّة .

ومن هنا يعلم أنّ النسبة بين القبول والصحّة ليست العموم والخصوص من وجه - كما ظنّ بعض القوم ، بل أكثرهم - وإنما النسبة بينها العموم المطلق؛ إذ كلّ مقبول صحيح وبعض الصحيح مقبول .

س: ما هي شرائط الصحّة ، وما هي شرائط القبول ؟

ج: شرائط الصحّة أن يأتي بالعمل على النحو الذي ذكره مرجع التقليد في رسالته العمليّة ، فلا يترك جزءاً واجباً أو شرطاً أو ركناً وهلمّ جزءاً ، وأما شرائط قبول العمل فهي أولاً: صحّة العمل على النحو المذكور في الرسائل العمليّة من قصد القربة ، وحسن الاعتقاد بولاية محمّد وآل محمّد عليهم السلام ، والأجزاء والشرائط .

وثانياً: التوجّه القلبي والحضور الذهني إلى الله تعالى أثناء الصلاة وسائر العبادات ، والاتفات فيها إلى ما يقول وما يصنع ، ولهذا يُقبل من عمل الإنسان بمقدار ما توجّه والتفت إليه ، ولا يُقبل منه ما أتى به مشغول العقل والذهن بغير الله تعالى .

سأهي القلب عما يقول أو يفعل ، كما أنّ لمستوى معرفة الإنسان بالله سبحانه وتعالى ومستوى إدراكه لحقيقة ما يقول ويفعل دخلاً في مرتبة القبول والأجر والثواب الذي يستحقّه العبد .

س : ما هي الثمرة العمليّة التي تترتّب على الصّحة والقبول ؟

ج : فأما الصّحة فيترتّب عليها سقوط التكليف عن ذمّة العبد ،

وعدم استحقات العقوبة من الله تعالى .

وأما القبول فتترتّب عليه آثار كثيرة في الدنيا منها استحقات استجابة الدعاء ، وإصلاح أمور الدنيا ، والتوفيق في الأمور المعنوية ، والنجاة من الأمراض والعلل النفسانية ، والتخفيف من سكرات الموت وحال الاحتضار .

وآثاره الأخرويّة الفوز بالأجر والثواب ، وقرب المنزلة من الله تعالى في الجنّة التي عرضها السماوات والأرض أعدت للمتّقين ، وهو الفوز الكبير ، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ زُخِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾^(١) .

وقد فسّروا التقوى والمتّقين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ

(١) آل عمران : ١٨٥ .

مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ بالخلوص والإخلاص ، والمخلصين لله تعالى تارة ، وفسروهما بالولاية والموالين تارة أخرى ، وأنت تعلم بأن الإخلاص والولاية متلازمان ، والمخلص والموالي أيضاً متلازمان ، فلا إخلاص لله تعالى أو قربة إليه تعالى إلا بالولاية ، وفاقد الولاية لا يصلح أن ينوي التقرب ، ولا يصحّ منه إن نواه وقصده ، ولهذا جاء في الخبر الصحيح : « ولم يُنادَ بشيءٍ كما نُودي بالولاية »^(٢) ، فالولاية والإقرار بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم الصلاة والسلام شرط صحة لجميع الأعمال وشرط قبول لها ، ولا يقبل عمل إلا بها .

والحمد لله رب العالمين

(١) المائدة: ٢٧ .

(٢) الكافي ٢: ١٨ . بحار الأنوار ٦٥ : ٣٢٩ .

الدرس الخامس والعشرون

أحكام التقليد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- يجب العدول من غير الأعم إلى الأعم ، على الأحوط ، سواء كان غير الأعم ميّناً أو كان حيّاً .
 - ٢- لا يجوز العدول من الأعم إلى غيره مطلقاً .
 - ٣- إذا قلّد مجتهداً مدّة من الزمان ثمّ تبين أنّه فاقد لشيء من شرائط التقليد كالاجتهاد أو العدالة -مثلاً- ، وجب عليه العدول والرجوع إلى غيره الأعم .
 - ٤- إذا فقد المجتهد شيئاً من شرائط المرجعيّة والفتوى ، كما لو صار مجنوناً أو سقطت عدالته -مثلاً- ، وجب على مقلّديه أن يعدلوا إلى غيره الأعم .
- س : كيف نحصل على فتوى الفقيه ؟

ج: ذكروا لذلك طرقاً ووسائلاً أربعاً:

- ١- بالسمع من المجتهد - المرجع - نفسه .
- ٢- أو بالسمع من شخصين عادلين أو شخص واحد .
- ٣- أو بالسمع ممن يوثق بقوله ، أي يحصل له الاطمئنان من قوله لكونه معروفاً بالصدق ، وله فهم بالأحكام وحفاظة حسنة .

٤- أو بالأخذ من الرسالة العمليّة للمجتهد ، إذا كانت معتمدة من قِبَل الفقيه نفسه ، خالية من الأخطاء .

ملاحظة :

- ١- يجب تعلّم مسائل الشكّ والسهو وغيرها من المسائل التي يحتاج إليها المكلف ، وهي من موارد ابتلائه عادةً .
- ٢- لو اختلف اثنان في نقل فتوى المجتهد في مسألة ، فقال أحدهما شيئاً ، وقال الآخر خلافه ، سقط القولان ولا يمكن الاعتماد على أيّ منهما .
- ٣- لو نقل شخص ثقة فتوى المجتهد فكانت مخالفة لما هو في رسالة المجتهد ، يقدّم ما في الرسالة العمليّة إن كانت معتمدة خالية

أحكام التقليد

من الأخطاء، إلا إذا قال ذاك الشخص أن فتوى المجتهد قد تغيرت
عما في رسالته.

٤- لو كانت للمجتهد رسالتان عمليتان معتمدين لديه فوجدنا
اختلافاً بينهما في مسألة أو عدة مسائل، وجب علينا أن نعمل بما
ورد في الرسالة التي تأخر تاريخ تأليفها وكتابتها من قبل المجتهد.
فيعمل بما في اللاحقة ويعرض عن السابقة.

٥- لو نقل فتوى المجتهد خطأً، وجب عليه أن يتدارك خطأه
ويبلغهم الفتوى الصحيحة إذا احتل أن يعملوا بتلك الفتوى.

٦- أما لو نقل فتوى المجتهد بصورة صحيحة ثم علم بحدوث
التغير في فتواه، لا يجب عليه إبلاغ المستمعين بتغير تلك الفتوى.
لكنه احتياطٌ مستحبٌ.

٧- لو قلد المجتهد الفاقد لبعض شرائط التقليد، كالعدالة، مدة
من الزمان كان كمن عمل بلا تقليد.

٨- ومن عمل بلا تقليد فإن كان على أحد الوجوه الثلاثة
كانت أعماله صحيحة مجزية:

أ- إذا كانت أعماله مطابقة للواقع.

ب - إن كانت أعماله مطابقة لفتوى المجتهد الذي كان يجب عليه تقليده .

ج - إن كانت أعماله مطابقة لفتاوى المجتهد الذي يجب عليه تقليده الآن .

وفي عدا هذه الصور تكون أعماله باطلة يجب إعادتها في الوقت أو قضاؤها خارج الوقت .

٩ - لو علم أنه عمل فترة من حياته دون تقليد ، ولم يعرف مدتها ، لكنّه علم كيفيتها - بأن وجدها مطابقة للواقع أو لفتاوى الفقيه الذي يجب تقليده - كانت صحيحة ، وإن جهل المدّة والكيفيّة معاً ، قضا القدر المتيقّن - أي أقلّ ما يعلم من المقدار - من أعماله .

١٠ - لو شكّ في صحّة تقليده حتّى الآن أو شكّ في تقليده خلال فترة معيّنة ، بنا على صحّة تقليده وأعماله .

١١ - لو بقي على تقليد الميت من غير إذن المجتهد الحيّ ، كانت أعماله كمن يعمل بلا تقليد ، وكان كمن لم يقلّد .

س : ما الفرق بين الحكم والفتوى ؟

ج: الفتوى في اصطلاح الفقهاء هو بيان حكم الله تعالى بواسطة الفقيه، كالفتاوى الكثيرة الواردة في رسالة الفقهاء، وتسمى فتوى الفقيه.

أما الحكم فهو الأمر بتطبيق حكم شرعي وتعيين المصداق أو الموضوع أو زمان إجراء الحكم الشرعي ومكانه، أو الإلزام على الإتيان بفعل، أو على ترك فعل حسب اقتضاء المصلحة الملزمة في القضية، كما صنع المرحوم المرجع الكبير السيد الميرزا حسن الشيرازي أعلى الله مقامه الشريف في حكمه التآريخي الشهير بتحريم شرب التن، وهو الحكم الذي اشتهر بحكم التنباك وتحريم التنباك، واشتهرت أحداثه بثورة التنباك، والأحكام عبارة عن أوامر يصدرها الفقيه من جهة ولايته وحكومته، وتسمى بحكم الحاكم من قبيل ما يصدر في ثبوت الهلال، وما يصدر في خصوص بيع الأموال المحتكرة وتحديد الأسعار في فترة الغلاء، أو الأوامر الصادرة في تعيين وتحديد وتقسيم الأنفال والأموال العامة.

بيان ذلك، أن للفقيه منصبين ومقامين:

الأوّل - بيان الفتاوى وإيلاغ الأحكام الإلهية إلى الناس .
 الثاني - الزعامة الدينية والإدارة السياسية والاجتماعية ،
 وتطبيق الأحكام الشرعية وإجراء الحدود الإلهية ، وهذا المنصب
 ممّا وقع الخلاف في حدوده على أقوال ثلاثة :

١ - القول بالولاية المقيّدة جداً وفي حدود ضيقة جداً ،
 وهو الذي يقتصر على القول بالولاية في حدود .
 ٢ - القول بالولاية المتوسطة بأنّ له أن يقيم الحدود ويقوم
 بإدارة المجتمع .

٣ - القول بالولاية المطلقة - العامة - وهو القول بأنّ للفقهاء كلّ ما
 للمصوم عليه السلام إلا ما كان من خصائصه عليه السلام التي لا يشاركه فيها
 أحد .

وكيف كان فالحكم إنّما يصدر من جهة ما للفقهاء من
 ولاية في تطبيق الأحكام والدفاع عن بيضة الإسلام ، أو لقطع
 دابر الخلاف الذي قد يشتت شمل المؤمنين ، وأمّا الفتوى
 فإنّها تصدر من جهة أنّه مبين للأحكام الإلهية مبلغ لها ، ليس
 إلا .

أحكام التقليد

- س: إذا تعارض حكم فقيه مع فتوى فقيه آخر ، فما الحلّ ؟
ج: يجب العمل بحكم الحاكم ، والإعراض عن فتوى الفقيه .
س: إذا تعارض حكمان من حاكمين في واقعة واحدة ،
فما الحلّ ؟
ج: قيل حكم الحاكم غير نافذ إلا في المرافعات وفي غير ذلك
يرجع كلّ إلى مقلّده .

الحمد لله ربّ العالمين

الدرس السادس والعشرون

الاحتياط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاحتياط في اصطلاح الفقه والفقهاء عبارة عن العمل بالأحكام على نحو يحصل له اليقين بأداء التكليف وسقوطه عنه. مثلاً لو أنّ جماعة من المجتهدين أفتوا بجرمة العمل الكذائي وأفتى البعض الآخر بعدم حرمة، فالاحتياط هنا يكون في ترك ذلك العمل، وعدم الإتيان به، أو كان العمل الكذائي واجباً عند بعضهم وجائزاً - ليس بواجبٍ - عند البعض الآخر، فالاحتياط في الإتيان به، وعلى كلّ حال فالاحتياط سبيل النجاة، والمحتاط في كلّ شيء يرى آثار احتياطه، وهي تكون آثاراً طيّبة في حياته، وسيرى ما هو أعظم في الآخرة.

ومن الأمثلة الحيّة الواقعية الموجودة في كتب الفقه العمليّة

-الرسائل العمليّة - في الاحتياط ، قول بعض الفقهاء بوجوب قراءة التسيّحات الأربع ثلاث مرّات في الرّكعتين الثالثة والرابعة ، وقول البعض الآخر بوجوبها مرّة واحدة ، فالاحتياط يكون في الإتيان بالأكثر وهو المرّات الثلاث لإدراك الواقع ، وأيضاً فالبعض منهم يرى الاكتفاء والإجزاء ببعض الأغسال المندوبة كغسل الجمعة عن الوضوء ، ويرى البعض الآخر عدم الإجزاء ، بل وجوب الوضوء بعد هذه الأغسال ، للصلاة ، والاحتياط هنا يكون بالوضوء بعد الغسل ، وهكذا.

وبما أنّ الدين أهمّ ما يخصّ الإنسان في سعادته الدنيوية والأخروية فينبغي أن يحتاط في دينه فلا يأخذه من كلّ أحد إلا إذا استيقن فيه من أمرين وأحرزهما فيه ، وهما العلم والمعرفة على نحو الحقيقة لا على حدّ الزعم والادّعاء ، هذا أولاً ، ثمّ العدالة والتقوى ثانياً؛ إذ العلم وحده لا يكفي إلا إذا كان يثق بأقوال شخص بحيث يقطع منه أنّه لا يكذب فحينئذٍ لا بأس بتعلّم الدين منه إن كانت أهمّ مقوّمات التعليم موجودة فيه متوقّرة لديه ، وهو العلم والمعرفة بشؤون الدين وأحكامه؛ لأنّه قد تلبس عليه

الأمر فيتوهم ما ليس من الدين ديناً، فيدخله في الدين ويحسبه منه، وقد يتوهم عكس ذلك، بأن ما هو من الدين ليس ديناً، فينفيه عن الدين ويخرجه منه، ولهذا قال المعصوم عليه السلام: «أخوك دينك، فاحتط لدينك بما شئت»^(١).

تنبيه:

قد يحدث خلط لدى البعض بين الاحتياط والوسوسة أو الوسواس، فيُخَيَّل إليهم أن الاحتياط هو الوسوسة، وبالعكس أن الوسواس هو الاحتياط، أو قد يتوهم أن الوسوسة من الاحتياط، أو العكس أن الاحتياط من الوسوسة، ولكل هؤلاء أقول بأن الأمر ليس من هذا القبيل، وهذا توهم باطل لا يقوم على أساس ولا ميزان، بل لا أساس له من الصحة؛ إذ بين الاحتياط والوسوسة اختلاف عظيم وبينهما بون بعيد، وإن كانا في ظاهرهما متشابهين حتى قد يلتبس أحدهما بالآخر، إلا أنها في الحقيقة على خلاف ذلك في المقدمات والحكم والنتيجة.

(١) بحار الأنوار ٢: ٢٥٨. وسائل الشيعة ٢٧: ١٦٧.

إذ الاحتياط أولاً: مبنيٌّ على أسس واضحة راسخة كما ذكرنا في الصفحات الماضية ، بخلاف الوسواس ، فإنّه لا قواعد له ثابتة راسخة ، وإنّما هو مرض نفساني ونابع من عُقْدٍ نفسانية .

ثانياً: الاحتياط من حيث الحكم ممدوح مطلوب مرغوب بسيرة العقلاء وحكم العقل ، ولهذا أرشد إليه الشارع المقدّس وأكّد عليه ، بخلاف الوسواس ، فإنّه مذموم لدى الشارع المقدّس منهّيٌّ عنه أشدّ النهي حتّى شبّه الوسواسيّ بالشیطان وحكم عليه بعبد الشيطان؛ لكونه مذموماً قبيحاً بحكم العقل وسيرة العقلاء .

ثالثاً: والاحتياط من جهة النتيجة والثمرّة العمليّة في حياة الإنسان تكون نتائجها حسنة في جميع المجالات لا يستثنى منها شيء ، والوجدان سيّد الأدلّة ، والحياة مليئة بهذه الأمثلة والعبر المستفادة من الاحتياط أو مخالفة الاحتياط ، وهكذا العكس في الوسواس ، فالوجدان يدلّنا على كثرة ما نشأت عنه من الأخطاء وما أدّت إليه من المخاطر والسلبيات الفرديّة والاجتماعيّة ، وقد رأينا في زماننا هذا أيضاً رأي العين جملة من البلايا التي خلّفتها

الوسوسة لأصحابها وضحاياها ، من الأمراض النفسانية التي انتهت بصاحبها إلى الجنون أو تلف الأعصاب مما اضطرَّ صاحبها إلى الانتحار ، وكم من حياةٍ زوجيةٍ تحطّمت ، وأسرّةٍ متماسكةٍ تلاشت ، وإخوةٍ تباغضوا ، وجرائمٍ اقترفت ، وحروبٍ نشبت واندلعت ، وضحايا سقطت هنا وهناك ، كلّ ذلك بسبب الوسوسة الشيطانية أجازنا الله تعالى منها ومن شرارها ، ف«الاحتياط سبيل النجاة»^(١) كما في بعض الأخبار ، أمّا الوسواس فهو سبيل الهلاك .

س : هل يجوز للمجتهد أن يحتاط ؟

ج : نعم ، يجوز للمجتهد رغم استنباطه للحكم الشرعي أن يعرض عن العمل بفتواه ويعمل بالاحتياط ، إن كانت المسألة من موارد الاحتياط .

س : هل الاحتياط يستلزم تكرار العمل دائماً ؟

كلّا ، إذ قد يستلزم التكرار وقد لا يستلزم ذلك ، وإليك

(١) الحدائق ٣ : ١٠ . مستند الشيعة ٣ : ١٤٧ . غنائم الأيام - الميرزا القمي

الأمثلة التالية :

الأول: الذي لا يدري وظيفته هي الصلاة قصراً أم هي تماماً ، كما لو قطع مسافة في السفر فأراد الصلاة وهو لا يدري هل قطع المسافة الشرعيّة حتّى تجب عليه الصلاة قصراً أم لا حتّى يصلّيها تماماً؟ فالاحتياط هنا يستلزم التكرار ، أي الجمع بينهما بإتيان الصلاة تماماً ثمّ قصراً ، أو العكس ، أي الإتيان بها قصراً ثمّ تماماً . وهو تكرار للعمل .

الثاني: من لا يعلم هل الوضوء بعد غسل الجمعة والإقامة قبل الصلاة واجبان في صلاة الفريضة أم مستحبّان ، فالاحتياط هنا يقضى بلزوم الإتيان بهما ، وهذا لا يعدّ تكراراً للعمل .

س: كثيراً ما نسمع بالاحتياط الواجب والاحتياط المستحبّ ، والأحوط الوجوبي والأحوط الاستحبابي ، والأحوط وجوباً ، والأحوط استحباباً ، فما معناها ، وما الفرق بينها ؟

ج: أولاً: جميع هذه الألفاظ ترجع إلى الاحتياط الواجب والاحتياط المستحبّ ، وكأفة الاحتياطات التي ترد في الرسالة العمليّة إمّا واجبة وإمّا مستحبّة ، ومعنى الاحتياط

الواجب كون العمل في مقام يكاد يكون الإتيان به إلزامياً لكثرة الأدلة عليه، أو كونه في مقام يكاد يكون تركه والإعراض عنه إلزامياً لكثرة الأدلة على ذلك، وأما الاحتياط المستحب فهو كون العمل بحيث يكاد الإتيان به أن يكون مطلوباً مرغوباً لا على نحو الإلزام، أو يكاد يكون تركه مطلوباً لا على نحو الإلزام.

وأما الفرق بينها فهو من وجهين وجهتين:

الأولى: من جهة التشخيص وفي مقام معرفة أن الاحتياط من أي القسمين.

الثانية: من جهة الأثر وفي مقام العمل، أي الاختلاف في وظيفة المكلف بالنسبة إلى كل واحد منها.

أما الجهة الأولى: فالفرق بينها من هذه الجهة تكون في أن الاحتياط المستحب هو الاحتياط مع الفتوى، والاحتياط الواجب هو الاحتياط الخالي من الفتوى، ويسمى الاحتياط المطلق أيضاً. بيان ذلك: لو أفتى المجتهد في مسألة وكان فتواه مسبوقة بالاحتياط أو ملحوقاً به كان الاحتياط مستحباً،

مثال ذلك :

جاء في كتاب الصيد والذباحة مسألة (١٦٥١) من منهاج الصالحين للمرحوم آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي أعلى الله مقامه الشريف حول حكم استقبال القبلة للذابح: « لا يشترط استقبال الذابح نفسه وإن كان أحوط » ، فالاحتياط هنا استحبابي؛ لأنّه مسبوق بالفتوى وهو قوله ﷺ: « لا يشترط استقبال الذابح نفسه » .

وأما إذا لم يكن له فتوى في تلك المسألة، وكان الحكم احتياطياً محضاً فهو احتياط واجب ومثاله :

جاء في المسألة (١٦٥٨) من منهاج الصالحين: « كما أنّ الأحوط أن لا تنزع الذبيحة عمداً... الخ » .

وأما الجهة الثانية: فالفرق بينها من هذه الجهة أنّ المكلف في الاحتياط المستحبّ مخيّر بين العمل بالاحتياط المذكور، أو بالفتوى الذي قبله أو بعده، ولا يجوز له الرجوع إلى فتوى المجتهد الذي يليه .

وأما في الاحتياط الواجب فالمقلّد يجب عليه أن يعمل

بالاحتياط نفسه ، أو يرجع إلى المجتهد الذي يليه في مرتبة
الأعلمية إن كان له فتوى في المسألة ذاتها ، وإلا فليرجع إن شاء
إلى الأعم فالأعلم حتى يجد من بين الفقهاء من أفتى في تلك
المسألة فيقلده فيها أي يعمل بفتواه .

ملاحظة:

١ - قد يرد في الرسالة العملية الاحتياط مصراً به بلفظ
المستحبّ أو الواجب ، أو الاستحباب والوجوب ، ومعرفته
واضحة لاجتياز الحاجة إلى زيادة عناء .

٢ - وقد يرد الاحتياط الواجب بلفظ الاحتياط اللزومي ،
أو الأحوط لزوماً ، أو نظائرها وهو واضح أيضاً ، ففي المسألة
(١٦٥٨) من منهاج الصالحين لآية الله العظمى السيد أبو القاسم
الخوئي رحمته : «الأحوط لزوماً عدم قطع رأس الذبيحة عمداً قبل
موتها» .

٣ - كما قد يرد الاحتياط المستحبّ موصوفاً بلفظ الأولى ،
مثال ذلك :

جاء في المسألة (١٦٤٥) من منهاج : «لو أخذ الذابح بالذبح

الدّرس السّادس والعشرون

فَسَقَّ آخِرَ بَطْنِهِ وَانْتَزَعَ أَمْعَاءَهُ مَقَارِنًا لِلذَّبِيحِ ، فَالظَّاهِرُ حَلُّ لَحْمِهِ ،
وَكَذَا الْحَكْمُ فِي كُلِّ فِعْلٍ يُزْهَقُ إِذَا كَانَ مَقَارِنًا لِلذَّبِيحِ ، وَلَكِنْ
الاحتياط أولى .»

٤ - وإذا قال الفقيه: «لا يترك الاحتياط» كان الاحتياط
واجباً أيضاً.

الحمد لله ربّ العالمين

الدرس السابع والعشرون

مصطلحات فقهية من الرسالة العملية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أجرة المثل: هي الأجرة المتعارفة لشيء أو عملٍ ما ، وقد تزيد أو تنقص عن الأجرة المعيّنة المتفق عليها من طرف المؤجر والمستأجر ، وقد تكون مساوية أيضاً للأجرة المتفق عليها .

أجرة المسمى: وهي الأجرة المتفق عليها في عقد الايجار بين الطرفين .

أجير: هو الذي يتم تأجيره ويقع عليه عقد الايجار للقيام بعملٍ ما .

الاحتلام: خروج المني من الإنسان حال النوم ، وهو من علائم البلوغ .

الأحسوط: مضى في الدرس السادس والعشرين مفصّلاً،
بقسميه الواجب والمستحبّ، ومعناه المطابق للاحتياط، أي ما
يطابق الاحتياط.

الاستبراء: طلب النظافة وحصولها من النجاسة، وله موارد
أربعة:

١- الاستبراء من البول: وهو عبارة عن الخمرطات التسع التي
يستحبّ الإتيان بها بعد التبوّل، وستأتي في محلّها إن شاء الله
تعالى.

٢- الاستبراء من المنّي: وهو التبوّل بعد خروج المنّي.

٣- استبراء الحيوان الجلال: أي أنّ الحيوان الذي تغدّى فترة
من الزمن على عين النجاسة حتّى نبت لحمه منها - وهو الحيوان
الجلال - يجب أن يحبس فترة ويطعم الأعشاب الطاهرة حتّى يعود
إنبات لحمه بالطاهر من الأعشاب والنبات، هذه العملية تسمّى
استبراءً أيضاً.

٤- استبراء المرأة بالحيض، وهو أنّهم قالوا على سبيل المثال
إذا أراد الرجل أن يتزوّج امرأة اشتهرت بالزنا علناً، فالاحتياط

الواجب أن يصبر حتى ترى حيضة واحدة أو حتى ترى الحيض ثم يعقد عليها، وعملية الصبر حتى ظهور الحيض، أو بتعبير أدق رؤية الحيض وظهوره تُسمى استبراءً أيضاً.

الاستطاعة: والمراد هي الاستطاعة الماليّة والجسدية والأمنية والوسيليّة لأداء مناسك الحجّ، التي بها يجب الحجّ على المسلم.

الاستمناة: وهو محاولة إخراج المني عن طريق الخيال أو النظر أو اللمس، أو اللعب بالذّكر.

الاستيفاء: الحصول، استوفى حقّه حصل عليه.

الإفلاس: في اصطلاح الفقهاء هو من لاتفى أمواله بديونه.

الإعراض عن الوطن: هو العزم على الترك الدائم لوطنه والتوطن في غيره، والوطن في اصطلاح الفقهاء هو محلّ إقامته الدائمة أو مسقط رأسه.

الإفشاء: تمزيق الجدار الذي بين مخرج البول ومخرج الحيض حتى يتّحد المخرجان، أو الجدار الذي يفصل مخرج الحيض عن مخرج الغائط حتى يتّحد المخرجان، وأفضى بكارتها: أي مزق غشاء البكارة حتى خرج دمها.

أسباب الاحاطة: وسائل التنقية .

ألزم: أجبر وأكره .

أهل الخبرة: ذوو التخصص والأخصائيون في العلوم الحوزويّة .
الإمساك: الامتناع ، أمسك الصائم ، أي امتنع عن الإتيان
بالمفطّرات .

أهل الكتاب: هم اليهود والنصارى .

التذكية: ذبح الحيوان على الطريقة الشرعية .

التفريط: هو التقصير ، وعدم أداء الشيء حقّه .

التمكّن: المكتنة المالية أو الجسدية .

التقنّع: ستر الرأس والوجه ما عدا العينين .

التوكيل: تعيين من ينوب عنه في عمل من الأعمال .

التورية: هي التكلّم بحيث يخفي الحقيقة ولا يكون كذباً ، وذلك
بأن ينوي غير ما يقول؛ لغرض عقلائي كإتقاد مؤمن من شرّ
الظالم ، كما لو سُئل هل رأيت زيداً؟ فأجاب: لم أره ، وينوي لم أره
ليلاً مثلاً .

التدليس: إظهار الشيء خلاف ما هو عليه ، أي أحسن

مما هو عليه .

التكليف الإلزامي: التكليف الواجب أو المحرام .

التبذع: هو الإتيان بالعمل دون القصد إلى أخذ الأجرة عليه .

الجاهل القاصر: هو الجاهل بالحكم والفتوى إذا كان

معذوراً في جهله .

الجاهل المقصّر: هو الجاهل بالحكم والفتوى إذا لم يكن

معذوراً في جهله .

الجماع: الاقتران والمقاربة الجنسية .

الجهر: هو الصوت إذا ظهر جوهره وعلت نبرته ، ويسمى

الإجهار أيضاً .

حاكم الشرع: المجتهد والفقير الذي يحقّ له إصدار الحكم

وتطبيقه شرعاً .

الحدث الأصفر: ما يوجب الوضوء للعبادة أو ينقض

الوضوء ، كالريح الخارج من الإنسان وخروج البول والنوم

الغالب على العين والقلب .

الحدث الأكبر: كلّ ما يوجب الغسل للعبادة ، أو ينقضه

كالجماع والحيض وخروج المنى ومسّ الميت .

حدّ الترخّص: توارى الجدران وخفاء صوت الأذان، والمسافة والمكان الذي إذا وصل إليه أو تجاوزه عند خروجه من وطنه صار مسافراً فوجب عليه الصلاة قصراً، كما يحرم عليه الصوم.

العرج: المشقّة والعناء الذي لا يمكن تحمّلها عادة.

العصّة: السهم والمقدار المعيّن.

الحضر: هو الوطن أو الكون في الوطن، ويقابله السفر.

حقّ التحجير: الحقّ الذي يحصل عليه الإنسان في قطعة من الأرض بواسطة إحاطتها بالأحجار.

الخوارج: الخارجون على الإمام المعصوم عليه السلام.

الخيار: الحقّ الذي جعله العرف وأقرّه الشارع المقدّس، أو جعله الشارع المقدّس للبايع أو المشتري في فسخ المعاملة، مثل خيار المجلس وخيار الحيوان وخيار الغبن وخيار العيب.

الدُّبر: الخلف والمقعد.

الذمي: الكفّار من أهل الكتاب - اليهود والنصارى - الذين التزموا بشروط الذمّة - وإعطاء الجزية - في ظلّ الدولة الإسلامية.

الربا: هو البيع والشراء أو القرض بالزيادة بكيفية خاصة ستأتي في محلها إن شاء الله تعالى.

السنة الخمسية: وتسمى رأس السنة الخمسية هي اليوم الذي يبدأ به سنته التي يجب أن يختم بعدها إن حصل على ربح من كسب أو تجارة، أو اليوم الذي يحدده الإنسان لمحاسبة خمس أرباحه خلال تلك السنة، ويجب كونها هجرية قمرية.

الشاحص: هو العصي التي يتم تشيبتها في الأرض المستوية، أو ما شابه ذلك من الأعمدة والاسطوانات؛ لمعرفة أوقات صلاتي الظهر والعصر ووقت نوافلها.

الشارع المقدس: مؤسس الشريعة وبانيها.

الصغير والصغيرة: من لم يبلغ سن البلوغ الشرعي.

الصيغة: الكلام الذي لا تقع المعاملات من العقود والايقاعات إلا به، مثلاً البيع الشرعي لا يتحقق إلا بصيغة «بعت أو ملكت أو نقلت»، والنكاح لا يتحقق إلا بصيغة «أنكحت وزوجت ومتعت»، وكالطلاق الذي هو من الايقاعات المشروطة بالصيغة من طرف واحد وصيغته «طلقت».

الطهارة الظاهرية: الطهارة التي حكم بها الشارع المقدّس فيما يكون حكمه الواقعي مشكوكاً، ويحصل عادة بجريان الأصل أو القاعدة إذا كان موضوعها الشكّ، مثل أصل الاستصحاب، وأصالة الطهارة، إذا شككنا في طهارة شيء مثلاً فإن كانت له حالة سابقة من الطهارة أجرينا الاستصحاب، باستصحاب الطهارة السابقة، ونحكم ظاهراً بطهارته، وإن لم نعرف له حكماً سابقاً - أي لم نعرف حكمه السابق - أجرينا أصالة الطهارة، وحكمنا عليه بالطهارة الظاهرية لجهلنا بالحكم الواقعي.

العدول: جمع العادل، والعود من الشيء، كالعدول بالنبية من الجماعة إلى الفرادي، أو من عمرة التمتع إلى العمرة المفردة.
العُرف: عمّامة الناس، أو عمّامة الناس في عصر المعصومين عليهم السلام.

العمد - عمداً -: الإتيان بالعمل عن قصد والتفات.

العورة: الأعضاء التناسلية - الفرج والمقعد - ممّا يجب ستره.

العيال: الزوجة، كلّ من يعيله الرجل.

الغانط: المدفوع من الفضلات.

الغبين: تفاوت القيمة المتفق عليها مع القيمة السوقية الحقيقية
تفاوتاً فاحشاً لا يرضى به العرف.

الغُسالة: هي الماء الذي يخرج من الثوب المغسول عند عصره ،
أو الماء الذي يتساقط من الأعضاء المتنجّسة عند تطهيرها مثل
غسالة البول والغائط .

الفجر الصادق: هو انتشار البياض الظاهر في السماء ،
وهو وقت فريضة الصبح .

الفُرادي: هي الإتيان بالفريضة لوحده ، وتقابله الجماعة ،
وهي الصلاة مع الآخرين إماماً أو مأموماً .

الفرج: العورة - مخرج البول والغائط والجهاز التناسلي - .

الفضلة: مدفوع الحيوان وخُرُوه .

القُبُل: العضو التناسلي الذي في الجهة الأمامية من الرجل
والمرأة ، ويقابله الدُبُر ، وهو العضو الخلفي - العورة
الخلفية - .

قصد الإقامة أو الإقامة: هي قصد المسافر إقامة عشرة أيام
على الأقلّ في المحلّ الذي يسافر إليه .

القرشية: هي المرأة المنسوبة إلى قريش .
 قصد الرجاء: قصد الإتيان بعمل أو تركه لاحتمال مطلوبيّته
 أو مبعوضيّته من قبل الشارع المقدّس .
 قصد القرية: هو الإتيان بالعمل مضافاً إلى الله تعالى ،
 مثلاً يأتي به بداعي كونه أمراً إلهياً ، أي بداعي الامتثال لأمر الله
 تعالى ومحبوبيّته عنده تبارك وتعالى .
 قصد القرية المطلقة: أي قصد امتثال أمر الشارع المقدّس ،
 سواء كان أمراً وجوبياً أو استحبابياً .
 القضاء: هو الإتيان بالعمل العبادي بعد فوات وقته الشرعي .
 القيم: المسئول القائم على شؤون الغير والراعي له .
 الكافر العربي: الكافر الذي لم يدخل في معاهدة أو مصالحة
 مع المسلمين .
 الكلّي في المعين: هو الأمر الكلّي الذي تكون مصاديقه المبهمة
 محصورة محدودة في مورد معيّن أو موارد معيّنة .
 ما به التفاوت: مقدار التفاوت والفرق بين سعر الشيء الواحد
 في حالتين أو زمانين أو مكانين مختلفين ، أو مقدار التفاوت بين

سعر شيئين اثنين .

مال الإجارة: المال والمبلغ الذي ينبغي أن يدفعه المستأجر إلى المؤجر .

ما في النمة: ما يتعلق بذمة الإنسان من حق الغير .

المؤونة: المخارج والمصاريف .

المتععة: هي النكاح والزواج المؤقت بشروط خاصة .

المتنجس: ما يكون طاهر العين بالذات لكنه تنجس بسبب عروض النجاسة له ، كما لو لاقى عين النجاسة كالكلب مبللاً .

المتولي: صاحب الولاية الشرعية ، ومن بيده اختيار ومسئولية شؤون المتولي عليه .

مجهول المالك: المملوك الذي لا يعرف مالكة ، والمسال الذي لا يعرف مالكة ولا تجري عليه أحكام اللقطة .

المُجزي: الكافي ، والمسقط للتكليف الشرعي .

المحتضر: من ظهرت عليه سكرات الموت ومن يعالج الموت .

المحتلم: من خرج منه المنى حال النوم .

محل إشكال أو محل تأمل: إذا لم يفتِ المجتهد في رسالته

العملية ، بل قال الأحوط كذا وكذا - مثلاً - ، فعلى المقلّد أن يعمل بهذا الاحتياط الواجب أو يرجع إلى الأعلّم من بعده إن كان له فتوى في تلك المسألة ، وإلّا رجع أيضاً إلى الأعلّم فالأعلّم وهكذا ، وكذلك لو قال المجتهد في رسالته : « محلّ تأمل » ، أو « محلّ إشكال » فإنّما أن يعمل المقلّد طبقاً لما ذكره الأعلّم ، وإنّما أن يرجع إلى الأعلّم فالأعلّم من بعده إن كان له في تلك المسألة فتوى صريحة .

الغُدّ : هو مقدار ما يحمله الكفّ من الشيء ، والمدّ من الطعام أي قبضة كفّ منه .

المدكّن : المذبوح على الطريقة الشرعية الخاصّة .

المرتدّ : هو المسلم الخارج من الإسلام .

المرتدّ الظاهري : هو الذي ولد من أبوين مسلمين ، أو كان أحدهما مسلماً ثمّ ارتدّ عن الإسلام وخرج منه بعد البلوغ وتمام العقل باختيار تامّ من غير إكراه .

المرتدّ العملي : هو الذي ولد من أبوين كافرين ، فدخل الإسلام بعد البلوغ ، ثمّ ارتدّ وخرج من الإسلام .

الماء المعتصم: هو الماء الذي لا ينجس بمجرد ملاقاة النجاسة، كالمطر والماء الجاري ومياه الأنهار والبحار والعيون.

المستهلك: الزائل والقاني.

المسكر: ما يُسكر ويذهب العقل، كالخمر.

المضمضة: إدارة الماء في الفم، أو غسل الفم بالماء.

المظالم: ما في ذمة الإنسان من الحقوق المالية والمعنوية التي لا يُعرف أصحابها بأعيانهم وإن عُرفوا بأصنافهم، أو عرف أصحابها لكنّه يعجز عن الوصول إليهم أو العثور عليهم.

المفلس: الذي خسر أمواله حتى أفلس فحكم الحاكم الشرعي بالحجر عليه ومنعه من التصرف في أمواله لوجود الغرماء.

المفطر: كلّ ما يُبطل الصوم.

المميّز: هو الصبي الذي يشخص الخير من الشر.

الموالة: التوالي والتتابع العرفيان.

مستمرة الدم: المرأة التي لا ينقطع عنها دم الحيض.

الموكّل: من يوكّل غيره في القيام بعمل من أعماله أو شأن من شؤونه.

النصاب: الحدّ والمقدار المعيّن شرعاً.

الوطأ: كناية عن المقاربة الجنسية.

الولاية: الاختيار الشرعي.

الوليّ: صاحب الولاية الشرعية والاختيار الشرعي.

الباثسة: هي المرأة التي بلغت سنّ اليأس بحيث انقطعت عنها العادة الشهرية فلا ترى دم الحيض ولا قابلية لها حينئذٍ على الحمل، وسنّ اليأس بين الخمسين إلى الستين من العمر.

الحمد لله ربّ العالمين



الجزء الأول

- مقدمة المؤلف ٥
- الدرس الأول: المؤمنون في زمن الغيبة ٩
- الدرس الثاني: وجوب الاجتهاد والتقليد ١٣
- الدرس الثالث: دور الدين في حياة الانسان ١٨
- الدرس الرابع: الحكم الواقعي والحكم الظاهري ٢٣
- الدرس الخامس: التقليد نوعان: ممدوح ومذموم ٢٧
- الدرس السادس: أصول الدين والعقائد ٣٢
- الدرس السابع: طرق الوصول إلى معرفة أصول الدين ٣٦
- الدرس الثامن: ضرورة التفقه بأمر الدين ٣٩
- الدرس التاسع: التوحيد ٤٥
- الدرس العاشر: الدليل على وجود الله ٥٢
- تتمّة الدرس العاشر: الدليل على وجود الله ٥٧
- الدرس الحادي عشر: صفات الله ٦٥
- الدرس الثاني عشر: مراتب التوحيد وأقسامه ٧١

- ٧٧ تتمة الدرس الثاني عشر: ثمرات التوحيد العمليّة
- ٨٦ الدرس الثالث عشر: القضاء والقدر
- ٩٤ الدرس الرابع عشر: العدل الإلهي
- ١٠٣ الدرس الخامس عشر: النبوة
- ١٠٨ تتمة الدرس الخامس عشر: خصائص النبي ﷺ
- ١٢٠ تتمة الدرس الخامس عشر: خصائص النبي ﷺ
- ١٣٣ الدرس السادس عشر: الإمامة
- ١٤١ تتمة الدرس السادس عشر: الإمامة
- ١٥٠ الدرس السابع عشر: الإمام المهدي المنتظر ﷺ
- ١٥٧ الدرس الثامن عشر: المعاد
- ١٦٣ تتمة الدرس الثامن عشر: حقائق أخرى عن المعاد



الجزء الثاني

- الدرس ١: الاجتهاد والمرجعية الدينية - ١ ١٦٩
- الدرس ٢: الاجتهاد والمرجعية الدينية - ٢ ١٧٥
- الدرس ٣: الاجتهاد والتقليد ١٨١
- الدرس ٤: بحث في الاجتهاد ١٨٧
- الدرس ٥: من تاريخ الاجتهاد ١٩٧
- الدرس ٦: الاجتهاد بعد الغيبة الصغرى ٢٠٣
- الدرس ٧: الاجتهاد والتقليد في الغيبة الكبرى ٢٠٩
- الدرس ٨: تاريخ الحوزات الشيعية - ١ ٢١٧
- الدرس ٩: تاريخ الحوزات الشيعية - ٢ ٢٢٥
- الدرس ١٠: أشهر علماء الشيعة - ١ ٢٣٣
- الدرس ١١: أشهر علماء الشيعة - ٢ ٢٤١

- الدرس ١٢: التكليف وأهميته ٢٥٣
- الدرس ١٣: معرفة التكليف - ١ ٢٥٩
- الدرس ١٤: معرفة التكليف - ٢ ٢٦٧
- الدرس ١٥: شرائط التكليف ٢٧٣
- الدرس ١٦: المكلف وبقية شرائط التكليف ٢٧٩
- الدرس ١٧: التكليف والمكلفون ٢٨٥
- الدرس ١٨: أقسام التكليف وأحكام المكلفين ٢٩٣
- الدرس ١٩: أقسام الأحكام ٣٠١
- الدرس ٢٠: الاجتهاد والمجتهد ٣٠٥
- الدرس ٢١: تتمّة مصادر التشريع ٣١٥
- الدرس ٢٢: التقليد وأحكامه ٣٢١
- الدرس ٢٣: مسائل التقليد ٣٢٧
- الدرس ٢٤: أحكام العبادات ٣٣٣
- الدرس ٢٥: أحكام التقليد ٣٤١
- الدرس ٢٦: الاحتياط ٣٤٩
- الدرس ٢٧: مصطلحات فقهية من الرسالة العملية ٣٥٩